السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الرابع

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

من هدی القرآن المجلد ۴

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN
۱۴-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-
۶۶-۱۰-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-
۸۲-۰۶-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN
۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴-۱۱۸۰۰۰۰-۰۴-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ؛ ۱۸--۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷
۳۱۳-۱۷-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN
۰۹-۱۳-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN
۲۵-۰۹-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN
X۱-۰۵-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN
۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴-۱۱۸۰۰۰۰-۰۴-۵۶۴۸-۹۶۴-ISBN

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره الأنفال

فضل السوره

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«من قرأ سوره الأنفال و براءه فانا شفيع له و شاهد يوم القيامه انه بریء من النفاق و اعطى من الأجر بعدد كل منافق و منافقه في دار الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات و كان العرش و حملته يصلون عليه أيام حياته فى الدنيا» مجمع البيان ص(۵۱۶)

عن أبى عبد اللّه الحسين عليه السلام قال :

«من قرأ سوره الأنفال و براءه فى كل شهر لم يدخله نفاق و كان من شيعه أمير المؤمنين عليه السلام حقا و يأكل يوم القيامه من موائد الجنه معهم حتى يفرغ الناس من الحساب» البيان ص(۵۱۶)ج ۴

و عن الامام الباقر عليه السلام قال :

«فى سوره الأنفال جدع الأنوف» مجمع البيان ص(۵۱۶)ج ۴

الإطار العام

اشاره

سميت السوره الثامنه من القرآن بالأنفال لأن الحديث الاول فيها عن الغنائم الاضافيه التى تسمى ب(النفل)و هو كل زياده تعطى،

و فى الحديث الصحيح .«ان الأنفال:كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال،و كل ارض انجلى أهلها عنها بغير قتال،و يسميها الفقهاء فيئا،و قطائع الملوك إذا كانت فى أيديهم من غير غصب، و الاجام،و بطون الاوديه،و الأرضون الموات ».

و يمكننا ان نوجز الأنفال فى عباره:هى كل شىء يتحرر من الملكيه الخاصه، فيعود الى الملكيه العامه بيد امام الامه،و فى عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله يكون بالطبع فى يده صلى الله عليه و آله .

الموضوع:

بعد ان جاءت الآيه الاولى فى الأنفال،و الآيه(۴۱)فى خمس الغنائم بينما

كانت الآيه(۶۶)فی حلّیه أکل الغنائم،و هذه الآیات الثلاث تشکل حکما واحدا حیث یجب تقسیم الغنائم التی یحصل علیها الجیش المجاهد بین المقاتلین،بعد إخراج خمسها لبیت المال،اما ما وراء الغنائم من الأنفال،فهی لبیت المال -الدوله-.

اما الآیات الاخری فی السوره فهی تدور حول صفات المؤمنین الصادقین و التی منها تصدیقهم بالغیب.إذ یستجیبون للرساله حتی و لو کانت مخالفه لأهوائهم أو نظراتهم الضیقه،حیث اخرج اللّه نبیه بالحق بالرغم من کراهه طائفه من المؤمنین، و الهدف کان کسب القتال فقد أمد اللّه جیش الإسلام بالملائکه لیکونوا بشری للقلوب،و تستمر الآیات تتحدث عن الجهاد و عوامل هزیمه الکفار و أسباب انتصار المسلمین التی یأمرنا ربّنا بها،فی الآیات(۲۹/۱۵)و منها الثبات و اراده مرضاه اللّه تعالی،و طاعه القیاده،و الاستجابه لدعوه الرسول صلی الله علیه و آله ،و تجنب الفتنه،و التحرر من جاذبیه الأهل و الأموال،و التقوی و البصیره.

أما مکر الکفار و دعایاتهم التی تتحدث عنها الآیات(۳۵/۳۰)فانها زائله مثل قولهم:انهم قادرون علی ان یأتوا بمثل القرآن،أو التحدی باستعجال العذاب،أو الصلاه عند البیت مکاء و تصدیه أو إنفاق أموالهم التی من نتائجها تعبئه الکفار، لکی یکون القضاء علیهم مره واحده.

و یبین القرآن ضروره القتال الشدید ضد الکفار بهدف اقتلاع جذور الفتنه، و عدم الخوف لان نصر اللّه قریب.إذ ان اللّه سبحانه یقضی بالحرب برغم تهاون فریق من المسلمین عنها خوفا،لکی یقضی امرا کان مفعولا،و لکنّ للنصر شروطا منها الثبات و الطاعه و عدم النزاع،و الصبر و عدم البطر،و تجنب الریاء،و ان یکون الهدف هو مرضاه اللّه،اما أولئک الذین استهدفوا الصد عن سبیل اللّه فان الشیطان غرهم ثم ترکهم،اما المؤمنون فان الدین یشجعهم علی الجهاد و لیس هذا غرورا و إذا

لم تقتلع الحرب جذر الفساد فان سنه اللّه فى الحياه هى التى تقضى بنهايه المفسدين كما فعل ربنا بآل فرعون الظالمين.

و يعرج القرآن الى ذكر استراتيجيه القتال كما جاء فى الآيات(۶۹/۵۷)فيأمر بإلقاء الرعب ليس فقط فيمن هو بالجبهه،بل بكل الأعداء،و ضروره الاستعداد للقتال سلفا،و ضروره قبول السلم و التوكل على اللّه فيها،و الاعتماد على اللّه فى الا يكون سلمهم خداعا،و ضروره الوحده،و التحريض على القتال،و الاستعداد النفسى لقبول التضحيات،و فى مقابل التضحيات يحصل المسلمون على الغنائم الحلال.

اما الأسرى فلو كانت نياتهم صافيه فان جزاءهم على اللّه،و يجب ان يحسن معاملتهم دون خوف من خيانتهم(۷۱/۷۰).

و فى نهايه السوره(۷۷/۷۲)يلخص القرآن موضوع السوره و يأمر بالهجره و الجهاد بالمال و النفس،و يبين ان من يفعل ذلك أولياء لمن يأوى المهاجرين و ينصر الرساله بينما الكفار هم فئه واحده،و المؤمنون المجاهدون مهاجرين و أنصارهم صفوه المؤمنين و أولوا الأرحام بعضهم أولياء بعض.

و هكذا تدور آيات سوره الأنفال فى مسائل القتال من أجل اللّه.

ص:۹

[سوره الأنفال (٨): الآیات ١ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْأَنْفٰالِ قُلِ اَلْأَنْفٰالُ لِلّٰهِ وَ اَلرَّسُولِ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَصْلِحُوا ذٰاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذٰا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيٰاتُهُ زٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۴)

اللغه

٢[وجلت]:خافت و فزعت.

ص:١٠

حق التصرف فی الاملاک العامه

هدی من الآیات:

لمن هی الاملاک العامه؟و من یملک حق التصرف فیها؟ انها للّه و لرسوله صلی الله علیه و آله ،و علی أبناء الامه التزام الوحده و الانضباط لان الایمان هو الـذی یوقر فی القلب و ینعکس علی العمل،فالمؤمنون هم اَلَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ،و اهتزت خوفا و طمعا و محبه،و ازداد ایمانهم کلما ذکرت لهم آیات اللّه الناطقه و غیرها،و لم یشعروا بضعه أمام شیء أو شخص لأنهم یتوکلون علی اللّه ربهم و مدبر أمورهم،و ینعکس هذا الایمان القلبی الراسخ علی سلوکهم،فاذا هم یقیمون الصلاه،و ینفقون من کلّ ما رزقهم اللّه.أما جزاء هؤلاء المؤمنین الصادقین فهو درجات عالیه عند ربهم کل حسب أعماله،و مغفره عما سبق من ذنوبهم، و رزق کریم فی الحیاه الدنیا و الآخره.

بينات من الآيات:

ما هى الأنفال؟و لمن؟

[۱]بعد حرب بدر طرح هذا السؤال:

لمن هى صفوه الغنائم و البقيه الباقيه من غنائم الحرب بعد تقسيمها على المجاهدين؟و يطرح هذا السؤال أبدا كلما بقيت ممتلكات مطلقه غير مختصه بهذا أو ذاك و لذلك جاء التعبير القرآنى عاما،و جاء الجواب شاملا لكل الأملاك العامه،أو لكل شيء لا يمتلك من قبل شخص معين،ذلك لأن كلمه الأنفال تدل على كل زياده،لذلك وسع الفقهاء مفهومها حتى أصبحت مقارنه لكلمه الملكيه العامه فى تعابيرنا الدارجه و الذى يتصرف فيها هو الرسول الذى يمثل القياده الشرعيه و من بعده خلفاؤه،أما موارد التصرف فلا بد ان تتخذ حسب قيم التوحيد،و بالتالى فى سبيل اللّه و هو كل عمل يحقق أهداف الرساله ابتداء من الضمان الاجتماعى للفقراء و المساكين و مرورا بتكفل موظفى الدوله،و خدمه الأمه،و انتهاء بنشر الرساله فى الآفاق.

و لذلك ذكر القرآن ان الأنفال هى للّه أولا،ثم لرسوله صلى الله عليه و آله باعتبار ان رضوان اللّه هو هدف التصرف فى هذه الاملاك،و الرسول أو القياده الرساليه هى القائمه عمليا بتحقيق هذا الهدف.

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفٰالِ قُلِ الْأَنْفٰالُ لِلّٰهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ

التقوى فى القضايا الماليه:

و تقوى اللّه هنا تتحقق بأداء الواجبات الماليه،و عدم الاعتداء على أموال الدوله التى هى للّه و للرسول،و أيضا بالتزام الوحده و عدم الخلاف فى القضايا،حيث يطمع

كل فريق أن يكون نصيبه الأكبر من اموال الدوله.لذلك أمر اللّه بإصلاح العلاقات الاجتماعيه التى تربط الناس ببعضهم.

وَ أَصْلِحُوا ذٰاتَ بَيْنِكُمْ و إصلاح ذات البين لا يتم الا برصد ما يفسد فى هذه العلاقات، و السعى وراء إصلاحها بصفه مستمره و دون كلل.

وَ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

الصفات النفسيه للمؤمنين:

[۲]هناك ثلاث صفات رئيسيه للمؤمنين لو لم توجد فى شخص فعليه ان يشك فى ايمانه.

الف:ان تبلغ معرفته باللّه حدا يخافه،كلما ذكر عنده لأنه يعرف عظمته و قدرته و احاطته به علما و سمعا و بصرا،فلما ذا لا يخاف منه و قد استخدم القرآن الحكيم هنا كلمه الوجل و نسبها الى القلب فقال:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فما ذا يعنى الوجل؟ ربما معناه التحرك حيث ان نسبه الخوف الى القلب تعطى معنى يختلف عما إذا نسب الى الفرد ذاته و هو المعنى الحقيقى لكلمه الوجل التى قد تكون الاهتزاز و التأثر و اللّه العالم.

باء:لان قلوب المؤمن تتأثر بذكر اللّه فانها تستوعب الآيات،فاذا ذكّروا

بآيات اللّه يزدادون ايمانا،لأن استماعهم الى الآيات يتم من دون حجاب الكفر و الجحود،أو حجاب الفجور و الفسوق.

بينما يزداد المنافق باستماع الآيات كفرا و جحودا لأنه يفسرها عكسيا، و يتحصن ضدها كلما تكررت عليه باعتباره معقّد تجاهها،و مصمم سلفا على عدم قبولها.

وَ إِذٰا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيٰاتُهُ زٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً و الآيات قد تكون الناطقه و هى القرآن،و قد تكون آيات الحياه،فكل تطور فى الطبيعه يتم وفق نظام دقيق يدل على تدبير اللّه،و كل نعمه تتجددّ أو نعمه تذهب أو كارثه تكاد تقع فيدفعها اللّه.كل ذلک يزيد المؤمنين معرفه باللّه و تسليما لقضائه سبحانه سبحانه.

جيم:و كلما زاد ايمان الفرد زاد اطمئنانه برحمه اللّه،و بحسن تدبيره،و بالتالى ازداد ثقه بأن ربه سبحانه لا يقطع به الحبل فى منتصف الطريق،و انه لو التزم بالمنهج السليم الذى أمر به اللّه فان سنن الحياه و قوانين الطبيعه و التأييد الغيبى سوف تساعده فى شؤونه.

وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ان الشخص الجاهلى و المتخلف يخشى الطبيعه فلا يسخرها لنفسه،و يخشى الناس فلا يستخدم عقله بل يتبع أهواءهم،و يخشى العطب فلا ينشط،بينما المؤمن العارف يخشى اللّه تعالى،و يتحدى الطبيعه،و يخاف اللّه فيتبع عقله و هداه،و لا يستسلم لأهواء الناس،و يعرف مواهب اللّه له،الآن و مستقبلا،فلا يخشى العطب و التعب فيمتلئ حيويه و اندفاعا،و هذا بعض معانى التوكل على اللّه التى تدل أيضا

ص:۱۴

على ثقه الشخص بما وهب اللّه له من قدرات و طاقات دون انتظار أو نظر لما فى ايدى الآخرين.

تلك كانت الصفات النفسيه للمؤمنين و التى تنعكس على السلوك العينى فى صوره الصلاه التى تعبر عن الوجل من اللّه...رجاء و خشيه،و فى صوره الأنفال التى تعبّر عن التوكل على اللّه دون خوف من انتهاء نعمه عليهم و نفاد مواهبه لهم.

[۳] اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ ان ذلك مقياس اكيد للايمان الذى فيه فوائد كثيره أهمها:تكامل شخصيه الفرد حسب درجات ايمانه،و هذا التكامل ليس بمقياس الناس بل بقيم اللّه سبحانه،فلا يضر المؤمن المتكامل الشخصيه الا يعرف به الناس.

[۴] أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ و بالايمان يطهر قلب الفرد عن الأدران و الأمراض،عن الكبر و العجب و الغرور و الانانيه،عن الحسد و الحقد و الظن و البغضاء،عن الجهل و الجهاله و اتباع غير الحق.

و حين يطهر القلب،يزكّى العمل،و يحصل الفرد على المكاسب التى تأتيه بكرامه و عزه،و ليست المكاسب التى يحصل عليها الفرد بإيمانه كالتى يحصل عليها المنافقون و الكفار حيث تمحق كرامتهم البشريه.

[سوره الأنفال (۸): الآیات ۵ الی ۸]

اشاره

کَمٰا أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ لَکٰارِهُونَ (۵) یُجٰادِلُونَکَ فِی اَلْحَقِّ بَعْدَ مٰا تَبَیَّنَ کَأَنَّمٰا یُسٰاقُونَ إِلَی اَلْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ (۶) وَ إِذْ یَعِدُکُمُ اَللّٰهُ إِحْدَی اَلطّٰائِفَتَیْنِ أَنَّهٰا لَکُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَیْرَ ذٰاتِ اَلشَّوْکَهِ تَکُونُ لَکُمْ وَ یُرِیدُ اَللّٰهُ أَنْ یُحِقَّ اَلْحَقَّ بِکَلِمٰاتِهِ وَ یَقْطَعَ دٰابِرَ اَلْکٰافِرِینَ (۷) لِیُحِقَّ اَلْحَقَّ وَ یُبْطِلَ اَلْبٰاطِلَ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُجْرِمُونَ (۸)

اللغه

۷[ذات الشوکه]:ذات السلاح و القوه و هی النفیر.

ص:۱۶

التسليم لأوامر الرب سبحانه

هدى من الآيات:

حين يبلغ الايمان مستوى النضج و الكمال،يسلم صاحبه نفسه للحق،و يتوكل على اللّه،و يترفع عن الحياه درجات،و يضرب اللّه مثلاـ واقعيا على ذلك حيث هيّء سبحانه الأمور لخروج نبيه صلى الله عليه و آله و أنصاره من المدينه فى غزوه بدر بينما كان فريق من المؤمنين كارهين و هم يجادلون فى جدوى الخروج حتى بعد ان تبين لهم صدق الرساله و سلامه أوامر الرسول صلى الله عليه و آله ،و وعدهم اللّه ان تكون لهم احدى الطائفتين إما القافله التجاريه التى كانت لقريش و إما الجنود المسلحون.و من الطبيعى ان يكون المسلمون يفضلون القافله التجاريه،بينما اللّه كان قد قضى لهم بمواجهه الجيش المعادى لأن اللّه يريد تحقيق واقع الرساله الجديده و ليس فقط حصول المسلمين على حطام الدنيا،كما يزيد ربنا ارغام المجرمين بإحقاق الحق و إبطال الباطل حتى لا يفكّروا مستقبلا بمقاومه الرساله..و هذا كله مثل ايمان و توكل المؤمنين و عاقبته المتمثله فى الدرجات الرفيعه

ص:١٧

بينات من الآيات:

اشاره

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ :

[۵]فی الحیاه انظمه یوحی بها اللّه عبر الرساله،و ینفذ اللّه هذه الانظمه إما بید الناس و إما بصوره غیبیه،و هذه الانظمه حق یتبعها المسلمون و یثق بها المؤمنون، و یتوکلون علی اللّه اطمئنانا بها،و یتجاوزون کل عقبه فی طریقهم،و المثال الظاهر لذلک هی قصه حرب بدر،حیث أخبر المسلمون بتحرک عیر قریش قریبا من المدینه، و بما ان المسلمین کانوا ینتظرون فرصه للثأر من أعدائهم الذین حاصروهم اقتصادیا و نهبوا ثرواتهم آنئذ بادر المسلمون للخروج،إما للقتال و إما للغنائم،و هکذا أخرج اللّه المسلمین من بیوت الأمن،و دفعهم الی الحرب بینما کان فریق منهم کارهین.

کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ و کراهتهم انما کانت بسبب عدم ایمانهم باللّه و بالحق و المستقبل.

[۶]و هذا الفریق کانوا یجادلون فی الحق،فی الوقت الذی تبین لهم الحق فی الرساله الجدیده التی آمنوا بها و بصدقها و انها تتحدث عن اللّه.

یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ و الحق واضح،و قد یکون شخص غیر مقتنع به بسبب نقص فیه،و لیس فی دلائل الحق.

کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ و حیث انهم لا یعرفون طبیعه الحق،و ان عاقبته خیر و رفاه،لذلک لا ینشطون فی طریقه بل یعتبرون کل تحرک نحوه کأنه تحرک نحو الموت الظاهر.

ذات الشوكه:

[۷]و كـان ينتظر المسـلمون العير فجاءهم النفير،و لكن كانت فى ذلك حكمه بالغه حيث أراد اللّه تحطيم شوكه الكفار و اشاعه الرعب فى نفوسهم،و تحول المسلمون الى قوه عسكريه معترف بها فى الجزيره.

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ إِحْدَى الطّٰائِفَتَيْنِ أَنَّهٰا لَكُمْ اى انكم سوف تغلبون الأعداء بالتأكيد.فتحصلون اما على قافلتهم التجاريه التى كانت تمر قريبا منكم،أو تهزمون جيشهم الذى يأتى لمحاربتكم،و مع وعد اللّه لهم بالنصر فإنهم كانوا يحلمون بالعير و يخافون النفير.

وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذٰاتِ الشَّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ و ذلك خوفا من مواجهه العدو عسكريا و اللّه يريد غير ما يريده الناس...الناس يريدون عاجـل المكاسب و اللّه يريـد تحقيق الاهـداف البعيـده للامه و ذلك بـدعم جانب الرساله الحقه،و استئصال شأفه الكفار،حتى لا يبقى لهم كيان يعتمدون عليه.

وَ يُرِيـدُ اللّٰهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ حيث ان أوامر اللّه بـالخروج لا تهـدف حصول المسـلمين على بعض الغنائم،بل تهـدف اقامه حكم اللّه فى الأرض و تصفيه الطواغيت.

وَ يَقْطَعَ دٰابِرَ الْكٰافِرِينَ [۸]و هناك حكمه اخرى لربنا هى كسر شوكه المجرمين حتى لا يقدروا على مقاومه الرساله.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبٰاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

ص:۱۹

[سوره الأنفال (۸): الآیات ۹ الی ۱۴]

اشاره

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ اَلْمَلاٰئِكَهِ مُرْدِفِينَ (۹) وَ مَا جَعَلَهُ اَللّٰهُ إِلاّٰ بُشْرىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا اَلنَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۱۰) إِذْ يُغَشِّيكُمُ اَلنُّعٰاسَ أَمَنَهً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ اَلشَّيْطٰانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ اَلْأَقْدٰامَ (۱۱) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى اَلْمَلاٰئِكَهِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا اَلَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ اَلْأَعْنٰاقِ وَ اِضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنٰانٍ (۱۲) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشٰاقِقِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اَللّٰهَ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (۱۳) ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابَ اَلنّٰارِ (۱۴)

اللغه

۱۲[بنان]:البنان الأطراف من اليدين و الرجلين و الواحد بنانه و يقال للإصبع بنانه و أصله اللزوم.

١٣[شاقوا]:الشقاق العصيان و أصله الانفصال.

ص:٢١

الأمداد الغيبى متى و كيف؟

هدى من الآيات:

المؤمنون يتوكلون على ربهم فيجتازون المشاكل بتأييد غيبى،و تقدير رشيد من اللّه لهم،و إليك مثلا- من معركه بدر كيف استغاث المسلمون بربهم بعد ان قرروا خوض المعركه صادقين،و عوضوا ضعفهم المادى بالتوجه الى ربهم لينصرهم فاستجاب اللّه لهم،و أمدهم بألف ملك شكلوا خلفيه الجيش الاسلامى و دعما له، و لم يكن الهدف من ارسالهم سوى تقويه نفسيات المسلمين،و ليكونوا مبعثا لاطمئنان قلوبهم،بينما لم يكن النصر النهائى الا من اللّه،و ربما من غير طريق الملائكه لان اللّه قوى قاهر و قادر على نصر من يشاء،و لكنه لا ينصر الا من يستحق النصر.

و بالرغم من هول المواجهه فان الايمان الذى ازداد بالمواجهه و التوكل برّد افئده المسلمين،فاستولى عليهم النعاس،و جاء ماء السماء يلطف الهواء،و يطهر الأجواء و الأبدان،و يبشر القلوب بالرحمه فيذهب عنها وساوس الشيطان،و يعقد المسلمون

ص:٢٢

العزم على الحرب،فثبتت اقدامهم فی المواجهه،و إذا بالملائکه یثبتون بوحی من ربهم الـذین آمنوا،و إذا بربنا الحکیم یبعث فی قلوب الأعداء الخوف،و یتفوق المسلمون علی أعدائهم نفسیا،فیضربون فوق الأعناق رؤوسهم و یضربون أیدیهم،و لکن لماذا تحیز ربنا ضد الکفار أو لیسوا عبیده؟نعم و لکنهم شاقوا اللّه و عارضوا رسوله،و اللّه شدید العقاب لیس فی الدنیا فحسب بل فی الاخره یعذبهم عذابا شدیدا.

بینات من الآیات:

التوکل سر الانتصار:

[۹]لو تـذکر الإنسان حالاته السابقه،و کیف احتاج الی رحمه ربه فدعاه بحقیقه الایمان،فاسعفه و أنقذه من المشاکل،و لو تبصر الإنسان أوضاع الآخرین، و کیف تـدخلت قوه الغیب فی تأیید طائفه ضـد اخری إذا لعرف ان التوکل علی اللّه سر التغلب علی الصعاب.و یذّکر القرآن الامه الاسلامیه بماضیها،و ابرز المعارک الحاسمه فیه،و التی تتکرر مثیلاتها أبدا.مثلا فی معرکه بدر حیث استغاث المسلمون فأمدهم ربهم بألف من الملائکه.

إِذْ تَسْتَغِیثُونَ رَبَّکُمْ و الاستغاثه-کأی دعاء آخر-تکشف عن اراده النجاح التی لا تقهرها حتی المشاکل المادیه الظاهره،کما انها تکشف عن ایمان قوی بوجود المواهب الکبیره عند الفرد.

فَاسْتَجَابَ لَکُمْ أَنِّی مُمِدُّکُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاٰئِکَهِ مُرْدِفِینَ ای یؤیدونکم من ورائکم.

[۱۰]و لکن لا یعنی نزول الملائکه انهم سوف یحاربون بدیلا عنکم،کما لا

يعنى وجود دعم غيبى للمؤمنين ان هـذا الـدعم يغنيهم عن العمل الجاد كلا..بل يعنى العكس و هو ضـروره العمل الجـدى حتى تحقيق الهدف بالاعتماد على الدعم السماوى.

وَ مَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ بُشْرىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ اما النصـر فهو من عند اللّٰه يقضيه لمن تتوفر فيه شرائط النصر و عوامله و منها بالطبع اراده النصر،و العمل من أجله،و تذويب الانانيات من اجله.ذلك لان ربنا الى جانب قوته و قهره فهو حكيم لا يهب النصر لمن لا يستحقه.

وَ مَا النَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [۱۱]و الملائكه احـدى وسائل النصـر و هناك وسائل اخرى يوفرها ربنا إذا شاء، مثلاـ فى حرب بـدر كـانت الاعصـاب متـوتره،و النفوس ملتهبه هلعـا و الأجسـام تثقـل بالاوسـاخ،فـبّرد الايمـان و التوكـل أفئـده المسلمين،حتى مالت الى الراحه و النعاس فاستراحت الاعصاب،و استعدت لمعركه حاسمه فى اليوم التالى..

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعٰاسَ أَمَنَةً مِنْهُ حين يتوكل العبد على ربه يستريح فى ظلال الثقه به و بتقديره فلا يحرق أعصابه بل يعيش فى كنف أمان ربه.

و المؤمنون حقا هم الذين يزدادون ايمانا فى ساعه العسره لان تلك الساعات تكشف جوهر البشر و طبيعته الكامنه.

وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ذلك لان كثيرا من الجراثيم التى يتلوث بها الجو و تنقل عبر الهواء و الماء من

شخص لآخر تموت بعد المطر،فيرتاح منها الجيش الذى تكثر فيه احتمالات الخطر.

وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ و حين يتلطف الجو بماء السماء يسعد الناس ببركات اللّه،فتطمئن قلوبهم و يذهب عنها الخوف و التردد،كما يذهب بالمطر النجاسه الماديه التى تؤثر فى النفس أيضا و ذلك عن طريق الوضوء و العمل.

وَ لِيَرْبِطَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ فحين يرى المسلمون السماء تمطر عليهم يعرفون ان هذا المطر من نعم اللّه،فآنئذ يزدادون ايمانا برحمه اللّه،و ان بيده بركات السماء و الأرض و بذلك تطمئن نفوسهم، و ينعكس ذلك على ممارساتهم الحياتيه بالاستقامه و الثبات.

تثبيت اللّه تعالى

[۱۲]فى ساعات الشده تكاد اراده المسلمين تنهار امام ضغوط الحياه لو لا الايمان الذى يمده اللّه عن طريق الملائكه المتواجدين فى الافئده بالثبات و الاستقامه.

إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَهِ أَنِّى مَعَكُمْ و لان اللّه مع الملائكه،و يؤيد الملائكه بقوته التى لا تقهر فإنهم أقوى من قوى الكفر الماديه.

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ و بما ان الرعب يسبب فى تضخيم حجم الأشياء،و حسبما جاء فى المثل المروى:

للخوف عيون واسعه.فان الكفار أخذوا يرون قوه المؤمنين أكبر من حجمها أضعافا،

ص:۲۵

بينما كان الثبات الذى أعطاه اللّه بملائكته للمؤمنين سببا فى الاستهانه بقوه الكفار، و الاندفاع نحو تحطيمها.كذلك تفوق المسلمون على أعدائهم فى ساحه القلوب،و كان ذلك طريقا لانتصارهم فى ساحه الحرب.

فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ فجاءت الضربات مسدده فى الأماكن الحساسه فى الرؤوس و الايدى فلم تذهب سدى،بينما ذهبت ضربات العدو هباء فى الأطراف لان قلوبهم كانت مشتته و غير ثابته،و هكذا يؤثر الثبات النفسى فى الانتصار.

[۱۳]لماذا شتت اللّه قلوب الكفار،فألحق ببهم الهزيمه؟لأنهم تمردوا على اللّه، و انحرفوا عن خطه المستقيم فى الحياه.ذلك الخط الذى سيفرض نفسه بالتالى على البشر طوعا أو كرها،و انما يملك الناس فرصه محدده من الحريه و أجلا محدودا.

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشاقِقِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ حتى المؤمنون الذين نصرهم اللّه اليوم لو انحرفوا عن طريق ربهم،فان عقاب اللّه شديد عليهم أيضا.

[۱۴]و لا يكتفى اللّه فقط بعذاب الدنيا بل فى الاخره أيضا.

ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النّارِ

[سوره الأنفال (٨): الآيات ١۵ الی ١٩]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا لَقِیتُمُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفاً فَلاٰ تُوَلُّوهُمُ اَلْأَدْبٰارَ (١۵) وَ مَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّٰ مُتَحَرِّفاً لِقِتٰالٍ أَوْ مُتَحَیِّزاً إِلیٰ فِئَهٍ فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (١۶) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ قَتَلَهُمْ وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ وَ لِیُبْلِیَ اَلْمُؤْمِنِینَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَناً إِنَّ اَللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (١٧) ذٰلِکُمْ وَ أَنَّ اَللّٰهَ مُوهِنُ کَیْدِ اَلْکٰافِرِینَ (١٨) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جٰاءَکُمُ اَلْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِیَ عَنْکُمْ فِئَتُکُمْ شَیْئاً وَ لَوْ کَثُرَتْ وَ أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُؤْمِنِینَ (١٩)

اللغه

١۵[زحفا]:الزحف الدنو قلیلا قلیلا و التزاحف التدانی.

ص:٢٧

القتال بین الاستقامه و التوکل

هدی من الآیات:

انتصار اللّه سبحانه للمؤمنین کما ذکر به الدرس السابق لا یعنی أبدا تحللهم عن مسئولیتهم القتالیه الخطیره التی یعددها اللّه فی هذا الدرس و هی:

اولا:الثبات فی المواجهه و عدم الفرار تحت أی ضغط کان،اللهم الا تراجعا تکتیکیا للعوده الی الحرب فی وضع أفضل و مع جماعه أکبر،و فی غیر هذه الصوره فان غضب اللّه فی الدنیا قد یتمثل فی الهزیمه،و غضبه فی الآخره سیکون جزاء عادلا.

ثانیا:الاتکال علی اللّه و الاعتقاد بان النصر من عنده،و انه حتی الرمی الذی یرمیه الشخص انما هو من عند اللّه،و ان المعرکه ما هی الا ابتلاء من اللّه للمؤمنین لیرفع درجتهم و ینمی مواهبهم،و اللّه سمیع علیم،یعلم من ینجح فی الامتحان، و لمن یعطی الدرجات الرفیعه.

ثالثا:ان اللّه یکشف خطط العدو،و یوهن کیدهم،و یبعث فی استراتیجیه

العدو الثغرات،و لا تغنى كثره العدو عنهم شيئا،و ان اللّه تعالى مع المؤمنين.

بينات من الآيات:

الثبات فى المواجهه:

[۱۵]ايدى المؤمنين القويه هى الاداه الطيعه.هى اراده السماء،فاللّه قد يجعل المؤمنين سيفه الصارم لذلك يأمرهم بالثبات عند مواجهه العدو،و عدم الفرار أبدا.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاٰ تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبٰارَ [۱۶]و هناك استثناء واحد لترك المعركه هو ان يكون للعوده إليها بقوه أكبر اما عن طريق اختيار موقع أفضل مثل ترك السهل الى الجبل و ترك الساحه الى الخندق، أو عن طريق اختيار جماعه يتعاون معهم ضد العدو.

وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّٰ مُتَحَرِّفاً لِقِتٰالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ و يبدو ان القرآن يذكرنا بأهميه اختيار الموقع المناسب و الجماعه المناسبه لمتابعه القتال،و عدم الاعتماد على نصر اللّه فقط.

فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ و غضب اللّه قد يتمثل فى مضاعفه الخسائر،أو حتى الهزيمه غير المنتظره.ذلك أنّ الاقدام يعجّل النصر و يقلل الخسائر.

وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ

الاتكال على اللّه تعالى:

[۱۷]الرمى من المؤمن و لكن الذى يسدد الرميه و يعطيها أثرها فى القلوب هو

اللّه،لذلک کان علینا القیام بعملنا و هو الرمی و القتال،و بذل کل جهد ممکن فی ساحه الحرب دون ان نکتفی بذلک أو نغتر به أو نعمتد علیه،بل نکتفی باللّه و نتوکل علیه.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ رَمیٰ و یبقی السؤال:إذا کان ربنا هو الذی یرمی فلما ذا یتعب عباده و یأمرهم بالجهاد؟ انما ذلک لکی یفجر مواهب المؤمنین،و یستخرج کنوز شخصیاتهم الکامنه، و ینمی کفاءه کل واحد منهم لان المواجهه تدفع الفرد نحو بذل قصاری جهده لتجنب الفشل و الهزیمه،و الطاقه التی یکتشفها المؤمنون فی أنفسهم فی ساحات المعارک ینتفعون بها أیضا فی سائر حقول الحیاه.

وَ لِیُبْلِیَ الْمُؤْمِنِینَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَناً إِنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یسمع عن قرب ما یجری فی الساحه من الحوادث،و یعلم خلفیاتها.لذلک حین یختبر المؤمنین بالحرب ثم یحکم علیهم لا یحکم غیابیا أو عبثا-سبحانه-بل بسمع و علم،و بإحاطه واسعه و مباشره للحوادث.

الوهن و الانتصار

[۱۸]کما یسدد ربنا رمیه المؤمنین فأنه یوهن کید الکافرین،و ذلک بإلقاء الرعب فی نفوسهم حتی لا ینفذ کل واحد کل المهام الموکله به،فتفشل الخطه الموضوعه عندهم لمحاربه المسلمین،و تنهار إرادتهم و تنهزم نفوسهم.

ذٰلِکُمْ

ص:۳۰

أی ان هذه الحقیقه التی یجب ان نؤمن بها و نعترف بها.

وَ أَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ کَیْدِ الْکٰافِرِینَ من هنا کان علینا ألاّ نخشی خطط العدو،و لا نستهین بقدراتنا،نثق بها و بأن اللّه یسدّدها،و لکن دون أن ندّخر قدره کامنه فی أنفسنا إلاّ و نفجرها و نوجهها للمعرکه.

[۱۹]و یخاطب ربنا الکفار و یذکرهم بالفتح الذی أعطاه للمؤمنین علیهم و یقول:هذا الفتح کانّ بسبب اختیار الکفار للحرب و مبادرتهم للقتال و کأنهم هم الذین طلبوه.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جٰاءَکُمُ الْفَتْحُ و قیل ان بعض المشرکین طلبوا من اللّه فی یوم بدر ان ینصر من کان دینه أحب الیه سبحانه فاستجاب دعاءهم و نصر المسلمین.

وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ ای ان تترکوا القتال لان الحرب التی سوف تنتهی بهزیمتکم لا خیر فیها.

وَ إِنْ تَعُودُوا للحرب و القتال.

نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِیَ عَنْکُمْ فِئَتُکُمْ شَیْئاً وَ لَوْ کَثُرَتْ وَ أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِینَ

ص:۳۱

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٠ الى ٢۴]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لاٰ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ اَلدَّوَابِّ عِنْدَ اَللّٰهِ اَلصُّمُّ اَلْبُكْمُ اَلَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ (٢٢) وَ لَوْ عَلِمَ اَللّٰهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢۴)

اللغه

٢٢[الدواب]:جمع دابه و هی ما دب علی وجه الأرض الا انه تختص فی العرف بالخيل.

ص:٣٢

الاستجابه للّه:حياه

هدى من الآيات:

استمرارا لحديث الآيات السابقه التى بينت ضروره العمل و التوكل.يبين لنا هذا الدرس أهم شروط الانتصار و هو الطاعه الواعيه للقياده الرشيده،فأمر القرآن بضروره الطاعه للّه و للرسول و عدم ترك الرسول بوعى و صدق و سبق تصميم،و الوعى من عمل الإنسان فعلى المؤمنين ان ينتفعوا بعقولهم فيسمعوا حقيقه كلام الرسول،و لا يكونوا كالمنافقين الذين يسمعون فى الظاهر فقط ذلك لان شر الأحياء التى تمشى على الأرض هم البشر الذين لا ينتفعون بأدوات العلم التى وهبها اللّه لهم،و لأنهم لم يكن فيهم خير لذلك تركهم اللّه و فى هذه الحاله لو هداهم اللّه لم يستجيبوا لهداه.

و الرسول يدعو الناس الى الحياه و عليهم الاستجابه له ظاهرا و واقعا لان اللّه يحول بين المرء و قلبه،فيعلم ما ينويه حتى قبل ان يستقر رأيه عليه،ثم يحشر الناس جميعا أليه فيجازيهم بما عملوا.

ص:٣٣

بينات من الآيات:

طاعه القياده:

[۲۰]مخالفه القياده الرساليه بوعى و إصرار من كبائر الذنوب،و من ابرز عوامل الهزيمه،و الطاعه الواعيه للرسول هى قمه الايمان و التسليم للّه و للرساله.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لاٰ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ أى فى حاله سماع الآيات و معرفه صدق الرساله و بلاغ واجبات الدين للإنسان فان مخالفه الرسول من أشد المحرمات،بل هو فسوق و كفر.

[۲۱]و لكن هل يقدر أحد تبرير مخالفته للرسول بعدم السماع الواعى؟كلا.

لان اللّه تعالى قد زود البشر بأدوات الوعى،فعليه ان يستفيد منها و يستخدمها فى توعيه ذاته و تثقيف نفسه.

وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ اى لا تكونوا مثل المنافقين تكتفون بظاهر الاستماع دون التعمق فى واقع الوعى.

شر الدواب عند اللّه:

[۲۲]و السماع الحقيقى هو التفكر و الانتفاع بالعقل،و ان شر الدواب التى تتحرك على الأرض هم الذين زودهم اللّه بنور العقل فلم يستفيدوا منه،فأصبحوا أشر من الانعام التى لا تملك عقلا.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ

انهم يملكون السمع و الالسنه و لكنهم لا ينتفعون بهما فى الخير،فهم شر عملا و أضل سبيلا من الدابه التى لم ينعم عليها البارئ بالسمع و اللسان.

[۲۳]حين تكون الفطره البشريه سليمه تنفعها دعوه الحق،لأنها كماء المطر يهبط على أرض صالحه مباركه.أما إذا مسخت الفطره،و حجبت الشهوات و الأحقاد وهج البصيره فان الدعوه ليست لا تنفع فقط،بل تزيد الفرد كفرا و جحودا.

لذلک يقول ربنا سبحانه:

وَ لَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ الخير هو ذلک الاستعداد الفطرى الذى و هبه اللّه للبشر حين زوّده بالسمع و البصر و الفؤاد،و ألهمه فجوره و تقواه و لكن لم يبق فى هؤلاء الذين غدوا أضل من الدواب ذلک الخير بسوء أعمالهم.لذلک لا يسمعهم اللّه،و لا يوفر لهم فرص الهدايه.إذ انه لو أسمعهم الآن و فى وقت افتقادهم حاله الاستعداد للاستجابه إذا لتولوا عن الرساله ظاهرا و باطنا.

وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ

رساله اللّه دعوه الى الحياه:

[۲۴]ما هى الحياه التى نعشقها و نسعى وراء استمرارها أو ليست هى القدره و النشاط و تسخير الطبيعه فلما ذا-إذا-نختار الموت فى بعض الأحيان على الحياه..

نختار الضلاله على الهدايه،و الجهل على العلم،و التخلف و الكسل على التقدم و العمل..أو ليست الهدايه و العلم يجعلانا نحيط بالأشياء و نسخرها..أو ليس العمل و الحركه أبرز مظاهر الحياه و فوائدها؟!

ان رساله اللّه هی دعوه صادقه الی الحیاه بما فیها من علم و عمل،من هـدی و حرکه،و من تسـخیر الطبیعه لصالح البشـر و القرآن یذکرنا بان الاستجابه لهذه الرساله تتناسب و فطره البشر و اعمق مشاعر المحبه للحیاه.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاکُمْ لِمٰا یُحْیِیکُمْ لیس المهم ان تعیش سـبعین عامـا بل ان تعیش حیا بالعلم و الحریه و النشاط.ان المؤمن المتحرر من قیود الشـهوات و الثائر ضد أغلال المجتمع و الذی یسخر الطبیعه لصالحه و صالح الناس بالعلم و القدره انه یعیش کل یوم عاما،اما الکافر الذی یصـبح جزء من الطبیعه و من النظام الحاکم علیها،و یستسـلم للآخرین فهو میت، و لو نبض قلبه بالدم.

و اللّه یدعونا الی الحیاه الحقیقیه فی الدنیا التی تستمر الی الحیوان فی الآخره حیث تکون الحیاه فیها للشهداء و الصدیقین.

و قلب البشـر یبقی یعشق الحیاه و یحب الاسـتجابه لدعوه الحیاه برغم کل الحجب و العقد النفسیه.ذلک لان اللّه یحول بین المرء و قلبه فلاـ یـدع شـعله الهـدایه تنطفئ فی قلب البشـر حتی یری الحق باطلاـ و الباطل حقا.کلا..انه یبقی یمیز بین الحق و الباطل و علی أساس هذا التمییز یحاسبه اللّه غدا حین یحشر الناس جمیعا الیه.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ

و جاء فی الحدیث المأثور عن الصادق علیه السلام :

«لا یستیقن القلب ان الحق باطل أبدا و لا یستقین ان الباطل حق أبدا » (۱)

۱- ۱) بحار الأنوار ج /۷۰ص /۵۸ح ۳۴

[سوره الأنفال (٨): الآیات ٢۵ الی ٢٨]

اشاره

وَ اِتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (٢۵) وَ اُذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي اَلْأَرْضِ تَخٰافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ اَلنّٰاسُ فَآوٰاكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ اَلطَّيِّبٰاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢۶) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمٰانٰاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَ اِعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

ص:٣٧

اتقوا فتنه المال و الأولاد

هدی من الآیات:

طاعه الرسول صلی الله علیه و آله و التسلیم القلبی لأوامره القیادیه تعطی الامه حیاه جدیده..

اما التفرق عنه و الاختلاف فانه فتنه تعم نارها کل أبناء المجتمع و ان عقاب اللّه شدید.و علینا ان نتذکر أبدا مدی اهمیه القیاده الرسالیه حتی لا یدب الی قلوبنا الوهن فی اتباعها.

ان کل مکاسب الامه کانت بالقیاده فحین کنا قلیلا مستضعفین نخشی الناس ان یأخذونا مثل أیام مکه الم تکن طاعتنا للرسول هی التی وفرت لنا الأمن و النصر و الرفاه أو لیس من الواجب الآن ان نشکر النعمه بالمزید من الطاعه،و الطریق الوحید للخروج من الخلافات الداخلیه هو تقوی اللّه،و اتباع مناهجه حیث یعطی الفرد هدی و نورا و قدره علی معرفه الحق و أهله و الباطل و اهله،کما یسبب غفران اللّه و المزید من فضله.

ان تعالیم هذا الدرس تتصل بما سبق و یأتی الحدیث فی الدروس الاخری حول

تکریس واقع القیاده الرسالیه فی الامه.

بینات من الآیات:

مسئولیه الامه عند الخلافات:

[۲۵]الخلافـات الاجتماعیه هی من الـذنوب التی یلقی کل فریق مسـئولیتها علی الآخرین،لان کل جانب یری ان عمله انما هو رد فعـل للآـخرین،لـذلک یکون علی الجمیع تجنب هـذه الـذنوب دون انتظـار ترک الجـانب الآـخر لها.ذلک لان بلیتها إذا جاءت عمت..و عموما المعاصـی لا یمکن حصـر آثارها السـلبیه فی أولئک الذین یرتکبونها،و هی کالنار إذا اشـتعلت فی الهشیم تنتشر الی کل مکان و لذلک یقول تعالی:

وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّهً ای لا تصـیب الذین هم فی الجهه المباشـره للظلم،بل تعم الجمیع هم و الساکتین عن الظلم،و کـذلک الـذین قابلوا الظلم برد فعل غیر مناسب،فمثلا:إذا تجاوز فریق من المجتمع علی فریق آخر فان واجب الفریق المظلوم هو انتظار امر القیاده دون المبادره بالاعتداء علیهم قصاصا لان ذلک یضـعف القیاده،و ینشر الفوضی،و یعم أثرها السلبی بالنتیجه کلا الفریقین، و ربما تـدل الفتنه علی الخلافات الاجتماعیه أکثر من الامتحانات الفردیه لذلک جاء فی الحدیث المروی عن الزبیر بن العوام:

«لقد قرأنا هذه الآیه زمانا و ما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنیون بها نخالفها حتی أصابتنا خاصه» (۱)

۱- ۱) تفسیر مجمع البیان-الشیخ الطوسی/ج ص ۵۳۴

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و انه يعاقب بشده أولئك الذين ينفذون الفتنه،أو الذين يقفون ضد انتشارها فى الحياه الدنيا بالتخلف و الهزيمه و الفوضى و الاقتتال و فى الآخره يجزى الساكت الذى لم يأمر بالمعروف و لم ينه عن المنكر و الذى تمرد على القياده الرشيده.

العبره بالماضى ضمان للمستقبل:

[۲۶]من المهم جدا ان يتذكر الإنسان بعد الانتصار أيام ضعفه لكى لا ينسى عوامل النصر،فيتعهدها و يحافظ عليها ليبقى النصر و مكاسبه،و لينتقل من نصر الى نصر،و لا يقف فى مسيره الزمان الصاعده.

وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ انهم كانوا قليلا من الناحيه الكميه.مستضعفين من الناحيه الاجتماعيه و ليست هناك قوه تحميهم من الناحيه الامنيه حتى انهم كانوا يخشون من أخذهم بسرعه،و لكن اللّه بدل كل هذه النواحى.

فَآواكُمْ و منح لكم محلا آمنا..و هو ابرز شروط الرفاه.

وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ فبدل الضعف قوه.

وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ

ص:۴۰

فبدّل الفقر و الاستضعاف الى غنى و رفاه.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ربكم على هذه النعم،و معنى الشكر هو المحافظه على تلك العوامل التى غيرت واقعكم الفاسد و من أبرزها الوحده و تجنب الفتنه عن طريق طاعه القياده الرساليه التى تدعوكم أبدا الى ما فيه حياتكم،كما ذكرت فى الآيه السابقه.

التجسس لصالح العدو خيانه:

[۲۷]ان التهاون فى طاعه الرسول صلى الله عليه و آله يعتبر خيانه بعهدهم مع الرسول و بأمانه البيعه التى فى أعناقهم.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمٰانٰاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ و من ابرز مظاهر الخيانه التجسس لصالح العدو،و نقل المعلومات الهامه الى مناهضى الرساله كما فعل أبو لبابه فى عصر الرسول حيث بعثه الرسول الى يهود بنى قريظه و قد كانوا خانوا عهدهم مع رسول اللّه،فأمرهم الرسول بالنزول على حكم سعد بن معاذ،فقالوا:أرسل إلينا أبا لبابه و كان مناصحا لهم لان عياله و ماله و ولده كانت عندهم،فبعثه رسول اللّه فأتاهم فقالوا له:يا أبا لبابه أ تنزل على حكم سعد بن معاذ؟فأشار ابو لبابه الى حلقه(انه الذبح فلا تفعلوا)،فأتاه جبرئيل يعنى رسول اللّه فأخبره بذلك.قال ابو لبابه فو اللّه ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت اللّه و رسوله،فنزلت الآيه فيه.فلما نزلت شد نفسه على ساريه من سوارى المسجد و قال و اللّه لا أذوق طعاما و لا شرابا حتى أموت أو يتوب اللّه علىّ،و هكذا بقى على ذلك سبعه أيام حتى تاب اللّه عليه فحلله رسول اللّه. (۱)

۱- ۱) المصدر

[۲۸]ان ابرز أسباب الخيانه بالدوله الاسلاميه و بالقياده الرشيد هو حب المال و الولد كما حدث لابى لبابه فى القصه الانفه الذكر،و لذلك يحذر ربنا من عاملى الفساد عند البشر المال و البنون و يقول:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ و الفتنه هى كل ظاهره يمتحن بها البشر،و لكن إذا تجاوز الفرد عقبه الفتنه، فان اللّه يعوضه عما خسره فى لحظات الفتنه و يزيده عليه كثيرا.

ص:۴۲

[سوره الأنفال (٨): الآیات ٢٩ الی ٣٣]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اَللّٰهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً وَ یُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئٰاتِکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (٢٩) وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اَللّٰهُ وَ اَللّٰهُ خَیْرُ اَلْمٰاکِرِینَ (٣٠) وَ إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِمْ آیٰاتُنٰا قٰالُوا قَدْ سَمِعْنٰا لَوْ نَشٰاءُ لَقُلْنٰا مِثْلَ هٰذٰا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (٣١) وَ إِذْ قٰالُوا اَللّٰهُمَّ إِنْ کٰانَ هٰذٰا هُوَ اَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَیْنٰا حِجٰارَةً مِنَ اَلسَّمٰاءِ أَوِ اِئْتِنٰا بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ (٣٢) وَ مٰا کٰانَ اَللّٰهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ مٰا کٰانَ اَللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)

اللغه

٣٠[لیثبتوک]:الإثبات الحبس یقال رماه فأثبته ای حبسه مکانه و اثبته فی الحرب إذا جرحه جراحه مثقله.

ص:۴٣

التقوی بصیره

اشاره

و الکفر ضلال و عذاب

هدی من الآیات:

بعـد الحـدیث عن ضـروره الاسـتجابه للرسول و الاعتصـام بحبله من أجل الوحـده و تجنب الفتنه،بین لنا القرآن ان التقوی تعطی البصـیره الاجتمـاعیه الـتی یفرق بهـا المـؤمن بین الحق و الباطـل،و الصالـح عن الطالـح.کما یکفّر اللّه بـالتقوی السـیئات، و یزیل رواسبها،و یزید من نعمه علی المتقین.

و مثـل ظـاهر لمنـافع التقـوی.ان الـذین کفروا مکروا بـالرسول لیخرجـوه أو لیقتلـوه و لکـن اللّه دفـع مکرهـم و کـان من مکرهم الاشاعـات البـاطله الـتی أذاعوهـا بین النـاس لکی یمنعـوا النـاس عن الاسـتجابه للرسول،أو التحریض الکـاذب لکلاـم الرسول، و اسـتعجالهم العذاب لو کان الرسول محقا.بینما العذاب یأتی حین یتوغل البشر فی الکفر،و لا یشعر بالندم و التوبه،و لا یستغفر ربه منها،و لکن العذاب بالتالی سیصیبهم بسبب صدهم عن المسجد الحرام،و اعتبار أنفسهم أصحابه بینما أصحابه هم المتقون فقط.

ص:۴۴

بینات من الآیات:

آثار التقوی:

[۲۹]بین العقل و الهوی یعیش قلب البشر،بین الظلمات و الجهل و الفوضی، و بین النور و الهدی و الالتزام،و بقدر ما یحجب الهوی العقل فان مقاومه الهوی تزید القلب نورا و هدی.انک حین تتحکم فی علاقاتک و عواطفک و حساسیاتک فهل تستطیع ان تمیز الفرد الصالح عن الطالح؟!و إذا کانت الشهوات و الحالات النفسیه المتناقضه کالنشاط و الکسل و الأمل و الیأس تحکم فیک أیضا،فهل تتمکن من معرفه العمل الصالح؟ بلی حین تتعهد بتطبیق برامج اللّه،و مقاومه ضغوط العواطف و الشهوات و الحالات النفسیه فان عقلک یکمل،و تصبح قادرا علی تمییز الحق عن الباطل، و یحصل لدیک فرقان و میزان.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقٰاناً التقوی هی الالتزام برساله اللّه،و تحسس المسؤولیه تجاهها و هی تعطینا الفرقان الذی یمیز لنا الصواب عن الخطأ،و الصالح عن المفسد،و الهدی عن الشبهات، و الجاده عن المزالق.

کما و ان للتقوی أثرا رجعیا فیما مضی من عمل البشر حیث یکّفر اللّه السیئات،و یسترها حتی لا تظهر آثارها السلبیه،بل و یغفر الذنوب و یمحی آثارها عن النفس،ذلک لان للذنب أثرا سلبیا علی الحیاه،و أثرا سلبیا علی نفسیه مرتکبه فی شکل عاده سیئه و موقف خاطئ.

وَ یُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئٰاتِکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ

و بفضله العظيم يسبغ النعم الكبيره و الآلاء العظيمه على المتقين فى الحياه الدنيا و فى الآخره.

السبيل الى تأييد اللّه:

[۳۰]ان تقوى اللّه،و الاستجابه للرسول،و تجنب الفتن الاجتماعيه كل ذلك شروط تمهيديه للنصر على الأعداء،و ان ربنا يتفضل على المؤمنين بالتأييد بعد ان يوجدوا فى واقعهم هذه الشروط،و دليل تأييد اللّه نصره المؤمنين فى بدر الذى سبق الحديث عنه،و هذا دليل آخر يبينه اللّه حين خطط الكفار لإلقاء القبض على الرسول صلى الله عليه و آله أو اعدامه أو لا أقل نفيه،و لكن مكر اللّه و خططه الحكيمه سبقتهم و أفشل خططهم الماكره،حيث امر اللّه و رسوله بالهجره الى المدينه.فلما جاء الكفار وجدوا عليا عليه السلام قد افتداه بنفسه و بات مكان قائده الرسول صلى الله عليه و آله .

وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللّٰهُ وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ إذا نفذ المؤمنون خطط ربهم الرشيده فهم الأعلون لان أهم بنود الخطه الرشيده فى الصراعات الاجتماعيه هو النشاط و التعاون و الاستعداد للتضحيه،و الذوبان فى بوتقه الخطه بعيدا عن الذاتيات و المحاور الخلافيه.و كل هذه البنود توفرها التربيه الايمانيه،كما ان الايمان يعطيك الفرقان و الرؤيه الصافيه الى الاحداث،و يزكى قلبك عن الأهواء و الشهوات و ردود الفعل التى تغشى رؤيه المرء و تدفعه الى اتّخاذ مواقف خاطئه و هكذا، و بفضل اللّه يصبح مكر المؤمنين أنفذ من مكر أعدائهم.

[۳۱]و كان من مكر الكفار الفاشل و خطتهم الغبيه،انهم بثوا اشاعات ساذجه فقالوا:ان آيات القرآن ليست بتلك الدرجه من البلاغه و العلم،فلقد سمعناها و وعيناها و لو شئنا لقلنا مثلها.و لكننا أناس تقدميون،و هذه أفكار رجعيه يتشبث

بها الأولون المعتقدون بالخرافات.

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ [۳۲]و كـان من خطط حربهم الاعلاميه تظاهرهم بالتحدى و المباهله فقالوا:

يا رب لو كان كلام الرسول حقا فعجل بالعذاب علينا كأن تمطر السماء حجاره.

وَ إِذْ قالُوا اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ

موعد العذاب:

[۳۳]و لكن هـل اللّه يبعث العـذاب حسب طلب النـاس،أم وفق الحكمه البـالغه التى عنـده؟انه لا يعـذب قوما حتى يسـتنفذوا كل فرص الهـدايه عنـدهم، و حتى لاـ يبقى فيهم اثر من الايمـان.و دليل ذلك انه ما دام الفرد يشـعر بالنـدامه بعـد الـذنب و يسـتغفر اللّه،فانه لا يعذب حتى و لو طلبه من ربه.و عدم نزول العذاب عليه ليس دليلا على صحه كل اعماله أو مجمل طريقته كلا بل هو دليل على وجود جوانب ايمانيه فى واقعه،هى التى تمنع العذاب عنه.

وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ تـدعوهم الى الهـدى و ربمـا يسـتمعون إليك،و وجود نبى الرحمه و سـيد الخلق كما وجود الصالحين فى الامه سوف يمنع عنها العذاب لحين خروج أولئك عنهم.

وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ و فى آيات قرآنيه اخرى دلاله على ان عذاب اللّه انما يهبط من السماء بعد فراغ

ص:۴۷

قلوب المجتمع تماما عن الايمان،و بعد خروج أو انعدام الصالحين فيه تماما.

لقد كان هذا جانبا من مكر الكفار الذى انتهى الى انتشار الرساله أكثر فأكثر و الحمد للّه رب العالمين.

ص:۴۸

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٣۴ الی ٣٧]

اشاره

وَ مٰا لَهُمْ أَلاّٰ يُعَذِّبَهُمُ اَللّٰهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ مٰا كٰانُوا أَوْلِيٰاءَهُ إِنْ أَوْلِيٰاؤُهُ إِلاَّ اَلْمُتَّقُونَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (٣۴) وَ مٰا كٰانَ صَلاٰتُهُمْ عِنْدَ اَلْبَيْتِ إِلاّٰ مُكٰاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا اَلْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣۵) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ فَسَيُنْفِقُونَهٰا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣۶) لِيَمِيزَ اَللّٰهُ اَلْخَبِيثَ مِنَ اَلطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ اَلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (٣٧)

ص:۴٩

إنفاق الكفار:حسره و هزيمه

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث القرآنى حول مكر الكفار و اشاعاتهم الباطله التى بيّنها الدرس السابق.يذكرنا اللّه ببعض اعمال الكفار التى تكشف من جهه عن زيف ادعاءاتهم،و تبين من جهه ثانيه فلسفه النضال ضدهم.ان عذاب اللّه قد يأتى بطريق غيبى كصاعقه عاد و ثمود أو على ايدى المؤمنين،و القرآن يبين ان اللّه سوف يعذب الكفار لأنهم يمنعون الناس عن المسجد الحرام دون ان يكون لهم الحق لان المسجد الحرام انما هو مقام عباده،و يجب ان يكون المشرف عليه أكثر الناس عباده و عبوديه و تقوى للّه،و ليس هؤلاء الجهله الذين اتخذوا صلاتهم عند البيت هزوا.

فبدل الصلاه و الضراعه أخذوا يصفرون و يصفقون كفرا باللّه و برسالاته،اما أموالهم فإنهم ينفقونها ليس فى سبيل الإصلاح و نصره المظلومين و اغاثه المحرومين، بل للصد عن سبيل اللّه،و سوف يكون هذا الإنفاق حسره عليهم حين يحشرون الى جهنم،و فلسفه هذا الصراع القائم بين الناس و الذى يجسده إنفاق المشركين أموالهم

ص:۵۰

للصد عن سبيل اللّه انها امتحان الناس،و تمييز صفوف الطيبين عن الخبثاء.ليجعل اللّه جزاء الخبثاء جهنم و ساءت مستقرا.

بينات من الآيات:

سنه العذاب:

[۳۴]ربنا الحكيم لا يعذب أحدا حين يشتهى العذاب أو يتحدى قدره اللّه أو رسالته،بل عند ما يستوجب العقاب بعمل قبيح مثل صد الناس عن المسجد الحرام.

و ما هو المسجد الحرام؟انه بقعه خصّها اللّه لنفسه لتكون دار سلام و أمن و حريه، يقيم الناس فيها شعائرهم الدينيه،و يعبرون عن مشاعرهم الحقيقيه و لكن حين يأتى فريق من المتجبرين و يفرضون قيادتهم على المسجد الحرام و يمنعون المؤمنين عن إقامه الشعائر فيه فسوف يستحقون العذاب لأنهم ليسوا بقياده المسجد و ولاته..ان أولياء المسجد هم أولياء اللّه.لان المساجد للّه و لا يجوز ان يرفع عليها الا رايه اللّه و الحق،و الذين بيدهم رايه الحق هم المتقون،و حين تطهر مساجد اللّه عن الدعوه لغير اللّه و عن الأصنام الحجريه و عن تبليغ رساله الشيطان و الدعايه لسلطان متجبر أو حزب ملحد أو سلطه قاهره،فان الناس سيجدون مصابيح يهتدون بها،و محاور قوه يلتفون حولها،و بالتالى مراكز قدره يلتجئون إليها فى مقاومه شياطين الجن و الانس.

وَ مٰا لَهُمْ أَلاّٰ يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ مٰا كٰانُوا أَوْلِيٰاءَهُ إِنْ أَوْلِيٰاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و لا يعرفون فلسفه المساجد و دورها الحاسم فى هدايه الجماهير و تأييدهم ضد الظالمين.

[۳۵]اما هؤلاء الذين اتخذوا من المساجد مراكز لهو و استهزاء بالقيم فكانت صلاتهم عند البيت الحرام(و هو اقدس مكان على وجه الأرض)التصفير

ص:۵۱

و التصفيق.

وَ مَا كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً اى صفيرا و تصفيقا و عذاب اللّه الذى أنزل عليهم بيد المؤمنين كان بهذا السبب.

فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ و جاء فى الحديث عن ابن عباس:كانت قريش يطوفون بالبيت عراه يصفرون و يصفقون،

و روى ان النبى صلى الله عليه و آله كان إذا صلى فى المسجد الحرام قام رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه فيصفران و رجلان عن يساره يصفقان بأيديهم فيخلطان عليه صلاته،فقتلهم اللّه جميعا ببدر.و لهم يقول و لبقيه بنى عبد الدار «فَذُوقُوا الْعَذابَ» .

و كلمه اخيره:ان هذه الآيه و التى قبلها تدلان بوضوح أن على السلطات التى تصد عن المساجد،و تعتدى على حريه الناس فيها،و تتجاوز على حرماتها،و تريد تحويل المساجد الى مراكز للفساد و المنكر يقام فيها الشعائر دون لبابها انها سلطات جائره يجب مقاومتها حتى يعذبها اللّه بأيدى المؤمنين.

[۳۶]كان ذلك صوره عن الممارسه السياسيه لهذه الفئه.اما الممارسه الاقتصاديه فانها خاطئه أيضا،إذ انها تخدم اهداف الطغاه و تصد عن سبيل اللّه، و عن اقامه العدل و اشاعه الرفاه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ينفقونها من أجل طبع الكتب الضاله،و تمويل الصحف المسبحه للطاغوت، و أشياع ادعياء العلم و الدين من خدم السلطات المتجبره،أو ينفقونها لتمويل

الحروب و تدعيم كيان اجهزه المخابرات.

بيد ان هذا الإنفاق سيكون حسره عليهم إذ لا ينفعهم شيئا،بل يضرهم كثيرا و سينتهون الى جهنم جميعا.

فَسَيُنْفِقُونَهٰا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [٣٧]و لكن كيف يسبب إنفاق هؤلاء للصد عن سبيل اللّه غلبه المؤمنين عليهم؟ يجيب القرآن على هذا السؤال:

أولا-لأن هذا المال يفصل الطيب عن الخبيث فى واقع المجتمع،فالطيّب لا تخدعه الثروه فيزداد طيبا.بينما الخبيث الذى كان يتظاهر بالايمان يظهر امره و يكتشف عند المجتمع.

ثانيا:ان العناصر الخبيثه يجد بعضها بعضها فيتكتلون،فحين تثور الجماهير ضدهم لا ينقذون أنفسهم منهم جميعا.

لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٣٨ الی ۴٠]

اشاره

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مٰا قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ اَلْأَوَّلِينَ (٣٨) وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ اَلدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَوْلاٰكُمْ نِعْمَ اَلْمَوْلىٰ وَ نِعْمَ اَلنَّصِيرُ (۴٠)

ص:۵۴

كيف نواجه الكفار

هدى من الآيات:

لقد ابلغنا الدرس السابق عن ممارسات الكفار السياسيه الاقتصاديه الخاطئه، و التى تدل على كذب أقوالهم التبريريه التى تشبثوا بها لكفرهم،ثم يأتى هذا الدرس ليبين لنا الموقف منهم المتمثل فى تهديدهم اولا:بان سنه اللّه مضت فى الأولين، على ان الكفر لا يدوم،و عليهم المبادره الى التوبه،و وضع حد لممارساتهم الخاطئه حتى يغفر اللّه ما قد سلف منهم،و بعد هذا التهديد يأتى التهديد بالقتال تجنبا للفتنه و الفساد فى الأرض و لإقامه حكم اللّه فقط،فاذا استسلموا بالقتال فسوف يعلم اللّه هل هم يحسنون صنعا أم ينافقون،اما إذا استمروا فان المسلمين يستمرون بدورهم فى الحرب اعتمادا على مولاهم اللّه نعم المولى و نعم النصير.

بينات من الآيات:

سنه الانتصار

[۳۸]ليس من العقل ان يختم على القديم بطابع الرجعيه و الاسطوره و الخرافه،

ص:۵۵

كما قال الجاهليون آنفا،ففى القديم دروس و عبر و قوانين اجتماعيه،علينا الانتفاع بها لحاضرنا و منها سنه اللّه فى الانتصار للحق و سحق الكفر و الضلال،و على الكفار ان يراجعوا التاريخ ليفهموا هذه السنه.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مٰا قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ و سنه اللّه لا تتحول «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَحْوِيلاً» (٣فاطر).

الحكمه من القتال:

[٣٩]و الحرب الاسلاميه لا تهدف تسلط فريق مكان فريق آخر،بل اقامه حكم اللّه و منع الفتنه..فما هى الفتنه؟هل هى الشرك باللّه،أم هى الفساد فى الأرض و ظلم الناس بعضهم لبعض؟أم هى تسلط فريق من الناس باسم أو بآخر على رقاب الناس،و استعبادهم و استثمارهم و فرض ثقافه معينه عليهم؟ يبدو ان الفتنه فى لغه القرآن هى التسلط اللامشروع،كما ان الدين هو السلطه الشرعيه المستمده من الايمان باللّه و بالحق،و بحريه الإنسان،و ابرز معانى الشرك هذا التسلط اللامشروع أو الخضوع لمثل هذا التسلط.

وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يعلم هل هم صادقون أم منافقون،و لا يجوز الاستمرار فى قتالهم بحجه انهم لا يزالون كفارا فى الواقع برغم ايمانهم أو استسلامهم الظاهر.

[۴۰]اما إذا تولوا،و استمروا فی القتال و اشاعه الفساد،فعلیکم بالاستمرار أیضا من دون حزن أو وهن.لأنکم بالتالی منتصرون علیهم،و لان اللّه مولاکم و قائدکم،و أوامره و مناهجه و تعالیمه خیر لکم،کما انه ینصرکم بقوته التی لا تقهر.

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَوْلاٰکُمْ نِعْمَ الْمَوْلیٰ وَ نِعْمَ النَّصِیرُ

[سوره الأنفال (٨): الآيات ۴۱ الی ۴۴]

اشاره

وَ اِعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي اَلْقُرْبىٰ وَ اَلْيَتامىٰ وَ اَلْمَساكِينِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلىٰ عَبْدِنا يَوْمَ اَلْفُرْقانِ يَوْمَ اِلْتَقَى اَلْجَمْعانِ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۱) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ اَلدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ اَلْقُصْوىٰ وَ اَلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي اَلْمِيعادِ وَ لٰكِنْ لِيَقْضِيَ اَللّٰهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (۴۲) إِذْ يُرِيكَهُمُ اَللّٰهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي اَلْأَمْرِ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ اَلصُّدُورِ (۴۳) وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اِلْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اَللّٰهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۴۴)

ص:۵۸

الخمس و قضاء المواجهه

هدى من الآيات:

الاعـداد للحرب أهم من القتال فی الساحه،و المال يقوم بـدور فعال فی الاعـداد، و تعرّض أحـد الـدروس السابقه الی دور المال السـلبی حين ينفقه الـذين كفروا للصـد عن سبيل اللّه،اما فی هـذا الـدرس فيفرض علينا القرآن قـدرا مقـدورا من المال من أجل القضـيه و ذلک هو خمس ما يغنمه و يسـتفيده المرء،و لأهميه الإنفاق و للعصوبات التی أنزلت يوم التقی الجمعان،حين نصر اللّه المؤمنين بفضل تلک الرساله،بالرغم من بعض المفارقات مثل:انكم كنتم فی أسـفل الوادی و هم فی أعلاه..و انكم مختلفون فی مواعيـدكم،و لكن اللّه قدّر ان يتم حجته علی خلقه،يبعث برسالاته إليهم بينه و حجه،و لو لا تقدير اللّه ذلک الذی أراد ان يحطم السد الذی صنعه الكفار امام انتشار الرساله،إذا لما وقعت الحرب إذ أن ربنا قلل كل فريق فی عين الفريق الثانی حتی استهان كل بصاحبه فتحاربا فانتصرت الرساله.

ص:۵۹

بينات من الآيات:

الكيان المالى للإسلام:

[۴۱]من دون وجود كيان مالى للمجتمع الاسلامى يفقد المجتمع توازنه و قدرته على الاستقامه و التصدى للأعداء،و الخمس واحد من المصادر الماليه،و حين نقول المجتمع المسلم نقصد بذلك الكيان الذى يقوم فى حاله غياب الدوله،أو ذلك الكيان الذى يفرض نفسه على الدوله فيحدد شكلها و مسيرتها،كما تفرض الأحزاب السياسيه و جماعات الضغط فى الديمقراطيات الغربيه شكلا معينا على الدول،و كما تفرض التيارات على الدول،بالرغم من عدم الاعتراف بها رسميا.

و هكذا فالمجتمع المسلم يمتلك كيانا مستقلا قائما بذاته أقوى من الدوله.حتى و إن كانت اسلاميه،هذا الكيان المستقبل يعتمد على الشعائر الدينيه كالجماعه و الجمعه و الحج فى تقويه صلات افرادها مع بعضهم،و يعتمد على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و الدعوه و إرشاد الجاهل فى تحصنه امام التيارات الدخيله، و يعتمد فريضه العلم و ضروره نشره،و انفصال علماء الدين عن تبعيه السلطات فى الحقل الثقافى،و يعتمد على الخمس و الزكاه و الصدقات فى الجانب الاقتصادى.

و بالرغم من ان الخمس يدفع للإمام الذى ينوب مناب الرسول صلى الله عليه و آله فى قياده الامه،و لكن لا يعنى ذلك أبدا انه يدفع للدوله الا إذا كان رئيس الدوله هو الامام ذاته.هنالك يدفع اليه بدافع الايمان به،و انه يمثل الكيان الاجتماعى لا بصفته رئيس الدوله كالذى يحدث الآن-مثلا-فى الدوله الاسلاميه القائمه فى إيران حيث يعتبر القائد الأعلى لها هو امام الامه السيد الخمينى(دام ظله)بيد انه لا يستلم الحقوق الشرعيه كالخمس و الزكاه و الصدقات و النذور بصفته رئيسا للدوله،بل بصفته قائدا للأمه..و انما يدفع الخمس من يشعر بإيمان واقعى بضرورته و وجوبه.

موارد الخمس:

فی ای شیء یفرض الخمس؟

ظاهر الآیه ان الخمس مفروض علی الغنائم،و بالرغم من ان الکلمه تطلق الیوم علی غنائهم دار الحرب بید ان المعنی اللغوی لکلمه الغنیمه لا یختص بما یحصل علیه المحاربون فی ساحه القتال.و فی عصر نزول القرآن لم تکن هذه الکلمه قد أصبحت خاصه بهذا المعنی بالذات لذلک قال الراغب:الغنم(بفتحتین)معروف قال:

«وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُما» و الغنم(بالضم فالسکون)إصابته و الظّفر به،ثم استعمل فی کل مظفور به من جهه الأعداء و غیرهم،قال: «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ» «فَکُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَیِّباً» المغنم ما یغنم،و جمعه مغانم قال: «فَعِنْدَ اللّهِ مَغانِمُ کَثِیرَهٌ» (۱).

من هنا وجب الخمس علی کل ما یکتسبه و یغنمه الفرد،و هو ضروره دفاعیه، و بهذه المناسبه ذکر القرآن هذه الفریضه ضمن آیات القتال،کما ذکر ربنا الإنفاق فی سبیل اللّه و الجهاد بالمال ضمن الحدیث عن الحرب و الجهاد بالنفس.

وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ

وجوه صرف الخمس:

حینما ینسب شَیْءٍ الی اللّه فان معناه تحرره عن امتلاک الناس.اما امتلاک الرسول و ذوی قرباه فلا یعنی امتلاکهم للمال بصفتهم اشخاصا.بل لأنهم یمثلون

۱- ۱) تفسیر المیزان-العلامه الطباطبائی/ج ۸۹/۱۰

قياده المجتمع،اما اليتيم فهو الذی مات أبوه و لم يبلغ الحلم،و المسكين المحتاج الذی أسكنه الفقر عن ضرورات حياته،اما ابن السبيل فهو عابر السبيل الذی انقطعت به الطريق فلا بد من توفير ما يبلغه محله.

و جاء فی الحديث المأثور عن العبد الصالح عليه السلام انه قال:

(الخمس فی خمسه أشياء:من الغنائم(يعنی غنائم دار الحرب حسب المصطلح فی ذلك العصر المتأخر)و الغوص و من الكنوز و من المعادن و الملاحه يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمسه فيجعل لمن جعل اللّه له،و يقسم اربعه أخماس بين من قاتل عليه و ولی ذلك.

و يقسم بينهم الخمس الخامس علی سته أسهم.سهم للّه تعالی،و سهم لرسوله صلی الله عليه و آله و سهم لذی القربی، و سهم لليتامی،و سهم للمساكين،و سهم لأبناء السبل،فسهم اللّه تعالی و رسوله لاولی الأمر من بعد رسول اللّه وراثه فله ثلاثه أسهم.سهمان وراثه،و سهم مقسوم له من اللّه،فله نصف الخمس كلاّ،و نصف الخمس الثانی يقسم بينهم علی الكتاب و السنه ما يستغنون به فی سنتهم.فان فضل منه شیء فهو للوالی،و ان عجز أو نقص عن استغنائهم كان علی الوالی ان ينفق عنهم ما عنده ما يستغنون به،و انما صار عليه ان يمونهم لان له ما فضل عنهم،و انما جعل اللّه هذا الخمس خاصه لهم دون مساكين الناس و أبناء السبيل عوضا لهم عن صدقات الناس تنزيها من اللّه لقرابتهم من رسول اللّه،و كرامه من اللّه لهم عن أوساخ الناس،فجعل لهم خاصه من عنده و ما ينقيهم به ان يعيدهم فی موضع الذل و المسكنه،و لا بأس بصدقه بعضهم علی بعض.

جاء فی كتاب الدر المنثور عن ابن المنذر عن عبد الرحمن بن أبی ليلی قال سألت عليا عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين اخبرنی كيف صنع ابو بكر و عمر(رض)فی الخمس نصيبكم؟فقال عليه السلام :

(اما ابو بكر(رض)فلم يكن فى ولايته أخماس و اما عمر(رض)فلم يزل يـدفعه الىّ فى كل خمس السوس و جنـد نيسابور،فقال و انا عنـده:هـذا نصـيبكم أهل البيت من الخمس،و قـد أهل ببعض المسـلمين و اشـتدت حاجتهم فقلت:نعم، فوثب العباس بن عبد المطلب فقال:لا تعرض فى الذى لنا،فقلت:السـنا من ارفق المسلمين و شفع أمير المؤمنين،فقبضه،فو اللّه ما قبضناه و لا قدرت عليه فى ولايه عثمان(رض) (۱).

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلىٰ عَبْدِنٰا يَوْمَ الْفُرْقٰانِ اى ادفعوا الخمس ان كنتم آمنتم باللّه و برسالاته التى أنزلت على عبـده و رسوله محمد صلى الله عليه و آله يوم تميز الطيب عن الخبيث بالحرب.

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰانِ جمع الايمان و جمع الكفر.

وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر لنصره المؤمنين برسالته على أعدائهم.و حين تنتصر الرساله فذلك يكون دليلا واضحا على صدق برامجها و صوابها،و كل فكره يجب ان تقاس بالعقل و بالمكاسب الواقعيه التى تحققها.

القضاء و القدر

[۴۲]بالرغم من ان المؤمنين كانوا فى مواقع أسوأ من موقع أعدائهم إذ كانوا

ص:۶۳

۱- ۳) تفسير الميزان/ج ۱۰/۱۰۳-۱۰۵

أسفل الوادی بینما أعداؤهم فی أعلاه.

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوىٰ وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ العدوه شفیر الوادی-و للوادی شفیران ادنی و أقصی.بینما العیر الذی کان یحمل تجاره قریش کان أسفل من الجمعین،حیث کان علی بعد ثلاثه أیام من ارض المعرکه ای علی شاطئ البحر الأحمر.

لقد کانت الحرب مفاجئه بالنسبه الی المسلمین فی بدر،حیث کان الهدف الاصلی للحمله فک الحصار الذی فرضه الکفار علی المسلمین،و لو ان المسلمین کانوا یعلمون أنّه بدل القافله المحمله بأنواع السلع الضروریه لمجتمع محاصر سوف یلقون الف محارب مجّهز و هم زهاء ثلاثمائه و ثلاثه عشر رجلا-لم یکتمل تجهیزهم للمعرکه.لو کانوا یعلمون ذلک إذا تخلفوا عن المعرکه.

وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ و لکن اللّه هو الذی قدّر الحرب لحکمه بالغه.

وَ لٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً بین القضاء و القدر فرق هو ان القدر:هو ما یسنه اللّه للکون من انظمه،بینما القضاء هو تنفیذ تلک السنن أو تدخل مباشر للغیب لتغییر مجری الأقدار.و کانت هزیمه الکفار من قضاء اللّه فی تلک الفتره،بینما قدر اللّه کان یقضی بهذه الهزیمه بالتالی.

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ بعد الانتصار الساحق للامه علی اعدائها فی حرب بدر،تحقق انتشار الرساله

الاول:ان الرساله قد حققت صدق نبوءتها.

الثانی:ان عقبه الخوف و الدعایات الباطله و التسلط الجاهلی قد ارتفعت عن طریق الرساله،فالآن بإمکان الجمیع ان یستجیب للرساله من دون عقبه.فاذا آمن فانما آمن بعقله،و إذا کفر فسوف یلقی حقه بعد وضوح الحجه علیه.

وَ إِنَّ اللّٰهَ لَسَمِیعٌ عَلِیمٌ

تدبیر اللّه:

[۴۳]و کان من تدبیر ربنا الحکیم انه اری رسوله صلی الله علیه و آله العدو قلیلا تشجیعا علی محاربته،بینما قلل المسلمین فی أعین العدو حتی استهانوا بقوه الایمان و سلامه البرامج العسکریه و حکمه القیاده الرشیده التی یملکونها.

إِذْ یُرِیکَهُمُ اللّٰهُ فِی مَنٰامِکَ قَلِیلاً وَ لَوْ أَرٰاکَهُمْ کَثِیراً لَفَشِلْتُمْ ای إذا ذهب ما عندکم من عزیمه و همه عندئذ یشتدّ الخلاف بینکم شأنه شأن کل مجتمع یفقد اندفاعه نحو هدف مشترک و مقدس.

وَ لَتَنٰازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ و اعطی للمؤمنین السلامه و الأمن.

إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ انه محیط بما لا یزال فی قلوب المؤمنین من عوامل الخوف و الهلع.

[۴۴]و حتی فی بدایه المعرکه اری اللّه المسلمین جمع الکفار قلیلا بالرغم من

كثرتهم الظاهريه،فاستعد المسلمون للنزال بقلوب شجاعه.اما العدو فقد أراه اللّه المسلمين قله،و لم يستعد للمواجهه الحاسمه أو لم يستعد خوفا بل استهانوا بهم،كل ذلك لكى تتم المعركه بهزيمه العدو.فانتشار الرساله.

وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً بالرغم من انهم زهاء الف.

وَ يُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فهو الذى يقضى فيها بحكمه الرشيد بالرغم من السنن و الأقدار الظاهره إلاّ ان هناك عوامل خفيه بعضها نفسيه و بعضها طبيعيه تلعب دورا حاسما فى اللحظات الهامه.مثلا فى الحمله الامريكيه على إيران بعد انتصار المؤمنين كانت هناك زوبعه رمليه غير محتسبه فى منطقه الحادث افشلت الحمله التى أعدت لها أكبر قوه عسكريه فى العالم عده أشهر،و زعمت انها غالبه اراده اللّه-حاشا للّه-انه عامل طبيعى يتدخل بطريقه غير منتظره فيغير مجرى تاريخ كامل.لان نهايات الأمور بيد اللّه مصير الأمور و مرجعها هى الاراده الأسمى لربنا الحكيم.

ص:۶۶

[سوره الأنفال (۸): الآیات ۴۵ الی ۴۹]

اشاره

یَا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذَا لَقِیتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اُذْکُرُوا اَللَّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۴۵) وَ أَطِیعُوا اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ وَ اِصْبِرُوا إِنَّ اَللَّهَ مَعَ اَلصَّابِرِینَ (۴۶) وَ لاَ تَکُونُوا کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیَارِهِمْ بَطَراً وَ رِئَاءَ اَلنَّاسِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اَللَّهِ وَ اَللَّهُ بِمَا یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ (۴۷) وَ إِذْ زَیَّنَ لَهُمُ اَلشَّیْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لاَ غَالِبَ لَکُمُ اَلْیَوْمَ مِنَ اَلنَّاسِ وَ إِنِّی جَارٌ لَکُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ اَلْفِئَتَانِ نَکَصَ عَلیٰ عَقِبَیْهِ وَ قَالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَریٰ مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّی أَخَافُ اَللَّهَ وَ اَللَّهُ شَدِیدُ اَلْعِقَابِ (۴۸) إِذْ یَقُولُ اَلْمُنَافِقُونَ وَ اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلاَءِ دِینُهُمْ وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اَللَّهِ فَإِنَّ اَللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۴۹)

اللغه

۴۶[تذهب ریحکم]:تتلاشی قوتکم و دولتکم.

۴۷[بطرا]:البطر الخروج من موجب النعمه من شکرها و أصل البطر الشق.

۴۸[تراءت]:التقت.

[نکص علی عقبیه]:ولی مدبرا.

ص:۶۷

عوامل الانتصار

هدی من الآیات:

اللّه ینصر المؤمنین و لکن اللّه حکیم لا ینصر الا من وفر فی نفسه عوامل الانتصار الظاهریه و الخفیه..و فی هذا الدرس یوصینا اللّه ببعض تلک العوامل.

اولا:الثبات و عقد العزم علی الاستقامه.

ثانیا:ذکر اللّه کثیرا.

ثالثا:الطاعه التامه للّه و للقیاده الرسالیه.

رابعا:تجنب الخلافات الجانبیه،لأنها تسبب فشل القلب و توانیه و ذهاب الهمه و التطلع عنه.

خامسا:الصبر و تحمل الصعاب لان اللّه مع الصابرین.

اما عوامل الهزیمه التی یذکرنا اللّه بها فهی:

اولا:الخروج الى المعركه بطرا مغرورين بالنعم،غير مفكرين بعواقب الأمور.

و كذلك الخروج رياء.

ثانيا:ان يكون هدف المعركه خبيثا مثل الصد عن سبيل اللّه،و التسلط على رقاب الناس،غفله عن ان اللّه محيط بهم.

ثالثا:الخداع الذاتى،و الزعم بان كل عمل يصدر منهم فهو صحيح.

رابعا:الغرور بالقوه التى لديهم.

خامسا:الاعتماد على الشيطان و اهوائه.

و هكذا اعتمد الكفار على خداع الشيطان فانهزموا،إذ ان الشيطان خدعهم و تركهم فى ساحه الحرب يواجهون السيوف و الحرب وحدهم و تبرأ منهم و قال: إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ .

و فرق بين الغرور و بين التوكل على اللّه.و المنافقون لا يعرفون هذا الفرق فيزعمون ان الاعتماد على الدين الصحيح و على اللّه،كالاعتماد على الخرافات و أقوال الشيطان.كلا.. أَنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ ،بعزته يكسر شوكه الكفار،و بحكمته ينصر المؤمنين عليهم.

بينات من الآيات:

شروط الانتصار:

[۴۵]أول شروط الانتصار،هو عقد العزم على الاستقامه و الثبات مهما كلف الأمر..كما

قال الامام على عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفيه لما أعطاه الرايه يوم الجمل:

«تزول الجبال و لا تزل.عضّ على ناجذك.أعر اللّه جمجمتك.تد فى الأرض

قدمک.ارم ببصرک أقصی القوم و غضّ بصرک،و اعلم ان النّصر من عند اللّه سبحانه » (۱).

و لکن العزم علی الثبات بحاجه الی تنمیه الاراده و شحذ العزم و ذلک عن طریق تحقیق الشرط الثانی للانتصار..و هو ذکر اللّه ذکرا کثیرا.لان ذکر اللّه یوجه المرء الی أوامره الرشیده،و الی وعده و وعیده بالثواب أو بالعقاب،و الی آلائه التی تشکر، و رضوانه الذی یرجی و حبه الذی یتطلع المؤمن الی الشهاده من اجله.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا لَقِیتُمْ فِئَهً فَاثْبُتُوا وَ اذْکُرُوا اللّٰهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ الفلاح یأتی بالنتیجه بعد شرطی الثبات عند اللقاء،و ذکر اللّه کثیرا.

[۴۶]اما ثالث شروط النصر.فهو الطاعه للّه بتنفیذ برامجه و الطاعه للرسول و للقیاده الرسالیه التی تحکم باسم اللّه من أجل تنفیذ أوامره الیومیه.

وَ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ و من ابرز فوائد الطاعه الوحده،و نبذ الخلافات،و رد کل الخلافات الی حکم اللّه و رسوله.

وَ لاٰ تَنٰازَعُوا و لکن لماذا یجب تجنّب النزاع؟ اولا:لأنه یضعف الاراده و یبعث الوهن فی النفس.

۱- ۱) -نهج البلاغه ص ۵۵ خطبه ۱۱

ثانیا:لأنه یذهب بالکرامه و العزه و التطلع،و بالتالی یدّمر کل فریق شخصیه الفریق الثانی،و من تحطمت شخصیته و هانت نفسه علیه فانه لا یحارب عدوه،و لا یری نفسه کفؤا للصراع مع منافسیه.

فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ من هنا نعرف ان القیاده التی یعیش المجتمع تحت ضلالها الصراعات لیست بقیاده حقیقیه کما عرفنا ان من عوامل النصر غیر المنظوره هی إعطاء الثقه و الکرامه للمحاربین،و عدم الاستهانه بهم أبدا.

اما الشرط الآخر للنصر بعد الطاعه فهو الصبر،و تحمل الصعاب بانتظار المستقبل المشرق.

وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِینَ یؤید و یسدّد خطاهم.و حیث یکون الصبر تکون الاستراتیجیه الطویله الأمد، و الاستمرار فی تنفیذ الخطه،و تحمل الجراح و الجد و النشاط فی العمل،أملا فی المستقبل،و ربما هذه المنافع و غیرها بعض ما یعنیه ان یکون اللّٰه مع الصابرین.

[۴۷]حین یکون هدف القتال مقدسا،تخدم الطبیعه و الصدفه المحاربین و یسدد اللّٰه خطاهم اما إذا فسدت نیه المحارب فقاتل من أجل الفخر و الرغبه فی ذکر اسمه فی الاندیه،أو حارب لأجل اعتقاده بأنه اسمی من غیره لما رزقه اللّٰه من نعم الحیاه.

وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ بَطَراً وَ رِئٰاءَ النّٰاسِ حین یشعر الفرد بالاستغناء و اکتمال حیاته المادیه،یأخذه الغرور فیخرج من

بیته لاستغلال الآخرین و التسلط علیهم و إثبات قوته و سطوته.

«و جاء فی التفاسیر عن ابن عباس:لما رأی أبو سفیان انه أحرز عیره أرسل الی قریش ان ارجعوا فقال ابو جهل:و اللّه لا نرجع حتی نرد بدرا(و کانت بدر موسما من مواسم العرب یجتمع لهم بها سوق کل عام)فنقیم بها ثلاثا و تفرق علینا القیان و تسمع بنا العرب فلا یزالون یهابوننا أبدا،فوافوها فسقوا کؤوس المنایا و ناحت علیهم النوائح.

ان هذه الواقعه التاریخیه واحده من مصادیق الحرب التی تشعلها نزوه شخص واحد یرید ان یصبح من ورائها بطلا معروفا کما أراد هتلر ذلک،و کما سعی وراءها صدام فی العراق فمن أجل ان یصبح بطل القادسیه الجدیده،أشعل نار الحرب فکان هو و نظامه أول المحترقین فیها.

و هناک حرب قذره اخری تشعلها مجموعه منظمه تهدف إیقاف توسع الرساله کالحرب الامبریالیه ضد الثورات التحرریه.و کما الحروب المنظمه التی قادتها الجاهلیه ضد رساله الإسلام.

وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ اللّهُ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ

دوافع القتال عند الکفّار:

[۴۸]ثلاثه عوامل نفسیه تدفع الکفار الی خوض غمار الحروب الطاحنه لهم:

الاول:بسبب سلبیات أعمالهم.فمع کل عمل سیء تنمو شاذه فی النفس، فالظلم البسیط یبسط ضبابا قاتما علی القلب و کلما یکبر الظلم یتکثف الضباب فیصبح سحابا،فسحابا داکنا فمتراکما فحجابا من الظلمات،یرین علی القلب، و هکذا تتکرس عاده الظلم عند مرتکبه حتی یری الظلم أصلا ثابتا من الحیاه بینما

العداله شذوذا و جريمه.ان العنصريين و الرأسماليين و الشوفينيين يرون المتمردين و الثوار عليهم،يرونهم خارجين عن العرف و العقل و الصواب،ذلك لان تراكم سلبيات العمل السيء على قلبهم جعلت الأعمال حسنه فى أعينهم.

وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ الثاني:الغرور،و الاعتقاد بان قوتهم أكبر من القوى الاخرى،و ربما تنشأ هذه الحاله النفسيه من الاعتقاد المضخم بالذات..لذلك حكى ربنا سبحانه عنهم و قال:

وَ قٰالَ لاٰ غٰالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّٰاسِ الثالث:يخيّل الى قلب الكافر ان هناك بعض الناس يؤيدونهم و ذلك بسبب بعض المواعيد الفارغه لذلك قال الشيطان:

وَ إِنِّي جٰارٌ لَكُمْ

ساعه المواجهه!

اما هذه الدوافع النفسيه ما هى الا سراب سرعان ما تتكشف حقيقته.

فَلَمّٰا تَرٰاءَتِ الْفِئَتٰانِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ وَ قٰالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرىٰ مٰا لاٰ تَرَوْنَ إِنِّي أَخٰافُ اللّٰهَ وَ اللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقٰابِ فى ساعه المواجهه الحقيقيه يعرف الكفار أن أعمالهم خبيثه و باطله،و ان كيدهم ضعيف،و ان أنصارهم المزعومين قد تبخروا و تلاشوا.

الشيطان تولى يوم المواجهه،و تبرأ حتى من أقواله و مزاعمه السابقه،و خشى من اللّه،و خاف العاقبه السوء التى تنتظر فريقه.

ص:۷۴

و إذا حدث هذا فی بدر بصوره مجسده کما جاء فی حدیث مأثور،فان ذلک انما هو مثل ظاهر لواقع الکفار مع من یخدعهم من شیاطین الجن و الانس،و النکوص علی العقب هو العوده قهقری.

و قد یکون الشیطان الغاوی أولئک الضعفاء المنهزمون نفسیا،الذین یتزلفون الی قاده العدو للحصول علی المکاسب،و عاده ما یکون هؤلاء أشد تطرفا من غیرهم فی طرح الشعارات و التهدیدات،و لکنهم أول المنهزمین الذین یبررون هزیمتهم بمعرفتهم بأمور لا یراها الآخرون.

[۴۹]فی الجانب الاسلامی توجد أیضا عناصر ضعیفه مثل المنافقین الذین یرون مبادره المؤمنین بالقتال نوعا من الغرور الذی یدفعهم الیه دینهم الجدید،و ایمانهم بفکره الرساله.

إِذْ یَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلاٰءِ دِینُهُمْ و المرض قد یکون النفاق و قد یکون الخوف و الرهبه من العدو.

و نسی هؤلاء ان الکفار یفقدون قدره التوکل علی اللّه و مدی ما فی التوکل من بعث الروح الرسالیه المندفعه.

وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ

[سوره الأنفال (٨): الآيات ۵٠ الی ۵۶]

اشاره

وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلْمَلاٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبٰارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلْحَرِيقِ (۵٠) ذٰلِكَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اَللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ (۵۱) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اَللّٰهِ فَأَخَذَهُمُ اَللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (۵۲) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهٰا عَلىٰ قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۵۳) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كٰانُوا ظٰالِمِينَ (۵۴) إِنَّ شَرَّ اَلدَّوَابِّ عِنْدَ اَللّٰهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۵۵) اَلَّذِينَ عٰاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لاٰ يَتَّقُونَ (۵۶)

ص:۷۶

الكفار يصنعون جزاءهم بأيديهم

هدى من الآيات:

بعد ان أوضحت آيات الدرس السابق عوامل النصر و الهزيمه،تشجعنا آيات هذا الدرس على الحرب ضد الكفار..دون لين أو هواده،لأنهم منبوذون عند اللّه بكفرهم،و تعاملهم ملائكه العذاب بقوه،يضربون وجوههم و ادبارهم،و يقولون لهم بشماته ذوقوا عذاب الحريق..فهل غضب اللّه عليهم عبثا؟أم بسبب استحقاقهم للعذاب لما قدمت أيديهم و صنعته أفعالهم لان اللّه ليس بظلام للعبيد سبحانه؟مثلا قوم فرعون و الذين كفروا بآيات اللّه انما أخذهم اللّه بذنوبهم لكفرهم،لأنه لا يمر الكفر بدون عقاب لان اللّه قوى شديد العقاب.و عموما اراده البشر تصنع حياته و مستقبله و لا يغير اللّه نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طيب فى القلب و صلاح فى العمل،فتفسد نياتهم و تسوء أفعالهم.هذا قوم فرعون انما أخذهم اللّه بذنوبهم و أغرقهم حين كذبوا بآيات اللّه و كانوا ظالمين.ان اللّه لا يحب الكفار، و يعتبرهم شر الأحياء التى تدب و تتحرك فوق الأرض،فالكفار هم الذين ينقضون

عهدهم،و لا یتقون ربهم لذلک یمقتهم اللّه و یأمر بقتالهم کما یأتی فی الدرس القادم.

بینات من الآیات:

القیم فوق کل شیء:

[۵۰]المهم عند اللّه القیم التی یستهدفها المرء بعمله،فهی دون لون البشر و أسلوب التحدث و الطول و العرض.و الغنی و الفقر،فهی المقیاس لذلک فان اللّه لا یعبأ بالبشر الذین کفروا بآیاته،و انها ظاهره غریبه!ان اللّه الذی أسبغ نعمه ظاهره و باطنه علی الإنسان و لکنه یعامل الکفار بهذه الطریقه.

وَ لَوْ تَریٰ إِذْ یَتَوَفَّی الَّذِینَ کَفَرُوا الْمَلاٰئِکَهُ یَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبٰارَهُمْ و خلفهم و هم یقولون ازدراء بهم.

وَ ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِیقِ [۵۱]فلما ذا یأخذ اللّه الکفار بهذه الشده؟یجیب ربنا و یقول:

ذٰلِکَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ الید ابرز عضو فی جسد البشر.و حین یقول ربنا قدمت أیدیکم یتبین ان اراده البشر و أقرب أعضائه الیه یده التی صنعت هذا الواقع مقدما و لو لم یکن ذلک لکان ینسب الی ربنا انه ظلام للعبید،کثیر الظلم لهم بینما الصفه المعروفه لنا عن ربنا انه رحیم و دود بسبب مزید نعمه التی لا تحصی.إذا فعملنا و لیس شیء آخر هو سبب العذاب.

ص:۷۸

وَ أَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ فهم عبيده فلما ذا يظلمهم؟هل يتلذذ بظلمهم(حاشاه)و هو الغنى الحميد،أم يخشى منهم سبحانه و هو القوى العزيز.

[۵۲]و كمثل ظاهر من واقع التاريخ هذا،قوم فرعون هل ظلمهم اللّه أم أخذهم الواقع الفاسد الذى صنعته أيديهم؟ ان ذنوبهم التى أحاطت بهم فاخذهم اللّه بها اى جعلها تلتف حول أعناقهم.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اى كالعاده التى جرت فى آل فرعون.

وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقٰابِ فلا يتهاون فى معاقبه من يستحق العقاب ضعفا ماديا أو معنويا سبحانه.

[۵۳]ذلك فيما يتصل بسنه اللّه فى الآخره،اما سنته الأظهر لنا فيما نراها من تطور المجتمعات فما دام الناس مستقيمين على القيم السماويه و العمل الصالح، فان نعم اللّه تشملهم و بركاته تترى عليهم،و إذا غيروا قيمهم و سلوكهم غير اللّه عاده الإحسان الى النكبه و الدمار.

ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهٰا عَلىٰ قَوْمٍ حتى يغيروا ذلك العوامل الذى أنعم اللّه الحكيم بسببها تلك النعمه عليهم،لقد أنعم اللّه على مجتمع ما نعمه الحريه بسبب توحيدهم و رفضهم للاستسلام اما ضغوط

ص:۷۹

الجبت و الطاغوت،و أنعم عليهم الصحه بسبب استقامتهم على الفطره الاوليه التى خلقهم بها،و أنعم عليهم بنعمه الراحه النفسيه بسبب مكارم الأخلاق و سلامه السلوك و التربيه.

حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ اى يبدلوا صفات الخير المتعلقه بأنفسهم الى صفات السوء.

وَ أَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع ما فى ظاهر المجتمعات،و يعلم ما فى صدورهم.

[۵۴]مثلا:سنه اللّه فى آل فرعون كيف ان ربنا أنعم عليهم بالأمن و الرفاه و جنات تجرى من تحتها الأنهار،حتى طغوا و بدلوا صفه و علاقه التعاون بينهم الى علاقه الاستغلال،و صفه النشاط فى عمل الصالح الى صفه التوانى أو المبادره فى عمل الفساد و هكذا فبدل اللّه نعمه و أرسل عليهم الطوفان فدمر مدنيتهم،و أرسل عليهم القمل و الدم و الضفادع،بدل الثمرات و الأرزاق و أرسل عليهم رياح الثوره فاقتلعت جذورهم و رماهم ربهم فى البحر.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ رَبِّهِمْ اى بحجج اللّه و بيناته و رسالاته البليغه التى وضحت لهم برنامج الحياه السعيده.

فَأَهْلَكْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كٰانُوا ظٰالِمِينَ و من دون الظلم الذاتى و قيامهم بما يستوجب العقاب إذا لم يكن ربنا الودود يأخذهم بهذه العقوبه الشديده،يبدو من كلمه(كل)ان جميع المغرقين كانوا ظالمين

لأنفسهم.

[۵۵]و يستخلص السياق القرآنى الفكره الاصيله لهذا الدرس و هى:ان مقياس الصلاح و الفساد عند اللّه فى البشر هو الايمان و الكفر،و ليس أىّ شىء آخر، و انه أسوأ الناس بل شر الأحياء الكافر.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ فالكافر الذى تاب.الى ربّه و آمن ليس شر ما يدب و يتحرك على الأرض،بل الذى بقى مستمرا على كفره و ضلاله برغم وجود نور فى قلبه يهديه الى الحق.

[۵۶]و لكن يبقى سؤال:لماذا يهبط الكافر الى هذا الحضيض الأسفل عند اللّه؟ الجواب:

اولا:لان الكافر لا عهد له،فهو لا يحترم نفسه و لا الآخرين،و يلغى بذلك دوره فى الحياه و يصبح كأنه لا وجود له و لا حضور فى المجتمع،فتراه يعاهدك ثم ينقض عهده معك،ثم يعود يعاهدك فيخالف عهده مره اخرى.

ثانيا:انه لا يلتزم ببرنامج الرساله،بل لا يتعهد بمسؤوليه.

اَلَّذِينَ عٰاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّهٍ وَ هُمْ لاٰ يَتَّقُونَ

[سوره الأنفال (٨): الآیات ۵۷ الی ۶۳]

اشاره

فَإِمّٰا تَثْقَفَنَّهُمْ فِی اَلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ (۵۷) وَ إِمّٰا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیٰانَهً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلیٰ سَوٰاءٍ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ اَلْخٰائِنِینَ (۵۸) وَ لاٰ یَحْسَبَنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاٰ یُعْجِزُونَ (۵۹) وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِبٰاطِ اَلْخَیْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اَللّٰهِ وَ عَدُوَّکُمْ وَ آخَرِینَ مِنْ دُونِهِمْ لاٰ تَعْلَمُونَهُمُ اَللّٰهُ یَعْلَمُهُمْ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَیْءٍ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ (۶۰) وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهٰا وَ تَوَکَّلْ عَلَی اَللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۶۱) وَ إِنْ یُرِیدُوا أَنْ یَخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اَللّٰهُ هُوَ اَلَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ (۶۲) وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۶۳)

اللغه

۵۷[تثقفنهم]:الثقف الظفر و الإدراک بسرعه.

[فشرد بهم]:التشرید التفریق علی اضطراب.

۵۸[خیانه]:الخیانه نقض العهد فیما أو تمن علیه.

[فانبذ]:النبذ إلقاء الخبر الی من لا یعلمه.

[سواء]:السواء العدل.

ص:۸۲

استراتيجيات القتال:

اشاره

الردع.السلام الشريف.الاعداد

هدى من الآيات:

بعد ان بين الدرس السابق طبيعه الكفار و ضروره قتالهم،امر اللّه فى هذا الدرس بالحرب الرادعه التى تلقى الرعب فى افئده الأعداء خلف المعركه عن طريق إنزال الضربات القويه بمن هم فى الجبهه،و إذا خشى المسلمون خيانه من العدو فعليهم ان ينذروهم و يهددوهم بالغاء المعاهده.

و ليعلم المسلمون ان الكفار ليسوا بسابقين،و انهم لا يستطيعون تعجيز المسلمين و لكن على المسلمين ان يعدّوا كل قوه ممكنه لردعهم و ردع القوى الحليفه لهم من المنافقين الذين لا يعلم بهم سوى اللّه.و فى سبيل دعم القوى المسلحه لا بد من بذل المال الذى لا يذهب هدرا و لا يؤخذ زياده.

و إذا مال العدو الى الصلح فعلى المسلمين الا يخشوا من الصلح بل يتوكلوا على اللّه،و يقبلوا بالصلح،و اللّه سميع عليم.ذلك لان العدو لا يستطيع تحقيق احلامه، و علينا ان نعتمد على نصر اللّه الذى ايدّ رسوله و المؤمنين بنصره،و من آيات نصره انه

ص:٨۴

سبحانه ألف بين قلوبهم و أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

بينات من الآيات:

الاجراءات الهجوميه فى العسكريه الاسلاميه:

[۵۷]ما هو الهدف القريب للعسكريه الاسلاميه؟ الهدف هو الهجوم الصاعق و الماحق على العدو بغيه تحطيمه عسكريا و الحاق الهزيمه بمعنويات حلفائه من أجل ان يتركوا طغيانهم و يعودوا الى العقل.

فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ اى إذا أدركتهم فى ساحه الحرب.

فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ اى العدو الذى يدعمهم من خلف.

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ اى يعودوا الى رشدهم.

الخيانه و نقض العهد:

[۵۸]و حين تخاف من قوم خيانه بالعهود و المواثيق،فلا بد ان تعلمهم بخيانتهم و تهددهم بالحرب،و إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ .

وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ اى عاملهم فى قضيه العهد كما هم يعاملونك دون ان تتجاوز ذلك و يدعوك

ص:۸۵

نقضهم للعهد الى الاعتداء عليهم لان اللّه تعالى لا يحب الخائنين.و اما هم فان خيانتهم سوف تسبب لهم ضررا و لان اَللّهَ لاّ يُحِبُّ الْخائِنِينَ .

[۵۹]و الذين كفروا يزعمون انهم أقوى و أحق بالحكم،لأنهم السابقون،و ان بامكانهم-بسبب هذا السبق و التقدم الزمنى-ان يقضوا على قوه المسلمين و يعجزوهم و لكن كلا.

وَ لاٰ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاٰ يُعْجِزُونَ ان السبق الزمنى مع الكفر لا يعنى شيئا فالكفر يعمى البصر و يغلق القلب و يشوش الرؤيه.

[۶۰]و لكن متى لا ينفع السبق؟ حين يكون هناك سعى دائب من أجل الحصول على القوه الذاتيه.و هذا السعى يعنى عده أمور:

الاول:الاستعداد للمستقبل،و الا يكون العمل فى لحظه الحاجه فقط.

الثانى:ان يكون هذا الاستعداد بالنشاط المكثف الذى لا يدع امكانيه و لا مقدره و لا جهدا و لا فرصه الا و تستغل من أجل بناء القوه الذاتيه.

الثالث:ان يكون الهدف هو التغلب على كل نقاط الضعف و كل الثغرات الامنيه و الاجتماعيه.

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ و هكذا يأمرنا ربنا بتقويه أنفسنا بما نملك من استطاعه اى تحويل طاقاتنا

الکـامنه فی أنفسـنا الی کیـان واقعی..یجب ان یتحول الفکر و العقـل الی علم و خـبره، و الخـبره الی ابنیه و عمـارات و فنـادق،و کذلک المقدره الجسدیه یجب ان تتحول الی اسلحه و أدوات و صناعات مختلفه.

کمـا ان البرامـج الفکریه الاسـلامیه یجب ان تتحول الی قوه اجتمـاعیه متماسـکه،اما المعادن و الـذخائر فیجب ان تتحول الی قوه اقتصادیه و ثروه مالیه.

و لکن القوه یجب الا تکون فقط فی تعبئه القوی البشـریه و المادیه فی صـناعه الاسـلحه،بل یجب ان یبلغ حد الاسـتعداد لخوض القتال مباشره لذلک أکّد ربنا سبحانه علی هذه الجهه قائلا:

وَ مِنْ رِبٰاطِ الْخَیْلِ اما الهـدف الا بعـد للاسـتعداد فلیس مجرد القـدره علی الـدفاع،بل القـدره علی الهجوم فیما لو اختار العـدو الاعتداء علی المسلمین حتی یلقی فی افئدته الرعب.

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّٰهِ وَ عَدُوَّکُمْ کما ان بناء القوه الذاتیه الرادعه تمتن الجبهه الداخلیه و لا تدع ضـعاف النفوس یرتبطون بالأجنبی ابتغاء العزّه و القوه.

وَ آخَرِینَ مِنْ دُونِهِمْ لاٰ تَعْلَمُونَهُمُ اللّٰهُ یَعْلَمُهُمْ و بناء القوه الذاتیه بحاجه الی العطاء،و هذا العطاء سوف لا یذهب عبثا بل یعود الی المجتمع و زیاده.

وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَیْءٍ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ

اى يعود إليكم وافيا غير منقوص.

وَ أَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ [۶۱]و الاستعداد للقتال لا يعنى انبعاث روح البطش و الاعتداء فى الامه،بل من الضرورى ان يكون انضباط الامه بمستوى قوتها،و ان يهتموا بالسلام أكثر من اهتمامهم بالحرب.

وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهٰا و قرار السلم يجب ان تتخذه القياده،و يجب الا يدفع الخوف من اعتداء العدو علينا،لا يدفعنا نحو المبادره بالهجوم بل لمقاومه هذا الضعف النفسى و هذا الخوف يجب ان نتوكل على اللّه تعالى.

وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

أسباب الحروب:

[۶۲]ان الدافع الاساسى لكثير من الحروب الداميه،هو الخوف المتبادل من هجوم الطرف الاخر.و إذا كان عند أحد الطرفين اطمئنان كاف بالقدره،فانه لا يهاجم خوفا من الطرف الاخر و لا يستجيب لاستفزازاته..لذلك يؤكد ربنا سبحانه على ضروره التوكل على اللّه تعالى و الثقه بنصره،و عدم الاستجابه لهاجس الخوف من العدو للقيام بحرب وقائيه.

وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ [۶۳]و كان من ابرز آيات نصره لك هو توحيد جبهتك الداخليه،حيث ان اللّه هو الذى الف بين قلوب المؤمنين.

وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ و تأليف القلوب يبدو فى الظاهر عمليه بسيطه بينما هو مستحيل من دون تأييد اللّه.

لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مٰا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ حين هداهم الى توحيده و زكاهم عن الذاتيات، و بعث إليهم كتابا و رسولا يعتصمون بحبله عن طريق تطبيق برامج كتاب الوحده و تنفيذ أوامر الرسول القائد صلى الله عليه و آله .

إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ص:٨٩

[سوره الأنفال (٨): الآیات ۶۴ الی ۶۹]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ حَسْبُكَ اَللّٰهُ وَ مَنِ اِتَّبَعَكَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۶۴) يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ حَرِّضِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلَى اَلْقِتٰالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صٰابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ (۶۵) اَلْآنَ خَفَّفَ اَللّٰهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صٰابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ مَعَ اَلصّٰابِرِينَ (۶۶) مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتّٰى يُثْخِنَ فِي اَلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ اَلدُّنْيٰا وَ اَللّٰهُ يُرِيدُ اَلْآخِرَةَ وَ اَللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۷) لَوْ لاٰ كِتٰابٌ مِنَ اَللّٰهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَخَذْتُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۶۸) فَكُلُوا مِمّٰا غَنِمْتُمْ حَلاٰلاً طَيِّباً وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۶۹)

اللغه

۶۲[یخدعوک]:الخدع و الخدیعه إظهار المحبوب فی الأمر مع المکروه.

۶۶[خفف]:التخفیف رفع المشقه بالخفه.

۶۷[عرض الدنیا]:متاع الدنیا.

ص:۹۰

بين القياده و الأمه:

اشاره

الثقه،التحريض،اقتحام الصعاب

هدى من الآيات:

و لا يزال السياق يحرض على القتال،و يبين بعض الجوانب الاساسيه من الحرب و أبرزها:الاعتماد على الجيش الاسلامى المسلح بالايمان،ذلك لأنه مع عشرين مؤمنا صابرا ينتصر الجيش الاسلامى على مائتين،اى عشره أضعافهم،و مع مائه ينتصرون على الف جندى كافر،ذلك لأنهم لا يفقهون.

و الرأى السديد يكسب الحرب قبل اليد الشجاعه،و إذا ضعف المسلمون-كما حدث بعدئذ-فان جيشهم يغلب ضعف عدوه فالمائه الصابره تغلب مائتين،و الالف الصابره تغلب ألفين لاهميه الصبر،و إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ .

و مره اخرى يذكرنا القرآن بأمرين:

الاول:ان تأييد اللّه لا يعنى ان يتوقف المسلمون عن التضحيه،فمن دون وجود مقاومه مسلحه لا يكون للرسول اسرى.

ص:۹۲

الثانی:یجب الا یکون هدف الحرب الحصول علی مغانم مادیه،و لو لا ان تقدیر اللّه کان انتصارکم علی العدو بالرغم من وجود ثغرات فی أنفسکم،مثل الرغبه فی عرض الدنیا إذا مسکم عذاب عظیم بسبب اخذکم المغانم.

ثم جاء الأمر القرآنی بحلیّه المغانم،و لکنه امر بالتقوی و عدم تجاوز الحد فی أخذ أو صرف المغانم.

بینات من الآیات:

دور القائد فی الحرب:

[۶۴]ان یثق القائد بجیشه و لا یستضعفه:انه شرط اساسی للنصر،لذلک امر اللّه نبیه الاکتفاء بما یملکه من الجیش.

یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللّٰهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ [۶۵]و لکن علی القائد ان یرفع أبدا معنویات جیشه.فان النقص المادی فی الجیش الرسالی سوف یعوض بالمعنویات المرتفعه.

یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتٰالِ ای ادفعهم نحو القتال.

مظاهر قوه المؤمنین:

إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صٰابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ ای عشره أضعاف العدو،و القرآن لم یقل ان یکن واحد یغلب عشره،أو کل فرد یساوی عشره افراد،ربما لان العشرین بما لدیهم من انسجام و تعاون و تلاحم

يقابل المائتين بما فيهم من اختلاف و تناقض.

وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ لا يعرفون اهميه الايمان و الصبر،و التضحيه ابتغاء الجنه و رضوان اللّه و سائر القوى المعنويه.

ان المعرفه تشبه كيانا متكاملا،فاذا أنهار ركن اساسى منه فتحت ثغرات واسعه فى كيان المعرفه..و الايمان باللّه و بالقيم ركن شديد فى بناء العلم أو ليست القيم و المعنويات جزء هام من العالم،و الذى يكفر بها لا يعرف العلم على حقيقته.أ رايت الأطفال الذين لا يحسنون التلفظ ببعض الأحرف كالدال و اللام و الراء و السين أنهم يشتبهون فى أكثر الكلمات،لان كثيرا من الكلمات تحتوى على هذه الأحرف فالذى يكفر باللّه لا يفقه حقيقه العلم لان جزء من حقيقه العلم لا أقل هو العبوديه و الخضوع للّه.

[۶۶]حين تكون الامه فى بدايه انطلاقها يكون أبناؤها صفوه المجتمع الذين بادروا الى الرساله الجديده بوعى كاف،و بإراده حديديه تتحدى الضغوط المحتمله، بل الواقعيه من قبل الاباء و الأقارب و المجتمع و السلطه.لذلك فقدرتهم على الدفاع كبيره،بالاضافه الى ان التوجيه مركز بالنسبه إليهم و الاراده منضبطه.لذلك فان العشرين منهم يعادلون مائتين،اما بعدئذ فالوضع مختلف إذ يكون الواحد يعادل اثنين فقط و ذلك بسبب الضعف.

اَلْآنَ خَفَّفَ اللّٰهُ عَنْكُمْ و لم يكلفكم بالهجوم ما دام عددكم أقل من نصف العدو.

وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً

من الناحيه المعنويه.

فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صٰابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّٰهِ فان انتصاركم انئذ ليس حتميا،بل انما هو بإذن اللّه،و مع تطبيق واجبات الشريعه.

وَ اللّٰهُ مَعَ الصّٰابِرِينَ [۶۷]و لا يمكن ان ننتظر الغنائم و المكاسب من دون تقديم تضحيات،فلا نبى يحصل على اسرى حتى يثقل الأرض بالقتلى و المجروحين.

مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ و الثخن و الغلظ و الكثافه بمعنى واحد.

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيٰا وَ اللّٰهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اى انكم تريدون المكاسب السريعه بينما اللّه يريد الاخره.

[۶۸]و لو لا كتاب ربنا سبق بنصر المؤمنين،إذا لكانوا يستوجبون عذابا شديدا بسبب تهافتهم على المغانم،بينما المفروض عليهم و هم امه رساليه ان يكفروا فى تبليغ الرساله،لا فى المكاسب الماديه،و ربما المراد من العذاب العظيم هو الهزيمه.

لَوْ لاٰ كِتٰابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَخَذْتُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ [۶۹]و لكن حرمه التفكير فى المكاسب الماديه من وراء الحرب لا تتعارض مع عداله التشريع الاسلامى فيما يخص غنائم الحرب إذ يجوز الاكل مما غنمه المسلمون

فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً و الاكل غير الامتلاك.

وَ اتَّقُوا اللّهَ فلا تتجاوزوا حدود العرف.

إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص:۹۶

[سوره الأنفال (۸): الآيات ۷۰ الی ۷۵]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ اَلْأَسْرىٰ إِنْ يَعْلَمِ اَللّٰهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّٰا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷۰) وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيٰانَتَكَ فَقَدْ خٰانُوا اَللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۷۱) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ اَلَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهٰاجِرُوا مٰا لَكُمْ مِنْ وَلاٰيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهٰاجِرُوا وَ إِنِ اِسْتَنْصَرُوكُمْ فِي اَلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ اَلنَّصْرُ إِلاّٰ عَلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۷۲) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ إِلاّٰ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي اَلْأَرْضِ وَ فَسٰادٌ كَبِيرٌ (۷۳) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ اَلَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۷۴) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا اَلْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۷۵)

اللغه

۷۲[آووا]:الإيواء ضم الإنسان غيره إليه بانزاله عنده و تقريبه له.

[ولايتهم]:الولايه عقد النصره للموافقه فی الديانه.

ص:۹۷

المسلمون امه واحده

هدى من الآيات:

بمناسبه الحديث عن الحرب،يوجه القرآن الكريم خطابه الى الأسرى و يسليهم بشرط ان تكون نيتهم حسنه،و يحذرهم إذا كانوا خونه،و يأمر الرسول بألا يخشاهم.

و يعود القرآن الى المقاتلين فى سبيل اللّه و يقول:ان الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا هم و الذين اووا هؤلاء و نصروهم يشكلون امه واحده،بعضهم أولياء بعض،اما الذين لم يهاجروا و لم يلتحقوا بدار الإسلام فإنهم لا ولايه لهم..اللهم الاّ فى حاله واحده و هى حاله استنصاركم ففى تلك الحاله يجب عليكم نصرتهم إلا إذا كان حربهم مع جماعه تربطكم بهم معاهده.

و كما ان المؤمنين امه واحده،فالكفار أيضا امه واحده،بعضهم أولياء بعض، و من دون القبول بهذه الفكره فان الأرض تعمها فتنه و فساد كبير.

المؤمنون حقا هم الذين هاجروا و الذين نصروا،اما الذين هاجروا من بعد قوه

الإسلام فإنهم يحسبون أيضا منكم،و كل هذه العلاقات و الروابط الجهاديه و الرساليه لا تمنع من وجود علاقات اخرى هى علاقات الرحم التى يجب ان تلاحظ هى الاخرى لان اللّه بكل شىء عليم.

بينات من الآيات:

كيف يوصى الإسلام بالأسرى؟

[۷۰]من أجل اعاده الشخصيه المفقوده لدى الأسير الكافر عند المسلمين و يعطيه أملا فى المستقبل،و لكى يصلح ضميره دون ظاهره يخاطب ربنا نبيه قائلا:

يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللّٰهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّٰا أُخِذَ مِنْكُمْ فقد أخذ منكم عرض الدنيا بينما يعطيكم الحياه الحقيقيه فى الآخره ثم ان الايمان الصادق و العمل الصالح فى ظل الإسلام سوف يوفر لهم تقدما ماديا و معنويا كاملا.

وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و لذلك فخير لكم إصلاح نفوسكم،و عدم الاكتفاء بالتظاهر بالايمان.

[۷۱]اما إذا لم تصلحوا أنفسكم و تنافقون،فان اللّه عليم حكيم،اما الرسول فعليه الا يضيق عليهم خشيه الخيانه لان اللّه أوسع علما و حكمه منهم، و هو ينصرك عليهم و على خياناتهم.

وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيٰانَتَكَ فَقَدْ خٰانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فلا يجوز الهلع من الأسرى لان اللّه الذى أمكن الرسول صلى الله عليه و آله منهم و اخضعهم

للرساله،انه سبحانه قادر على ان يمكنك منهم فى المستقبل أيضا.

صفات المجتمع الواحد:

[۷۲]المسلمون امه واحده لا فرق بين قريبهم و بعيدهم مواطنهم و غريبهم.

فالمهاجرون و الأنصار اخوه متحابين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِيلِ اللّهِ و كان ابرز مصاديق هؤلاء أولئك المسلمين الذين هاجروا من مكه الى المدينه.

و يصدق أيضا على أبناء حركات التحرر الاسلاميه و سائر الرساليين الذين يهاجرون من بلادهم التى يسود عليها الطاغوت ليجاهدوا فى سبيل اللّه و ينقذوا عباد اللّه من شر الطاغوت.

وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا مثل الأنصار من أهل المدينه و سائر المؤمنين الذين يستقبلون المجاهدين و يبذلون لهم كلما يملكون من مال و جاه.

أُولئِکَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ تربطهم صله الايمان و تجمعهم كلمه التوحيد و تجعل منهم امه واحده من دون تأثير الفوارق أبدا،فلهؤلاء المهاجرين الحق فى توجيه سياسه البلد المضيف، و لأولئك الحق فى توجيه سياسه الحركه الرساليه..اما أولئك الذين لا يزالون فى وطنهم المحتل أو المحكوم بنظام الطاغوت فليس لهم الحق فى عضويه الامه الرساليه،و لكن هذه الامه تسعى من أجل إنقاذهم من براثن الطاغوت.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَیْءٍ حَتّی يُهاجِرُوا وَ إِنِ

اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ أى فى تحقيق واجبات الدين و قيمه من اقامه الشعائر و التحرر و الرفاه.

فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ لهم،لأن نصره المؤمن المستضعف هى من ابرز واجبات الامه أو الحركه الرساليه،و هنا يبرز سؤال عريض و ملح:كيف إذا تعارضت مصلحه الدوله الرساليه الناشئه و مصلحه الجماعات المسلمه غير المهاجره و المجاهده؟و تعرض كيان هذه الدوله الى الخطر إذا هبت لمساعده أولئك المسلمين مثلا:مصلحه الجماعه الاسلاميه فى مرحله صلح الحديبيه الا تثير عداوه قريش و تحتفظ بمعاهده السلم التى بينهم و بينها،بينما مصلحه مسلمى مكه غير المهاجرين نقض هذه المعاهده كيف الحكم فى ذلك؟يقول القرآن:

إِلاّ عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ ذلك لان كرامه الدوله و الجماعه الناشئه أعظم و أهم من سلامه المسلمين المتواجدين فى البلاد الاخرى.

و قد يستنبط من هذه الآيه:ان مصلحه الدوله الاسلاميه اخطر من مصلحه الثوره العالميه للمسلمين،إذ الميثاق الذى تبرمه الدوله الاسلاميه يجسد مصالحها قبل كل شيء،و عقليا من دون وجود ركيزه للثوره العالميه و هى الدوله الاسلاميه كيف يمكن الامتداد هنا و هناك و صنع الثوره العالميه؟! وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فعليكم تقييم الأمور بدقه متناهيه.

ص:١٠٢

الكفر امه واحده:

[۷۳]کما ان المؤمنین امه واحده بالرغم من اختلاف اقالیمهم و لغاتهم و طموحاتهم،کذلک الکفار یجب النظر إلیهم کأمه واحده،و عدم التلاحم و التعاون مع جهه منها ضد جهه اخری،لان حبال الارتباط بین هذه الجهه و تلک امتن من الصله بیننا و بین أحد الطرفین،و فی ساعه المواجهه یتفق الجمیع ضدنا.

وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِیٰاءُ بَعْضٍ و إذا اختلطت الأوراق و تعاون المسلمون مع طائفه من الکفار باعتبارهم أهون عداء من طائفه اخری،فتحالفوا مع الشرق ضد الغرب،أو أوروبا دون امریکا أو ما أشبه فان ذلک یسبب فتنه و فسادا.

إِلاّٰ تَفْعَلُوهُ تَکُنْ فِتْنَهٌ فِی الْأَرْضِ وَ فَسٰادٌ کَبِیرٌ الفتنه هنا-حسبما یبدو لی-النفاق و الضلاله،و تشویش الرؤیه و افتقاد البصیره الرسالیه،مثل تبدل الثقافه الاصیله و النقیه بثقافات متناقضه مختلطه ذات أصول اجنبیه،تماما مثل ثقافه الأحزاب السیاسیه فی بلادنا الذین یأخذون افکارا من الغرب و الشرق،و افکارا من الدین و التقالید و یمزجونها ببعضها لیصنعوا منها ثقافه غربیه غیر متجانسه.

و بسبب الصلات الوثیقه التی تربط أبناء الامه الاسلامیه بهذا الجانب الکافر أو ذاک بهذا السبب تنتشر بینها مثل هذه الثقافه الباطله،التی تبعد عن اللّه و عن الحق،و التی یسمیها القرآن ب(الفتنه).

و هذه الفتنه تنعکس علی الواقع الخارجی للامه فتسبب الخلافات الحاده بین أبناء الامه المحتفظین بخط الدین الأصیل و بین أولئک الذین تأثروا بالغرب أو

الشرق،و فی بعض الأوقات بين المتأثرين بالأجنبی مع بعضـهم البعض،و هذا أحد مظاهر الفساد الكبير،و من مظاهره عدم القدره علی اتخاذ القرار.

[۷۴]و يجب ان يسعی المسلمون نحو إيجاد علاقه الايمان الحقيقيه.

وَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَ هَـاجَرُوا وَ جَاهَـدُوا فِی سَبِيـلِ اللّٰـهِ وَ الَّذِيـنَ آوَوْا وَ نَصَـرُوا أُولٰئِـكَ هُـمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ [۷۵]المؤمنون حقا هم المهاجرون اما الذين يهاجرون بعدئذ فهم يعتبرون من المؤمنين أيضا بشرط الجهاد فی سبيل اللّه.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْـدُ وَ هَـاجَرُوا وَ جَاهَـدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِـكَ مِنْكُمْ و وجود علاقه الايمان لا تلغی دور القرابه و العلاقات الطبيعيه التی يهتم بها الإسلام.

وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلٰی بِبَعْضٍ فِی كِتَابِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سوره التوبه

اشاره

ص:۱۰۵

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره

قال رسول اللّه محمد صلی الله علیه و آله :

«ما نزل علی القرآن إلاّ آیه آیه و حرفا حرفا خلا سوره البراءه و قل هو اللّه أحد فإنهما نزلتا علیّ و معهما سبعون صف من الملائکه کلّ یقول یا محمد استوص بنسیه اللّه خیرا» (مجمع البیان ص ۲ ج ۶۵) لماذا ترکت التسمیه فی أولها قراءه و کتابه؟ للعلماء و المفسرین فی ذلک أقوال:

۱-أنها ضمت الی الأنفال بالمقاربه فصارتا کسوره واحده إذ الاولی فی ذکر العهود و الثانیه فی رفع العهود(عن أبی بن کعب).

۲-انه لم ینزل بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ علی رأس سوره البراءه لأن بسم اللّه للأمان و الرحمه و نزلت براءه لرفع الامان بالسیف.

۳-

ما روی عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملکم علی أن عمدتم الی براءه و هی من المئین و الی الأنفال و هی من المثانی فجعلتموهما فی السبع الطوال و لم تکتبوا بینهما (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ) فقال:ان النبی صلی الله علیه و آله عند ما تنزل علیه الآیات فیدعو بعض من یکتب له فیقول له هذه الآیات فی السوره التی یذکر فیها کذا و کذا،و کانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدینه و کانت براءه من آخر ما نزل من القرآن و کانت قصتها شبیهه بقصتها فظننا أنها منها رسول اللّه صلی الله علیه و آله و لم یبین انها منها فوضعناهما فی السبع الطوال و لم نکتب بینهما سطر بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ و کانتا تدعیان القرینتین.

الإطار العام

اسم السوره:

- بالرغم من ان الطابع العام للسوره هو الإنذار الصاعق للمشركين،فان وجود آيات التوبه خصوصا فى بدايه السوره تفتح بابا عريضا للرحمه فى جو الغضب الرهيب.لذلك سميت بسوره التوبه..اشاره الى ان المخرج من الوضع الحرج هو الذى يجب ان يركز الضوء عليه،و قد تسمى هذه السوره بالبراءه اشاره الى الجو العام لها.

الإطار العام:

- لا- يختلف كثيرا عن اطار سوره الأنفال.حتى ان بعضهم رأى ان التوبه امتداد لسوره الأنفال،ذلك ان السياق يتحدث عن ضروره هدم كيان الشرك من الأساس،و بناء الكيان التوحيدى،و استخدام العنف كآخر وسيله لحسم المواقف.

و لكى يتقبل المجتمع الجهاد بما فيه من عنف و تضحيات فإنّه بحاجه..

ص:١٠٩

أولا:الى انفصال نفسى بينه و بين العدو.

ثانيا:الى الاستعداد للتضحيه،و جعل التضحيه و الشهاده فى سبيل الهدف القيمه الأعلى.

ثالثا:تهيئه الوسائل المساعده للجهاد..و هذه بعض الموضوعات التى يتحدث عنها السياق،بالاضافه الى بيان اهداف الجهاد الانسانيه.حتى لا يتحول الى حاله عدوانيه شاذه.

و يتحدث السياق فى الآيات(۶۰/۵۸)عن الصدقات لعلاقتها بالجهاد،ثم يتحدث عن المنافقين و دورهم التخريبى فى الصراع..الآيات(۶۸/۶۱)و عن المؤمنين و وحدتهم و صفاتهم المثلى..الآيات(۷۲/۷۱)ثم عن قتال المنافقين و الكفار،و عن النفاق بعد الايمان الذى يتعرض له بعض الناس..الآيات (۷۸/۷۵)و عن الذين يمنعون الصدقات من المنافقين..الآيات(۸۰/۷۹)أو التقاعس عن الجهاد أو سائر صفاتهم الشاذه..الآيات(۸۷/۸۱)و يتحدث السياق عن أعذار المنافقين فى الجهاد و عن استثناءات الجهاد(۹۶/۹۰)و عن الاعراب المنافقين منهم و المؤمنين..الآيات(۹۹/۹۷)و عن أهل المدينه..و فى الاعراب منافقون غير معروفين..الآيات(۱۰۱).

و ان هناك طائفه اعترفوا بذنوبهم و يجب ان تؤخذ من أموالهم صدقات..زكاه، و طهاره لهم،و قبولا لتوبتهم..الآيات(۱۰۴/۱۰۲)و بعد الحثّ على العمل يحدثنا السياق عن الذين اتّخذوا مسجد الضرار إرصادا لمن حارب اللّه و رسوله،و ضروره مقاطعه هذا المسجد،و الاستبدال عنه بمسجد التقوى..الآيات(۱۱۰/۱۰۵)و لقد اشترى اللّه من المؤمنين أنفسهم و أموالهم..الآيات(۱۱۲/۱۱۱)و ليس بين الكفار و المؤمنين ولاء حتى بالاستغفار،و ان اللّه يتم حجته على عباده،و ان اللّه يتوب على

مـن ختم امره بالجهـاد أو بالتوبه..الآيـات(١١٨/١١٣)مـن هنـا يجب على المـؤمنين القتـال و ليعرفـوا ان أعمـالهم الصـالحه جميعا محسـوبه و مجزيـه خيرا..الآيـات (١٢١/١١٩)و لاـ بـدّ أن ينفر طـائفه للتفقّـه و الإنـذار الآـيه(١٢٢)و يجب القتـال ابتـداء بـأقرب الكفار..الآيه(١٢٣) و حين تنزل سوره يسـتهزئ بها المنافقون الـذين فى قلوبهم مرض..الآيات(١٢٧/١٢٤)و الرسول يحب خيركم و لكن إذا تولى عنه أحـد فحسـبه اللّه..الآيات(١٢٩/١٢٨)،و هكذا تختتم السوره بذكر القياده الاسـلاميه التى تنفّذ تعاليم السـماء بشأن الأعداء،كما تكرر اسم الكريم فى بدايه السوره.

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بَراءَةٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى اَلَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۱) فَسِيحُوا فِي اَلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اَللّٰهِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ مُخْزِي اَلْكٰافِرِينَ (۲) وَ أَذٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى اَلنّٰاسِ يَوْمَ اَلْحَجِّ اَلْأَكْبَرِ أَنَّ اَللّٰهَ بَرِيءٌ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اَللّٰهِ وَ بَشِّرِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ (۳) إِلاَّ اَلَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظٰاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ (۴) فَإِذَا اِنْسَلَخَ اَلْأَشْهُرُ اَلْحُرُمُ فَاقْتُلُوا اَلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ اُحْصُرُوهُمْ وَ اُقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تٰابُوا وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتَوُا اَلزَّكٰاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵)

اللغه

۱[براءه]:البراءه انقطاع العصمه.

۲[فسیحوا]:السیح هو السیر علی مهل.

۳[و أذان]:الاعلام و قیل أن أصله من النداء الذی یسمع بالاذن.

۴[و لم یظاهروا]:أی لم ینضموا الی أعدائکم حتی یکونوا ظهرا(عونا)لهم علیکم.

۵[انسلخ]:الانسلاخ خروج الشیء مما لابسه و أصله من سلخ الشاه و هو نزع الجلد عنها.

ص:۱۱۲

الإنذار الأخیر لأعداء الرساله

هدی من الآیات:

لکی یبنی الإسـلام سورا عالیا حول المجتمع المسـلم یحصنه من الشـرک و الکفر، و من آثار الضلاله نفسیّا و ثقافیا و اجتماعیا،تأتی آیات الدرس الاول فی هذه السوره صاعقه حاسمه،براءه من اللّه و رسوله الی الذین سکت الإسلام عنهم سابقا بسبب معاهده سابقه.أما الآن،فعلیهم الاختیار بین الحرب و الإسلام بعد أربعه أشهر و لیعلموا ان قوتهم المادیه لا تقف أمام قوه اللّه و ان الخزی یلاحقهم بکفرهم.

و إعلان عام یصدر فی موسم الحج الأکبر حیث یتوافد الی بیت اللّه الناس من کلّ مکان ان اللّه بریء من المشرکین،و کذلک رسوله إلّا أن یتوبوا.

و الذین عاهدهم المسلمون من المشرکین عهدا مؤقتا بمده فان الإسلام یفی بعهده ما داموا وافین به.

أما بعد الأشهر الحرم التی تنتهی بشهر صفر فان الأرض ستطهر منهم إلّا ان

يتوبوا و يؤمنوا و يسلموا لواجبات الدين،فان اللّه غفور رحيم.

بينات من الآيات:

لماذا ألغيت المعاهدات:

[۱]بعد ان هيمن الإسلام على شبه الجزيره بفتح عاصمتها مكه،و الانتصار على كبرى القبائل فيها كالهوازن.بقيت القبائل الصغيره التى أمّنها الإسلام و لكنها بطبيعه كفرها و شركها كانت تشكل جيوب المقاومه،و تعرقل وحده الجزيره الاداريه،و كان من الواجب إنهاء الصراع معها استعدادا للانتقال الى العالم، (خارج الجزيره)لذلك جاءت البراءه،و الغاء المعاهدات بين المسلمين و المشركين،و لكن أعطيت لهم مهله اربعه أشهر يستعدون خلالها أما للتسليم أو للحرب-إن شاؤوا-و لكن القرآن حذرهم،ان المقاومه لا تجديهم نفعا.

بَرٰاءَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [۲] فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّٰهِ فلا تستطيعون تعجيز اللّه و سلبه قدرته المطلقه سبحانه، و لكم الحق فى التجوّل الحر فى ارض الجزيره لمده أربعه أشهر.

وَ أَنَّ اللّٰهَ مُخْزِي الْكٰافِرِينَ يفشل خططهم،و يسلب منهم إرادتهم،و لا يبلغهم أهدافهم.

جاء فى الحديث المأثور عن أبى جعفر(عليه السلام)قال :خطب على(عليه السلام)فى الناس و اخترط سيفه فقال:

«لا يطوفن بالبيت عريان،و لا يحجن البيت مشرك،و من كانت له مده فهو

الی مـدته،و من لم یکن له مـده فمدته أربعه أشـهر » و کان خطب یوم النحر،و کانت عشـرون من ذی الحجه و محرم و صـفر و شهر ربیع الأول و عشر من شهر ربیع الآخر،

و قال :

«یوم النصر یوم الحج الأکبر » و یبدو من هذا الحدیث:ان القرآن انما ألغی العهود التی کانت مطلقه و قابله للالغاء و کانت تلک شریعه المتعاهدین من العرب.أما العهود التی کانت لها مده معینه،فانها لم تلغ بهذا القرار.

و من جهه اخری..فی تلک السـنه جرت بـدعه النسـیء و تأخیر أشـهر الحرم عن موعدها المحدد،و التی یتحدث عنها القرآن فی آیه اخری و لـذلک حدد القرآن العهود الی أربعه أشـهر و فی آیه قادمه ربط الموضوع بانتهاء الأشـهر الحرم..بینما کان الإعلان فی موسم الحج الأکبر و الذی کان فی أیام الاجتماع الکبیر بمنی.

[۳]و کرّر القرآن إعلانه العام لکل المشرکین الذین تربطهم أولا تربطهم مع الجبهه الاسلامیه معاهده.

وَ أَذانٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ و یکرر کلمه الرسول هنـا لأنه منفـذ تعالیم اللّه،و للاشاره الی ان القضـیه لیست وصـیه دینیه فقط،بل هی أیضا حقیقه سیاسیه جدیده.

إِلَی النّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَکْبَرِ یوم الاجتماع العظیم فی مکه،بمناسبه الحـج فی ذی الحجه الحرام.و قـد کانت هناک مواسم اخری أقل اجتماعا من الحج الأکبر،و قیل أن المراد بالحج الأکبر هو

ص:۱۱۶

الموسم الذی اجتمع فیه المؤمنون و المشرکون معا،لأنه بعد تلک السنه لم یحج المشرکون أبدا.

أَنَّ اللّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللّهِ و مقاومتکم لا تجدیکم شیئا.

وَ بَشِّرِ الَّذِینَ کَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِیمٍ فی الآخره،کما فی الدنیا.

[۴]إلغاء العهود و الاحلاف التی کانت بین المسلمین و المشرکین کان محددا بما یلی:

ألف:اما الغائها بسبب نقض المشرکین لروح المعاهده أو لبنودها.

باء:و اما لانتهاء مده المعاهده.

جیم:و اما لان المعاهده کانت أساسا مطلقه و یجوز لأحد الطرفین الغاؤها بشرط إعطاء مهله کافیه للطرف الثانی..و یبدو ان أکثر المعاهدات التی کانت تعقد بین العرب کانت من هذا النوع،و لذلک جاء فی هذه الآیه تأکید علی الوفاء بالمعاهدات المحدده بمده معینه،و التی لم ینقضها الطرف الآخر و لم یخالف روحها.

إِلاَّ الَّذِینَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِینَ ثُمَّ لَمْ یَنْقُصُوکُمْ شَیْئاً أی لم یخالفوا بنودها.

وَ لَمْ یُظاهِرُوا عَلَیْکُمْ أَحَداً

فلم يخالفوا روح المعاهده.

فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلىٰ مُدَّتِهِمْ أى الى انتهاء مدتهم كما فعل الرسول بقوم من بنى كنانه،و بنى ضمره.

كان قد بقى من أجلهم تسعه أشهر فأمر بإتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين و لم ينقضوا عهد رسول اللّه.

و كما فعل مع أهل هجر و أهل البحرين و ايله و دومه الجندل،حيث و فى بعهده معهم الى نهايه حياته[صلّى اللّه عليه و آله].

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الذين يلتزمون بالعهود و المواثيق مع المسلم و الكافر و البر و الفاجر.

لا لتجديد العهود:

[۵]بعد أشهر الحرم التى يحترمها الإسلام إذا احترمها الأعداء.بعدئذ يجب قتل المشركين أينما وجدوا.

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ و الأشهر هى ذو القعده و ذو الحجه و محرم،و بعدها يأتى شهر صفر الذى كان آخر مهله للكفار.

وَ خُذُوهُمْ أسرى.

وَ احْصُرُوهُمْ

ص:۱۱۸

أی ضعوهم فی محاصره قواتکم لکسر شوکتهم و هزیمتهم معنویا،للتقلیل من نسبه القتلی.

وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ أی انشروا حول مواقعهم مراکز الرصد و الرقابه حتی تعرفوا تحرکاتهم.

فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ فَخَلُّوا سَبِیلَهُمْ دون أن تحققوا فی مدی صحه ادعائهم بأنهم اسلامیون.

إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ مع شده الأمر و عظم المصیبه التی امر اللّه سبحانه بانزالها بالمشرکین..یوضح السیاق أنّ بابا عریضا قد فتح امامهم و هو باب التوبه.و ان اللّه غفور رحیم بکل من یقبل بولایه الإسلام و یسلم تسلیما.

و ما ذلک البلاغ الصارم..إما الإسلام أو الحرب،ما هو إلاّ رحمه للناس أرادها اللّه لهم.

ص:۱۱۹

[سوره التوبه (۹): الآيات ۶ الى ۱۱]

اشاره

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ اِسْتَجٰارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّٰى يَسْمَعَ كَلاٰمَ اَللّٰهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَعْلَمُونَ (۶) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ اَلَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ عِنْدَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ فَمَا اِسْتَقٰامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ (۷) كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاٰ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَ لاٰ ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ تَأْبىٰ قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فٰاسِقُونَ (۸) اِشْتَرَوْا بِآيٰاتِ اَللّٰهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۹) لاٰ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَ لاٰ ذِمَّةً وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُعْتَدُونَ (۱۰) فَإِنْ تٰابُوا وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتَوُا اَلزَّكٰاةَ فَإِخْوٰانُكُمْ فِي اَلدِّينِ وَ نُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۱۱)

خيانه المشركين

اشاره

وراء إلغاء المعاهده

هدى من الآيات:

بالرغم من إعلان الحرب ضد الشرك،فان ذلك لا يعنى الغدر بهم بل إذا استجار بالرسول أحد منهم،فان الإسلام يعطيه الامان،لفتره البحث عن صحه الإسلام،ثم إذا لم يقتنع يعاد الى مأمنه سالما.و عموما الإسلام يفى بعهده مع المشركين ما داموا ملتزمين به،و من دون عهد يشن عليهم حربا وقائيه لأنهم بمجرد قوتهم يقاومون الإسلام بكل جهدهم دون أن يردعهم قسم سابق أو عهد،يقولون كلاما حلوا و قلوبهم مليئه بالرفض و لا يلتزمون بقيمه.

أو ليسوا هم الذين باعوا دينهم بثمن بخس،و منعوا سبيل الخير،و عملوا كلّ عمل سوء،أو ليسوا هم الذين سحقوا حقوق المؤمنين دون أن يردعهم عهد أو حلف، و اعتدوا عليهم.

أجل لو انهم تابوا و أقاموا الصلاه و آتوا الزكاه فان الصراع ليس شخصيا معهم و لا عنصريا فلذلك سوف يصبحون إخوانا للمؤمنين.

ان هذا الدرس و الذی یأتی یرسم خریطه التعامل مع المشرکین کما یکشف خلفیات أنفسهم و سلوکهم.

بینات من الآیات:

إبلاغ الرساله:

[۶]الهدف الاساسی للصراع مع المشرکین هو إبلاغ الرساله إلیهم،و الطلب الوحید منهم هو استماعهم لها من دون حجاب أو عقده مسبقه.لذلک لو طلب أحد من المشرکین الامان حتی یأتی الی الدیار الاسلامیه و یستمع من قرب الی تعالیم الرساله،فان الإسلام یؤمّن له طلبه،لان کثیرا منهم یحارب الإسلام من دون وعی و لا یعلم بحقیقه الرساله،ثم ان لم یقتنع لا یغدر به بل یبلغه مأمنه بکل اعتزاز.

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اسْتَجٰارَکَ أی طلب الحمایه،و کانت تلک عاده عربیه عریقه،ان الواحد منهم یطلب من رئیس القبیله المنیعه الجانب الحمایه،فتعطی له و یحفظ خلال فتره الاستجاره.

فَأَجِرْهُ حَتّٰی یَسْمَعَ کَلاٰمَ اللّٰهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ لماذا یعطی للمشرک الحمایه بالرغم من حربه مع الإسلام؟لان المشرکین لا یعلمون الحقیقه.

ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ یَعْلَمُونَ و هکذا تری الإسلام لا ینسی رسالته فی زحمه الصراع السیاسی،کما یؤکد علی دور الاعلام الأمین فی الصراع.ان علینا الا نعتبر الأعداء کتله صخریه لا تتفتت.

ص:۱۲۲

بل هم بشر و جهله،يؤثر فيهم الحديث و يبلغ قلوبهم الهدى المبين و يقلل الاعلام من حجم الخساره.

[۷]ما هی خلفیه سلوک المشرکین عموما؟ انهم لا یلتزمون بقیمه سامیه لذلک لا عهد لهم و لا ذمه،إلّا أولئک الذین عاهدهم المسلمون فیلتزمون بذلک العهد،ما دام المشرکون یلتزمون بشروطهم.

کَیْفَ یَکُونُ لِلْمُشْرِکِینَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ و فی الآیه التالیه یبین القرآن سبب هذا الحکم،و هو إسقاط احترام المشرکین، أما هنا فهو یستثنی المعاهدین.

إِلاَّ الَّذِینَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَکُمْ فَاسْتَقِیمُوا لَهُمْ إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ أی الذین یلتزمون بمواثیقهم و عهودهم مع الناس،حتی و لو لم یکونوا مسلمین.

و تدل الآیه علی ان من شروط التقوی الوفاء بالعهد مع المسلم و الکافر.

المشرکون المعاهدون:

[۸]إذا امتلک المشرکون القوه،و غلبوا المسلمین فهل سیراعون لهم عهدا أو حلفا، و هل یحترمون دماءهم و أموالهم؟کلا..

کَیْفَ وَ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ لا یَرْقُبُوا فِیکُمْ إِلاًّ وَ لا ذِمَّهً أیّ حلفا و لا عهدا.

أما الآن فهم یتظاهرون بالتمسک بحسن المعامله و احترام حقوق الآخرین.

ص:۱۲۳

يُرْضُونَكَمْ بِأَفْواهِهِمْ بكلماتهم الفارغه التى لا تتعدى اللسان.

وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ و ترفض نفوسهم الالتزام بما وراء هذه الكلمات.

وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ غير ملتزمين أساسا بعهد أو قيمه.

[۹]و هل يتمسک بالقيمه من يبيع دينه بثمن بخس.

اِشْتَرَوْا بِآياتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً و مهما يكن الثمن الـذى يعطى فى مقابل الالتزام بالقيمه المعنويه فانه قليل.إذ ان شخصـيه الإنسان و كرامته و حتى مـدنيته انمـا هى بمعنويـاته،و بمـدى التزامه بقيمه فى الحياه.انظر كيف انهم حين باعوا دينهم أخـذوا يصـدّون عن سبيـل اللّه،و يمنعون كـلّ عمل الخير!! فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [۱۰]انهم لا يعتنون بحقوق الناس و خصوصـا المؤمنين.

لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَ لا ذِمَّةً وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ أولا،و اما معامله المسـلمين معهم فهى ردّ الاعتـداء.كما هو الحال اليوم بين الامه الاسلاميه المطالبه بحقوقها المهتضمه،و بين الطواغيت فى الأرض،الذين

يطالبون أبـدا باحترام القوانين الجائزه المفروضه علينا.بينما هم لا يعتنون بأبسط حقوقنا و يعتدون علينا،و لذلك فنحن لا ننظر الى كلّ واقعه..واقعه مجرده عن التسلسل التاريخى للاحداث،بل علينا أن نحدد سياستنا معهم على ضوء مجمل معاملتهم معنا،و نوع العلاقه القائمه التى تحكمنا و إياهم.

التوبه باب الرحمه الالهيه:

-[۱۱]أمام هؤلاء المشركين باب عريض من التوبه و إصلاح أنفسهم،و آنئذ يصبحون اخوه لنا.

فَإِنْ تٰابُوا وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ وَ آتَوُا الزَّكٰاةَ فَإِخْوٰانُكُمْ فِي الدِّينِ لا فرق بينكم و بينهم أبـدا.لان الإسـلام يرفض الفوارق العرقيه و العشائريه أو الاقليميه،و كـذلك لا يعترف بالاسبقيه الايمانيه.بمعنى سيطره السابقين من المؤمنين قـديما على اللاحقين جديدى الايمان.بل يعترف بالاسبقيه فى حدود ضـيقه يعطيهم اولويه الثقه و الاحترام فقط..و فيما وراء ذلك فهم اخوه متساوون أمام اللّه و الشريعه.

وَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و يفهمون الفرق بين الأحكام التى شرعت للموضوعات المختلفه.

ص:۱۲۵

[سوره التوبه (۹): الآيات ۱۲ الى ۱۵]

اشاره

وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمٰانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقٰاتِلُوا أَئِمَّةَ اَلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاٰ أَيْمٰانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (۱۲) أَ لاٰ تُقٰاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمٰانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْرٰاجِ اَلرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳) قٰاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اَللّٰهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (۱۴) وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اَللّٰهُ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۵)

ص:۱۲۶

حکم الذین ینکثون أیمانهم

هدی من الآیات:

ما هو الموقف الاسلامی من المشرکین الذین نقضوا العهد،و خانوا أیمانهم؟ الموقف هو القتال الموجه ضد قیاداتهم التی لا تلتزم بعهد و لا یمین و ذلک بهدف إیقافهم عند حدهم،و أسباب القتال هی:

أولا:نکث الیمین،و عدم الالتزام به.

ثانیا:محاوله إخراج الرسول.

ثالثا:انهم البادون بالاعتداء،و علینا ألاّ نخشی بطشهم.بل نخاف اللّه و نخشی عقابه ما دمنا مؤمنین به.

و اللّه یعذب الکفار،و لکن بأیدی المسلمین،و حین یکافح المسلمون أعداءهم فاللّه ینصرهم و یخزی الکافرین، و یزکی قلوب المؤمنین،و یدخل فیها الفرح

و البشاشه،و قد كانت سابقا مليئه بالغضب و الغيظ،و الذين اكتسبوا إثما أو ذنبا، تكون الحرب مطهره لهم،لان اللّه يتوب على من يشاء من عباده.

و تدخل هذه الآيات ضمن اطار السوره فى التحريض على قتال المشركين و بيان سبب القتال و أهدافه.

بيّنات من الآيات:

فَقٰاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ

[۱۲]الناكثه هى الفرقه الضاله،التى تقاوم الرساله بعد التعهد بالتسليم لها، و عدم الاعتداء عليها،و قد تكون هذه الفرقه من المشركين أو من المسلمين ظاهرا، و القرآن يأمرنا بقتالهم بصراحه بالغه.

وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمٰانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ اليمين الذى يعطيه فريق من أنفسهم لفريق آخر يعتبر نوعا من العهد الاجتماعى،أو بالأحرى يعتبر تأكيدا دينيا على عهد اجتماعى لذلك نجد القرآن يمزج بين اليمين و العهد.

وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ لكى يبرر هذا الفريق نقضهم للعهد يطعنون فى الدين و تعاليمه و بنوده، و يعتبرون تلك التعاليم مخالفه لمصالحهم أو لحريتهم و كرامتهم.

فَقٰاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ عاده يكون الفريق الناكث ملتفا حول قياده شيطانيه.ذات خطط ماكره.لا تكشف عن نفسها.لذلك يجب على الأمه البحث عن تلك القيادات و محاربتها و إلاّ

فان إراقه دماء اتباعهم تزيد تلك القيادات قوه اجتماعيه، و يكرس سيطرتهم الباطله على أتباعهم المضللين.

و الواقع ان تلك القيادات لا يمكن انتظار الوفاء منها لأنها بنت حركتها على ضرب القيم السائده و مقاومه المقاييس الاجتماعيه،و لذلك تجدها تكثر من الحلف و إعطاء العهد مع عزم مسبق على مخالفتها.

إِنَّهُمْ لاٰ أَيْمٰانَ لَهُمْ و لكن يجب ألاّ يتحول قتال الناكثين من أجل إشباع شهوه الانتقام،فيصبح اعتداء محرما على كرامتهم البشريه.بل يكون فقط بهدف إيقافهم عند حدهم، و اعادتهم الى شرعيه القيم الاسلاميه حتى يصبحوا كما غيرهم من الناس لهم حريتهم و كرامتهم و حقوقهم.لذلك أكدّ ربنا سبحانه على هذه الحقيقه قائلا:

لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أىّ يمسكون أيديهم عن نقض العهد و الطعن فى الدين.

[١٣]و اما العوامل التى تدفعنا الى قتال الناكثين فتتجسد فى:

أولا:نكثهم لليمين،و نقضهم لعهدهم السياسى مع المجتمع المسلم،و بالتالى مخالفتهم للنظام الاجتماعى،ذلك العهد الذى يقدمه المواطن المسلم عن طريق البيعه و يقدمه الذمى(كاليهود فى المدينه)فى صيغه معاهدات ثنائيه بينهم و بين القياده،و إذا نكث فريق عهدهم فان المجتمع المسلم يفقد حصانته،و بالتالى يخشى ان يتحلل الآخرون من عهودهم و التزاماتهم فينهار المجتمع تماما لذلك قال ربنا:

أَ لاٰ تُقٰاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمٰانَهُمْ

ثانیـا:مقـاوتهم للنظـام السیاسـی و محاولتهم إسـقاط حکومه الإسـلام عن طریق محاربتهم للقیاده الشـرعیه المتمثله فی الرسول أو الامام.

وَ هَمُّوا بِإِخْرٰاجِ الرَّسُولِ ثالثا:انهم المعتدون أولا،و البادی بالظلم أظلم.

وَ هُمْ بَدَؤُکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ و عاده یتوجس الناس الخوف من الناکثین،و لکن اللّه یحرّض علیهم و یقول:

أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ إذا ترک الإنسان مبادءه و قیمه،و تساهل فی عهوده مع الناس،فأی شـیء یبقی له بعدئذ حتی یحسب مؤمنا؟! [۱۴]ان نتیجه القتال معروفه عند اللّه سلفا،و هی:

أولا:ان اللّه سوف یعذب الکفار بایدی المؤمنین.

قٰاتِلُوهُمْ یُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ بِأَیْدِیکُمْ و هذا یعنی ان بعضا من أقدار اللّه یجریها عن طریق المسلمین،فعلیهم ان یسعوا،و اللّه یسدد خطاهم و یوفقهم،و لا یجوز لهم التواکل و الکسل باسم التوکل علی اللّه.

ثانیا:ان عزتهم بالإثم و غرورهم و کبریاءهم سوف تتحطم علی صخره الاستقامه الاسلامیه.

ص:۱۳۰

وَ يُخْزِهِمْ و بالنسبه الى الناكثين يعتبر كسر شوكتهم الاجتماعيه ضربه قاضيه لهم، و إنهاء لمشكلتهم.

ثالثا:ان اللّه ينصر المؤمنين عليهم و يثلج قلوبهم بالنصر.

وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ و هم الأكثر حماسا للقيم،أو الأكثر تضررا من خروج الناكثين على الدوله.

[۱۵]رابعا:ان القتال يحل العقد النفسيه التى تتراكم فى قلوب المؤمنين بسبب خروج الناكثين على الدوله.

وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ فيستعدون للبناء و التقدم الحضارى،و محاربه أعدائهم التقليديين.

خامسا:ان بعض المسلمين يتأثرون بدعايات الناكثين،أو يتكاسلون فى البدء عن مقاومتهم،فيصلحون بالقتال و النصر،كما ان البعض منهم قد احتملوا ذنوبا كبيره و صغيره و بسبب الجهاد فى سبيل اللّه يغفر اللّه لهم ذنوبهم.

وَ يَتُوبُ اللّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ و لذلك لا يمكن أن يتكل أحد على الجهاد فى سبيل اللّه فقط و يقول لنفسه اننى أذنب ثم أجاهد فيغفر اللّه لى،كلا فاللّه عليم حكيم،لا يغفر لكلّ مذنب انما الذين يعملون الذنب بجهاله ثم يستغفرون.

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱۶ الی ۲۲]

اشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمّا يَعْلَمِ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ جٰاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اَللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۶) مٰا كٰانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسٰاجِدَ اَللّٰهِ شٰاهِدِينَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ وَ فِي اَلنّٰارِ هُمْ خٰالِدُونَ (۱۷) إِنَّمٰا يَعْمُرُ مَسٰاجِدَ اَللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ أَقٰامَ اَلصَّلاٰةَ وَ آتَى اَلزَّكٰاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اَللّٰهَ فَعَسىٰ أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ اَلْمُهْتَدِينَ (۱۸) أَ جَعَلْتُمْ سِقٰايَةَ اَلْحٰاجِّ وَ عِمٰارَةَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ جٰاهَدَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ لاٰ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (۱۹) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اَللّٰهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰائِزُونَ (۲۰) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوٰانٍ وَ جَنّٰاتٍ لَهُمْ فِيهٰا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (۲۱) خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۲۲)

ص:۱۳۲

المجاهدون أعظم درجه عند اللّه

هدى من الآيات:

فی سیاق الحدیث القرآنی حول الجهاد المقدس من أجل تحقیق القیم السامیه یبین هذا الدرس جوانب من خلفیه الجهاد النفسیه:

فأولا:الجهاد مدرسه لتربیه المسلم،و تمییز المؤمن الصادق عن الضعیف و المنافق.

ثانیا:المظاهر الدینیه التی یتوسل بها الکفار مثل عماره المساجد غیر مقبوله عند اللّه و هی تحبط و لا تنفعهم شیئا فی الآخره.حیث یخلدون فی النار،و ان العماره الحقیقیه للمساجد،انما هی بإقامه الصلاه و إیتاء الزکاه،و خشیه اللّه،و لیس سواء القیام ببعض الأعمال الظاهریه،و التی قد یداخلها الریاء أو طلب السمعه مثل عماره المسجد الحرام،و سقایه الحاج،لیس سواء ذلک و الایمان الحقیقی باللّه و برسالاته،و عند اللّه الایمان و الجهاد فی سبیله بالمال و النفس أعظم ثوابا من بناء المساجد،و اللّه یبشر المؤمنین الصادقین برحمه منه فی الدنیا و رضوان فی الآخره،

ص:۱۳۴

و جنات فيها نعيم مقيم.

بينات من الآيات:

الايمان الصادق:

[۱۶]الايمـان ليس بالتمنى،و لكنه بصـدق العمل و تحـدى الصـعاب فى سبيل الحق،و الـذى يجعل الايمان ذا مصـداق واقعى هو الجهاد،و بذل منتهى الوسع فى سبيل تحقيق أهداف الايمان.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمّٰا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جٰاهَدُوا مِنْكُمْ و اللّه سـبحانه سـوف يبتلى المـؤمنين بصـعوبات و يـأمرهم بتحـديها بالجهاد،و هناك شرط آخر لصدق الايمان يتحقق بالولاء الخالص لجبهه الحق،و عدم السقوط فى ولاءات باطله و متداخله.

وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً أى وسيله و دخيله،و بالتالى انتماء.

وَ اللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ

العمل الصالح جوهر لا مظهر:

[۱۷]و لان الهويه الاسـلاميه لا تتحقق إلاّ بإخلاص الولاء للّه و للقياده الرساليه و للمجتمع المسلم،فان هذا هو المعيار الذى يحدد المؤمن و الكافر أما الأعمال الظاهريه مثل عماره المساجد،فانها ليس لا تنفعهم فقط بل و تضرهم أيضا.إذ تصبح شاهده عليهم.

ص:۱۳۵

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّهِ شَاهِدِينَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ لان المسجد هو محراب المؤمن الذى يحدد هويه المجتمع المسلم و قيادته المتمثله فى الرسول و أوليائه.لا أولياء الشيطان من أنصار الطاغوت،و عبده الأصنام الحجريه و البشريه.

أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لان العمل الذى لا يستند الى قاعده صلبه من الرؤيه السليمه و الايمان المهيمن.

انه يسقط كما شجره بلا جذور،و كما بناء بلا أساس.

وَ فِى النّارِ هُمْ خالِدُونَ [١٨]عماره المسجد لا تتم بوضع حجر فوق حجر،بل بتنفيذ كل الواجبات الدينيه التى تجعل المسجد المبنى معمورا حقيقه،و ذلك بالايمان باللّه و اليوم الآخر، و بالصلاه للّه و إيتاء الزكاه،و بمقاومه الضغوط التى تأتى من القوى السياسيه و الاجتماعيه و تحاول تركيع البشر و دفعه باتجاه التسليم للطاغوت.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلاٰةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فالخشيه من غير اللّه تدفع البشر نحو التسليم له عمليا و هو الشرك.

و إذا توفرت هذه الشروط كامله فان جوهر الصلاح و الفلاح و هو الوصول الى الحقيقه يتحقق.

فَعَسىٰ أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

ص:١٣۶

و ربما کان تعبیر القرآن ب(عسی)هنا أو ب(لعلّ)فی موضع آخر،للدلاله علی عدم الرکون الی مظاهر الأمور،و السکون عند حد معین من العمل،أو من تحقیق شروط الهدایه بل یجب العمل بجد و مثابره و الخشیه من الاّ یکون مقدار العمل کافیا لتحقیق الهدف المنشود کما الإنسان الذی یخشی موت ابنه من المرض.کیف یوفر کل الوسائل،و لکنه یظل یبحث عن المزید من وسائل العلاج خشیه الا یکون ما هیأه کافیا.

و العمل الصالح یزید الهدی و العکس صحیح،إذ ان الظلم یحجب العقل، و یمنع البشر من الهدایه کما یأتی فی الآیه القادمه.

[۱۹]الأعمال الظاهریه لیست کالأعمال الجذریه..فلیست سقایه الحاج و تعمیر المسجد الحرام کالایمان باللّه و الیوم الآخر،و الجهاد فی سبیل اللّه لأن الکافر و المنافق و الفاجر قد یقوم بمثل هذه الأعمال الظاهریه التی قد یتستر وراءها للقیام بالأعمال الشاذه.

أَ جَعَلْتُمْ سِقٰایَهَ الْحٰاجِّ وَ عِمٰارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ

و قد جاء فی الحدیث :قیل:ان علیا قال للعباس«یا عمّ ألا تهاجر.ألا تلحق برسول اللّه؟!»فقال:أ لست فی أعظم من الهجره.اعمّر المسجد الحرام،و اسقی حاج بیت اللّه فنزل: «أَ جَعَلْتُمْ سِقٰایَهَ الْحٰاجِّ وَ عِمٰارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ» (۱) وَ جٰاهَدَ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ لاٰ یَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ

ص:۱۳۷

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱۹۴/۲.

ان الجهاد هو ذلک المقیاس الذی لا یخطأ إذا کان فی اطار الایمان لأنه تحد للشهوات و الأهواء و مقاومه للطاغوت،و بلوره للاراده.و کثیر أولئک الذین یبررون تقاعسهم عن الایمان و الجهاد و عما یتطلبه الجهاد من مساع و تضحیات.یبرونه ببعض الأعمال الظاهریه ذات اللافته العریضه،و الخواء الواقعی مثل طبع نسخ القرآن و تفاسیره و کتب التراث،و اجراء الحدود الامنیه علی المستضعفین مثلما السلطات الطاغوتیه التی کلما تخالف نصوص الدین فی منح الحریه و الرفاه و المساواه تزید من تردید الشعارات البراقه،و تسمیه الشوارع و المدارس باسم الحریه و الرفاه و المساواه،أو تزید من رواتب علماء الدین و بناء المعاهد الدینیه،و کلما تخالف تعالیم الإسلام فی التحرر و الاستقلال و الدیمقراطیه تزید من تنفیذ تعالیم الدین فی جلد الزانی و اعتقال شارب الخمر،و مکافحه ما یسمی فی عرفهم بالارهاب و الجریمه.

و کما یصنعه الطاغوت،یفعله التجار الکبار الذین یتحالفون مع الحکام الظلمه،و یمتصون دماء المحرومین،و لکن یقدمون فتات موائدهم للفقراء،و یبنون مستشفی أو مستوصف أو یعبّدون طریقا،أو ما أشبه،فی الوقت الذی یترکون الشعب وحده فی مواجهه السلطات الطاغوتیه،أو المستعمر الغاشم.

و هکذا نجد العباس بن عبد المطلب عم الرسول بعد ان أسر فی حرب بدر، و اقبل علیه أناس من المهاجرین و الأنصار و عیّروه بالکفر و قطیعه الرحم نجده یبرر عمله قائلا:ما لکم تذکرون مساوءنا،و تکتمون محاسننا قالوا:و هل لکم من محاسن قال:نعم،و اللّه لنعمر المسجد الحرام،و نحجب الکعبه و نفک العانی(أی الأسیر)فأنزل اللّه تعالی: «مٰا کٰانَ لِلْمُشْرِکِینَ أَنْ یَعْمُرُوا...» .

و کلمه أخیره:ان کل واحد منا یمکن ان یصبح طاغوتا أو متحالفا مع الطاغوت،و یبتلی بخداع ذاتی لا یقدّره اللّه و لا الضمیر و لا التاریخ،فعلینا ان

نتمسک بمقیاس دقیق لکی نمنع عن أنفسنا مرض الخداع الذاتی،ذلک المقیاس هو الجهاد ففی اللحظه التی تشعر انک تسترخی و تترک مقاومه الانحراف فقد استسلمت و خارت أرادتک،و یمکن ان تنتهی واقعیا و دون ان تشعر بذلک لأن الهدایه تتأثر بعمل الإنسان و تصمیمه و مشیئته،فالظالم لا یهتدی،لذلک أکدّ القرآن فی نهایه الآیه:

وَ اللّٰهُ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الظّٰالِمِینَ فالظالمون قد تورطوا فی الضلاله و هم یحسبون انهم مهتدون،و اللّه یدعهم لأنفسهم و یترکهم لشأنهم.

[۲۰]فی المقیاس الاسلامی یعطی الجهاد الأولویه،ثم تترتب سائر الأعمال الخیریه مثل:عماره المساجد،و بناء المدن،لان أهم شیء عند الإنسان هو تحرره عن التسلط السیاسی و الاستغلال الاقتصادی،و بناء المؤسسه الاجتماعیه الصالحه،و بعدئذ یأتی دور الاعمار.

اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ من أجل إقامه حکومه اللّه فی الأرض.حکومه الحریه و العداله و الاستقلال.

هؤلاء:

أَعْظَمُ دَرَجَهً عِنْدَ اللّٰهِ من سائر من یقومون بالخدمات الاجتماعیه،أعظم من الباحثین فی المختبرات، و الاساتذه فی الجامعات و العمال فی المصانع و الفلاحین فی الحقول،و الوعّاظ فی المساجد لان النظام السیاسی و الاقتصادی الفاسد یذهب بخیرات کل أولئک،و ربما یستغل کل تلک المکاسب من أجل تدعیم سلطه الطاغوت،و تکریس ظلمه و فساده

ص:۱۳۹

فمثلا:قد تجد كلّ جامعات الولايات المتحده تبحث لتقدم اطروحه علميه فى الفيزياء أو الكيمياء،و يقوم العمال الخبراء فى كثير من المصانع بتحويل الاطروحه الى واقع و تصنع سلاحا فتاكا يهدم حقول و مصانع الشعب الفيتنامى،و حتى الوعاظ فى كنائس امريكا قد يتحولون فى ظل نظام التسلط الرأسمالى الى خدم بسطاء لاستراتيجيات البنتاغون،فيدعمون سياسه التجنيد من أجل الحرب ضد الشعب الفيتنامى.

إذا أولئك المجاهدون الذين يهدفون تغيير النظام الفاسد،و تحرير الإنسان من عبوديه الرأسمال أو التسلط،أولئك أعظم درجه عند اللّه من سائر الناس.

وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْفٰائِزُونَ [۲۱]و لاهميه هذا العمل،و لخطورته البالغه على حياتهم و لتضحياتهم الكبيره فى هذا السبيل فانه لا يقدم عليه الا المخلصون حقا الذين لا يحسبون لأنفسهم حسابا و انما يهدفون فقط خدمه الناس،و ابتغاء مرضاه ربهم لذلك كان جزاؤهم عظيما.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَهٍ مِنْهُ وَ رِضْوٰانٍ و من مظاهر الرحمه إسقاط الطاغوت و استخلافه،و الوصول الى سده الحكم من أجل القيام بخدمات أكبر مما سبق.

أما الرضوان فهو تيسير أمورهم من عند اللّه،و بلوغ حاله الطمأنينه و السكينه، هذا فى الدنيا.

وَ جَنّٰاتٍ لَهُمْ فِيهٰا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دائم و لا يخشى زواله.

[۲۲] خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

[سوره التوبه (۹): الآيات ۲۳ الى ۲۷]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَ إِخْوٰانَكُمْ أَوْلِيٰاءَ إِنِ اِسْتَحَبُّوا اَلْكُفْرَ عَلَى اَلْإِيمٰانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۳) قُلْ إِنْ كٰانَ آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ وَ إِخْوٰانُكُمْ وَ أَزْوٰاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوٰالٌ اِقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسٰادَهٰا وَ مَسٰاكِنُ تَرْضَوْنَهٰا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهٰادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اَللّٰهُ بِأَمْرِهِ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْفٰاسِقِينَ (۲۴) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اَللّٰهُ فِي مَوٰاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضٰاقَتْ عَلَيْكُمُ اَلْأَرْضُ بِمٰا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (۲۵) ثُمَّ أَنْزَلَ اَللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهٰا وَ عَذَّبَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ اَلْكٰافِرِينَ (۲۶) ثُمَّ يَتُوبُ اَللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۷)

اللغه

۲۴[اقترفتموها]:الاقتراف اقتطاع الشیء من مكانه الى غيره من قرفت القرحه إذا قشرتها و القرف هو القشر.

[فتربصوا]:التربص التشبه فی الشیء حتى يجیء وقته.

۲۵[رحبت]:الرحب السعه فی المكان.

هدى من الآيات:

لكى تستعد الأمه للصراع،لا بدّ ان يخلص انتماء أبنائها إليها باعتبارها تجمعا مبدئيا،و إلّا يتخذوا أقاربهم أولياء إن فضلوا الكفر على الايمان.ذلك لان أى خلل فى الانتماء يبعث خللا فى الايمان،فلو كان الأب أو الأخ أو الزوج أو العشيره أو المال و التجاره أو المسكن أحب الى الفرد من إيمانه باللّه و رسوله،و من جهاده فى سبيل اللّه،فلا بدّ أن ينتظر أمر اللّه الذى لا يحمل بالتأكيد فى طيّه الهدايه و الفلاح للظالمين و الفاسقين.

و كمثل على هذا الخلل و اثره السلبى على الصراع ما جرى فى يوم حنين.إذ كان اعتماد الجيش على كثرتهم التى غرتهم لا على الايمان،فلم تغنى عنهم من اللّه شيئا.إذ انهزم الجيش و ضاقت عليهم الأرض على سعتها،و لكنّ اللّه أنزل سكينته على الرسول و المؤمنين فاطمأنت قلوبهم،و انزل جنودا من عنده فهزموا الكفار و عذّبوا عذابا شديدا.

ص:۱۴۳

بید ان الهزیمه کانت تجربه صاغت نفسیه المسلمین فتاب بعضهم،فتاب اللّه علیهم، وَ کٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً .

ان هذا الدرس یحدد بعض الشروط الاجتماعیه للجهاد بینما حدد الدرس السابق بعضا من شروطه النفسیه و الثقافیه.

بینات من الآیات:

المجاهد یتحدی الضغوط الاجتماعیه:

[۲۳]الولاء فی المجتمع المسلم یجب أن یکون للعقیده قبل أیّ شیء آخر،فحتی الولاء العائلی الذی یحبه الإسلام و یعتبر الأسره الوحده الاجتماعیه الضروریه، یجب أن یکون فی اطار الولاء الایمانی لا منافسا له.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَکُمْ وَ إِخْوٰانَکُمْ أَوْلِیٰاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْکُفْرَ عَلَی الْإِیمٰانِ و قد کان هذا الانتماء الرسالی الخالص سببا فی انتصار الرساله فی عصر الرسول،

یقول الامام علی(علیه السلام) :

«و لقد کنّا مع رسول اللّه نقتل آباءنا..و أبناءنا..و إخواننا..و أعمامنا..ما یزیدنا ذلک إلاّ إیمانا و تسلیما،و مضیّا علی اللقم،و صبرا علی مضض الألم،و جدّا علی جهاد العدو..فلما رأی اللّه صدقنا أنزل بعدونا الکبت و أنزل علینا النصر. » (۱)و إذا عرفنا مدی أهمیه الاسره فی الحیاه العربیه قبل الإسلام،نعرف مدی

۱- ۱) نهج البلاغه/خ ۹۱/۵۶ صبحی الصالح

الخلوص الرسالی الذی بلغه المسلمون ذلک الیوم حتی حققوا الانتصار الکبیر.

و قد عبّر الامام أبو جعفر(علیه السلام)،عن هذا الخلوص الرسالی،بقوله:

«(لَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَةً)فلا تکونوا مؤمنین فان کلّ سبب و نسب و قرابه و ولیجه بدعه و شبهه منقطع إلاّ ما أثبته القرآن. » (1)ان کلّ ولاء یجب أن یکون فی إطار قیم الإسلام،و إلاّ فان الانتماء الاسلامی یکون ضعیفا أو مرفوضا.

وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ مِنْکُمْ فَأُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ [۲۴]لیس الولاء الاسری فقط حاجزا دون الولاء الرسالی،بل کل صله تقف حاجزا أمام العلاقه الاسلامیه یجب فکها و جعلها صله ثانویه.

قُلْ إِنْ کٰانَ آبٰاؤُکُمْ وَ أَبْنٰاؤُکُمْ وَ إِخْوٰانُکُمْ وَ أَزْوٰاجُکُمْ وَ عَشِیرَتُکُمْ وَ أَمْوٰالٌ اقْتَرَفْتُمُوهٰا وَ تِجٰارَةٌ تَخْشَوْنَ کَسٰادَهٰا وَ مَسٰاکِنُ تَرْضَوْنَهٰا أَحَبَّ إِلَیْکُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ أی من الولاء الخالص للّه و للقیاده الرسالیه المتمثله بالرسول فی عهده،و بخلفائه من بعده،و هذا الولاء یتجسد عملیا فی الجهاد و هو بذل کلّما یستطیعه المرء فی سبیل تحقیق أهداف الرساله،لذلک خصصه القرآن بالذکر قائلا:

وَ جِهٰادٍ فِی سَبِیلِهِ فَتَرَبَّصُوا و انتظروا فان هذا المجتمع الراکع للضغوط لیس أبدا مجتمعا رسالیا،بل و لا

ص:۱۴۵

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱۹۲/۲

مجتمع مسلم حقا،و لذلک لا بدّ من انتظار الکارثه.

حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ و قد تکون الکارثه المتمثله فی الخلافات الداخلیه التی تنتهی الی الصراعات الجانبیه المنطلقه من المحوریات الذاتیه التی تمنع تکون المجتمع الموحّد،و من الحزبیات الضیقه التی تفتت الوحده السیاسیه الرصینه،و من الوطنیات الزائفه التی تحطم کیان الامه،الواحده،ذات القیاده الرسالیه.

و کلما ضعفت الامه کلما خسرت معارکها الحضاریه مع التخلف أو مع الأمم المنافسه کما نری الیوم فی الامه الاسلامیه التی بالرغم من عدد ابنائها البالغ الالف ملیون،فان المحوریات الذاتیه تمنع من تکون الوحده التنظیمیه الرسالیه،و بالتالی من تکون الوحدات السیاسیه الفعّاله،فعندنا لیس هناک شیء یسمی بالحزب حقیقه إلا قلیلا،بل کلما عندنا ولاءات هشه غیر متفاعله مع الرساله بقدر تفاعلها مع المصالح و الأهواء و القرابه،لذلک تجد العسکر و هو الأفضل تماسکا فی عالمنا الثالث هو المسیطر أبدا لأنه لا یجد امامه کیان سیاسی متماسک.

و إذا وجد التماسک الحزبی-و هو قلیل-فانه لا ینتهی الی التماسک الاجتماعی.إذ سرعان ما یتصل هذا الحزب بالغرب و ذاک بالشرق،و بدل ان یتفقا تراهما یتصارعان لمصلحه احدی الجهتین،و ضد المصلحه الاجتماعیه المشترکه.

المجتمع المسلم لم یعد الإطار الموحد لفاعلیه احزابنا حتی یوحد جهودهما،و ما نراه فی لبنان أو فی شمال العراق أو فی غرب إیران،و ما أشبه دلیل علی ان انتماء الأحزاب الی مجتمعهم أقل فان الوطنیات الزائفه تفتت الوحده الاسلامیه و الوحده القومیه، فاذا بک تجد علی کلّ قطعه أرض رایه و نظاما یتحاربون بالرغم من وحده مصالحهم فی الإطار الاسلامی الموحد.

و الآـن نجـد الاـمه الاسـلاميه موزعه فى أكثر من خمسه و سـبعين دوله أو دويله، و كـل يبنى جيشه و ثقـافته على أسـاس تعميق التجزئه،و تكريس الانفصـال، لـذلك يسـهل على الاـجنبى أن يبتلعها لقمه لقمه،و يسـهل على غول التخلف الاقتصادى ان يلتهم سعادتهم و رفاههم.

ان مصـادر الطاقه و المعادن و الاراضـى الزراعيه،و الموقع الاستراتيجى فى وسط العالم،و التراث الحضارى و الالف مليون إنسان كـل هـذه القـوى لـم تكـن قـادره على بنـاء حضارتنـا فى القرن العشــرين،و نخشـى أن يبقى الوضـع هكـذا فى القرن الواحـد و العشـرين.لماذا؟ لأـن الانتمـاء الى الـذات أشـدّ من الانتماء الى الرساله و حين يكون الانتماء الى الرساله ضـعيفا فان الرؤيه تكون محـدوده و مسـجونه فى جـدران الذاتيه المغلقه،و لذلك أكدت الآيه الكريمه على أن الانتماء الى الذات و الى المصالح الذاتيه سيكون سببا للضلاله لأنه فسق.

وَ اللّهُ لاـ يَهْـدِى الْقَوْمَ الْفاسِـقِينَ و حين يكون انتمـاء الفرد الى ذاته و مصالـح ذاته،فـان ممارسـته سـتكون أيضـا خـاطئه و يكون فاسقا،و حينئذ يرى العالم بنظاره ذاته فلا يراه على حقيقته فتتزل عليه الكارثه.

دروس من حنين:

[۲۵]و كمثل على هـذه الحاله الشاذه يقصّ علينا ربنا قصه المسـلمين فى حنين، حيث توكل المسـلمون على كثره عددهم لا على ربهم و تضحياتهم فانهزموا.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِى مَوٰاطِنَ كَثِيرَهٍ

ص:۱۴۷

مثلا فی یوم بدر،حیث کان المسلم یقتل أباه و ابنه لان التجمع الرسالی کان أمتن من الولاءات الاسریه أو الذاتیه،

و جاء فی الحدیث :«ان المواطن الکثیره کانت ثمانین معرکه انتصر فیها المسلمون فی عهد الرسول صلی الله علیه و آله » وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً لان الکثره غیر المتماسکه لا تغنی شیئا. إذ کل فرد یفقد إرادته و عزیمته و خلوصه،اعتمادا علی الکثره،و کلّ فرد أو فئه أو حزب أو طائفه أو عشیره تفکر فی مصالحها.تفکر فی أن تکون التضحیات من غیرها و تکون المکاسب لها.

و هکذا کانت الکثره العددیه للمسلمین الیوم غیر نافعه لأنها کثره کمیه فقط، و فاقده للوحده الحقیقیه،و هکذا تجد الأرض المقدسه فی فلسطین بید الأعداء برغم اهتمام الجمیع بتحریرها.

وَ ضٰاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِمٰا رَحُبَتْ فبالرغم من الکثره العددیه تجد الجمیع مغلولین مکبلین لان فاعلیه کل جهه موجهه ضد فاعلیه الجهه الثانیه،و کأنهم مجموعه سیارات متشابکه فی المرور،کل واحده منها تمنع غیرها من التحرک،و لو توحدت لوجد الجمیع متسعا من الأرض.

ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ و انهزموا بفعل اختلافهم امام عدوهم الأکثر تماسکا منهم،کما انهزم المسلمون الیوم امام الصهاینه.و هکذا تخسر الامه المفتته معارکها الحضاریه مع اعدائها.

[۲۶]و لکن بقیت مجموعه متماسکه ذات قیاده رسالیه،بقیت صامده فی اطار هذه الکثره المنهزمه فأنزل اللّه سکینته علیهم.

ص:۱۴۸

ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فسكنت نفوسهم برحمه اللّه،و اطمأنت الى نصره،و هكذا كانت الرساله هى خشبه الخلاص فى زحمه أمواج الهزيمه.

وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهٰا و كان من أبرز واجبات هؤلاء الجنود الذين كانوا من الملائكه..تثبيت قلوب المؤمنين،و اعاده الثقه و البشاره الى أنفسهم كما فى حرب بدر.

جاء فى حديث مأثور عن الامام الرضا(عليه السلام)أنه قال :«السكينه ريح من الجنه طيبه لها صوره كصوره وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء » (۱).و قد تكون الملائكه المنزلين هى السكينه أو هم حمله السكينه.

وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ الْكٰافِرِينَ فاللّه لا يتدخل فى الصراعات الاجتماعيه عبثا،بل انما فى الوقت الذى يكفر جانب و يؤمن و يصمد جانب آخر،فيجازى الكافر بكفره.

[۲۷]و لكن الهزيمه ليست نهايه أمه بل هى تجربه قد تصقل نفوسهم و تحدد أسباب ضعفهم،و يتوبون الى اللّه من ذنوبهم فيتوب اللّه عليهم و ينتصرون.

ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

۱- ۱) مجمع البيان ج ۱۸/۵

[سوره التوبه (٩): الآيات ٢٨ الى ٣١]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا اَلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاٰ يَقْرَبُوا اَلْمَسْجِدَ اَلْحَرٰامَ بَعْدَ عٰامِهِمْ هٰذٰا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شٰاءَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قٰاتِلُوا اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لاٰ بِالْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ لاٰ يُحَرِّمُونَ مٰا حَرَّمَ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ لاٰ يَدِينُونَ دِينَ اَلْحَقِّ مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ حَتّٰى يُعْطُوا اَلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صٰاغِرُونَ (٢٩) وَ قٰالَتِ اَلْيَهُودُ عُزَيْرٌ اِبْنُ اَللّٰهِ وَ قٰالَتِ اَلنَّصٰارىٰ اَلْمَسِيحُ اِبْنُ اَللّٰهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوٰاهِهِمْ يُضٰاهِؤُنَ قَوْلَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قٰاتَلَهُمُ اَللّٰهُ أَنّٰى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اِتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ اَلْمَسِيحَ اِبْنَ مَرْيَمَ وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وٰاحِداً لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ سُبْحٰانَهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (٣١)

اللغه

٣٠[يضاهئون]:يشابهون.

ص:١٥٠

هکذا قضی الرب

اشاره

بنجاسه المشرکین

هدی من الآیات:

فی الـدرس السـابق بین القرآن بعض الشـروط الضـروریه للانتصار،و فی هـذا الـدرس یحرض المسـلمین علی قتال المشـرکین و الکفار، و علی طردهم من المسجد الحرام دون خوف من فقر لان اللّه هو الرزاق،و أمر اللّه بقتال أولئک الکفار من أهل الکتاب الـذین لاـ یؤمنون بـاللّه و لاـ بالیوم الآخر إیمانا حقیقیا ینعکس علی ثقافتهم و سـلوکهم،کما انهم لا یلتزمون بشـرائع اللّه و أوامر الرسول،و لاـ یلتزمون بسـیاده الـدین الحق و النظـام الحق،هؤلاـء یجب قتالهم حتی یعطوا الجزیه خضوعا للحق(لا رشوه فیه)و هم صاغرون.

لقد قالت الیهود عزیر ابن اللّه کما قالت النصاری المسـیح ابن اللّه.قالوا هذا الافک بلا حجه أو ایمان راسخ،و ذلک تشـبها بقول الکفار و اللّه یعلن علیهم الحرب بسـبب هذه الضـلاله التی وقعوا فیها.ذلک لان هذه الضـلاله و أمثالها جرتهم الی التسلیم لأوامر الأحبار و الرهبان و اتخاذهم أربابا من دون اللّه.بینما أمرهم اللّه

ص:۱۵۱

بعباده اله واحد لا شریک له فسبحان اللّه عما یشرکون.

بینات من الآیات:

إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ :

[۲۸]المشرکون نجس:بهذه الکلمه فصل القرآن بین الفریقین الرئیسیین الذین یقسم الإسلام البشریه علی أساسه،فریق الهدی و فریق الضلاله..حزب اللّه و حزب الشیطان..المواطنون فی الدوله الاسلامیه و الأجانب،فما هی النجاسه التی جاءت فی الآیه؟ جاء فی بعض التفاسیر:

اختلف فی نجاسه الکافر فقال قوم من الفقهاء:ان الکافر نجس العین و ظاهر الآیه یدل علی ذلک،و روی عن عمر بن عبد العزیز،انه کتب:«امنعوا الیهود و النصاری من دخول مساجد المسلمین، و اتبع نهیه قول اللّه تعالی: إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ»

،الآیه) و عن الامام الحسن(علیه السلام)قال :«لا تصافحوا المشرکین فمن صافحهم فلیتوضأ »و هذا یوافق ما ذهب الیه أصحابنا من ان من صافح الکافر و یده رطبه وجب ان یغسل یده،و ان کانت أیدیهما یابستین مسحهما بالحائط،و قال آخرون:انما سماهم اللّه نجسا لخبث اعتقادهم و أفعالهم و أقوالهم،و أجازوا للذمی دخول المساجد،قالوا:انما یمنعون من دخول مکه للحج.قال قتاده:سماهم نجسا لأنهم یجنبون و لا یغتسلون و یحدثون و لا یتوضئون،فمنعوا من دخول المساجد لان الجنب لا یجوز له دخول المسجد. (۱)

و من الناحیه اللغویه النجس کل شیء مستقذر و یبدو ان للکلمه ثلاث أبعاد:

ص:۱۵۲

۱- ۱) مجمع البیان ج ۲۰/۵.

الأول:ان الشرک عقیده باطله،و الثقافه التی تبنی علی أساس الشرک ثقافه فاسده،و علی المسلمین أن ینفصلوا عن المشرکین جسدیا حتی لا یتأثروا سلبیا بأفکارهم الفاسده.

الثانی:ان المشرکین لا یلتزمون بالنظام و الشرائع الاسلامیه خصوصا فی حقل النظافه الجسدیه،و الوقایه الصحیه،فعلیهم ألاّ یدخلوا البلاد الاسلامیه ذات الانظمه الخاصه فی الحیاه،و بالذات فی حقلی النظافه و الصحه و الخمر و الخنزیر و البول و الدم أشیاء نجسه تحمل معها الأمراض الخطیره و المعدیه،و من یباشر هذه الأشیاء یطرد من البلد الاسلامی ما دام لا یلتزم بالشروط الصحیه للبلد.

الثالث:البلد الاسلامی مستقل اقتصادیا و لذلک یجب ان یسعی نحو التکامل الاقتصادی و الاکتفاء الذاتی،فلا یتعامل مع الأجانب.خصوصا فی حقل الاطعمه.

و فی الآیه هذه اشاره الی هذه الابعاد دعنا نتدبر فیها:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا و الخطاب دلیل علی الهدف من الحکم التالی ببناء المجتمع المؤمن لا بیان الحقیقه العلمیه فقط.

إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ فَلاٰ یَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرٰامَ بَعْدَ عٰامِهِمْ هٰذٰا فباعتبار المسجد الحرام مرکز التوجیه الاسلامی فیجب تنظیفه من آثار العقیده و الثقافه المنحرفه الفاسده.

وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَهً

ص:۱۵۳

أی فقرا.

فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شٰاءَ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فباعتبار الاقتصاد الاسلامی یتعرض موقتا لمشاکل بسبب المقاطعه الاقتصادیه و الاعتزال لذلک وعد اللّه سبحانه عباده المؤمنین بالتعویض و هکذا نجد ان المسلمین حین منعوا حجّ المشرکین الذین کانوا یحملون معهم الی البیت الحرام الطعام و الملابس لیقایضوا به مع بعضهم أو مع سلع المسلمین.حینئذ عوضهم اللّه سبحانه بإسلام أهل نجد و صنعاء و جرش من الیمن،و حملوا الطعام الی مکه علی ظهور الإبل و الدواب و کفی اللّه تعالی المسلمین ما کانوا یتخوفون.

من هم المشرکون،و ما واجبنا؟

[۲۹]و کما یجب محاربه المشرکین عبده الأوثان کذلک یجب مقاتله أولئک الذین یتظاهرون بالدین و هم مشرکون واقعا کبعض أهل الکتاب و هم الذین یتصفون بما یلی:-الأول:عدم الایمان الحقیقی.

قٰاتِلُوا الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ لاٰ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الثانی:عدم قبول الشریعه الاسلامیه کمظهر بارز من مظاهر الایمان الحقیقی.

وَ لاٰ يُحَرِّمُونَ مٰا حَرَّمَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ فکیف یعتبر مؤمنا من لا یخضع لشرائع اللّه،و سیأتی فی آیه تالیه:ان التسلیم لتشریعات الأحبار و الرهبان یسلبهم الایمان باللّه و یجعلهم من عبده الأصنام البشریه.

ص:۱۵۴

الثالث:رفض التسليم للنظام الاسلامی و الدوله الاسلامیه.

وَ لاٰ یَدِینُونَ دِینَ الْحَقِّ الدین هو التسلیم النفسی و الخضوع القلبی لنظام أو شریعه،ان هذا الفریق إذا کانوا من عبده الأوثان فیجب قتالهم حتی النهایه،و لکن إذا کانوا.

مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ کالیهود و النصاری و المجوس،فان قتالهم ینتهی إذا دفعوا الجزیه.

حَتّٰی یُعْطُوا الْجِزْیَهَ عَنْ یَدٍ وَ هُمْ صٰاغِرُونَ أی حتی یعطوا الجزیه صاغرین استسلاما لقوه الإسلام و قهر الدوله الاسلامیه، إذ ان مجرد إعطاء المال للمسلمین لا یدل علی سیطره المسلمین علی الساحه کما تدفع-مثلا-الدول الغنیه الیوم مساعدات مالیه للدول الاسلامیه الفقیره بهدف استمالتها.

مظاهر الشرک:

[۳۰]عقائد الیهود و النصاری فی الایمان کانت فاسده،و متأثره بوثنیات المشرکین من قبلهم ذلک لان الفلسفه الیونانیه التی کانت متأثره بالشرک من الناحیه الثقافیه،و بالطبقیه و العنصریه من الناحیه الاجتماعیه،و بالسیاسیه الطاغوتیه من ناحیه نظام الحکم،هذه الفلسفه وجدت طریقها الی الدیانات بسبب ضعف العلماء و محاولتهم تبلیغ الدین بکل وسیله ممکنه،حتی و لو عن طریق تقدیم تنازلات للافکار و الأوضاع الفاسده،لذلک تجد آثار الافلاطونیه الحدیثه عند علماء هذه الدیانات المنحرفه.

ص:۱۵۵

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ربما لم يكن عامه اليهود و النصارى يزعمون هذا الزعم الباطل.

ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ فلم تكن فكره منسجمه مع سائر أفكارهم و عقائدهم،بل كانت بسبب تأثرهم بالثقافه الغريبه عنهم،و تسليمهم للضغوط الفكريه و الاجتماعيه.

يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ [۳۱]تلك كانت فى حقل الثقافه.اما فى حقل التشريع و السياسه فان اليهود و النصارى استسلموا للأحبار و الرهبان و قبلوا تشريعاتهم دون أن يخضعوا للّه و يعملوا بشرائعه.

اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ الحبر:هو العالم الذى يقوم ببيان العلم و هو عالم النصارى و اليهود.

وَ رُهْبانَهُمْ الراهب:هو الذى يخشى اللّه،و يلبس مسوح العباده،و هو عند اليهود و النصارى المتفرغ للعباده الزاهد فى الدنيا.

أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فتركوا تعاليم الدين و نصوصه الواضحه،الى اجتهادات الأحبار و الرهبان التى تأثرت بأهوائهم و ظروفهم،كما تركوا عقلهم و فطرتهم و نصوص دينهم الى الاستشهاد بسيره المسيح ابن مريم التى كانت مناسبه للظروف الموضوعيه السائده

فی عصره.

وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وٰاحِداً لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لقد أمرهم اللّه فی کتابه بتوحیده فی العباده و التشریع،و ان یعتبروه وحده مصدر النور و التشریع،و ان یتصلوا به مباشره،و ان أخذ التعالیم من الأحبار و الرهبان حتی و لو کانت متناقضه مع الهام الفطره و العقل و النصوص الصریحه من الدین یعتبر شرکا مهلکا یبعد الناس عن حقیقه الدین و جوهره شیئا فشیئا،و یجعل الدین دین البشر أی الأحبار و الرهبان الخاضعین للجهل و الجهاله،و ضغوط الظروف.بینما الاتصال المباشر بمصادر الوحی یمنع هذه المشکله إذ یصبح المؤمنون جمیعا شاهدین علی الرساله أوصیاء علیها.و أعین لنصوصها و منتفعین من عقولهم و فطرتهم فی فهم تلک النصوص.

سُبْحٰانَهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ اللّه منزه عما یشرک الناس به،فوحیه و رسالته و شرائعه لا تخضع للظروف أو للأهواء بل هی کاشفه لحقائق الحیاه،متناسبه مع السنن التی لا تتغیر،و لذلک یجب علی الناس الاستلهام مباشره منها دون الاستسلام للأوصیاء علیها من الأحبار و الرهبان باسم الدین و ترک حبل الرساله علی غارب رجال معینین.

و قد جاء فی الأحادیث المأثوره عن عدی بن حاتم،انه قال: أتیت رسول اللّه و فی عنقی صلیب من ذهب فقال لی:«یا عدی اطرح هذا الوثن من عنقک»،قال:

فطرحته ثم انتهیت الیه و هو یقرأ من سوره البراءه هذه الآیه: (اتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً) حتی فرغ منها فقلت له:إنّا لسنا نعبدهم فقال:«أ لیس یحرمون ما أحل اللّه فتحرمونه و یحلون ما حرّم اللّه فتستحلونه»قال فقلت:بلی.قال:«فتلک عبادتهم ».

ص:۱۵۷

و روی عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه(علیهما السلام)،انهما قالا :

«أما و اللّه ما صاموا و لا صلوا و لکنهم أحلوا لهم حراما و حرموا علیهم حلالا، فاتبعوهم و عبدوهم من حیث لا یشعرون » (۱)و الیوم نجد الکثیر من أبناء أمتنا الاسلامیه ترکوا نصوص الدین و الهام العقل و استسلموا کلیا لبعض أدعیاء العلم و الدین بالرغم من علمهم بان هؤلاء یحرمون و یحللون حسب أفکارهم و أهوائهم،و الضغوط الاجتماعیه التی یتعرضون لها،أو یتبعون أحزابا و منظمات اتباعا أعمی و لکن هل یعذرهم اللّه و هم یهملون أکبر نعمه أسبغها اللّه علیهم و هی نعمه العقل و التفکیر و یحولون أنفسهم الی أنعام ضاله و قد خلقهم اللّه بشرا سویا.هل یعذر اللّه و الضمیر رجلا بصیرا یغمض عینیه و یمشی مکبا علی وجهه،حتی یقع فی الحفره.إن أکبر المآسی البشریه فی حقل السیاسه و التشریع آتیه بسبب التقلید الأعمی لذوی السلطه و الشهره.

۱- ۱) المصدر ص ۲۳.

[سوره التوبه (٩): الآیات ٣٢ الی ٣۵]

اشاره

یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ یَأْبَی اَللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکافِرُونَ (٣٢) هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ (٣٣) یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ کَثِیراً مِنَ اَلْأَحْبارِ وَ اَلرُّهْبانِ لَیَأْکُلُونَ أَمْوالَ اَلنّاسِ بِالْباطِلِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اَللّهِ وَ اَلَّذِینَ یَکْنِزُونَ اَلذَّهَبَ وَ اَلْفِضَّةَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اَللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (٣۴) یَوْمَ یُحْمی عَلَیْها فِی نارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوی بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما کَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِکُمْ فَذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْنِزُونَ (٣۵)

ص:١۵٩

انحراف أهل الكتاب

اشاره

عن رسالات اللّه

هدى من الآيات:

لاـ يزال السياق يبيّن الفساد الذى تسرب الى اليهود و النصارى من خلال تقليدهم الأعمى للأحبار و الرهبان.و مخالفه الرساله التى هى نور اللّه واحده من مظاهر الفساد،و لكن هذه المخالفه الضعيفه لا تستطيع ان توقف انتشار النور،و اللّه يتم نوره بالرغم منهم.

ان اللّه أرسل رسوله بكلمتين-الهدى-أى تكامل البشر عقليا و نفسيا -و دين الحق-أى سلطه الحق و العدل لا منطق القوه و فى النهايه سوف ينتصر الحق على كلّ سلطه بالرغم من المشركين.

و يبقى سؤال:لماذا لا يجوز تقليد الأحبار و الرهبان،فى تعاليم دينهم؟ و الجواب:

لأن كثيرا منهم خونه غير أمناء فى الأموال فكيف يؤمّنون على الرساله؟انهم

یأکلون أموال الناس بالباطل و مجمل سلوکهم لیس فی مصلحه المحرومین،بل بالعکس تراهم یصدون عن سبیل اللّه و یکنزون الذهب و الفضه،و لا ینفقونها فی سبیل اللّه.

فما هو جزاء من یکنز الذهب و الفضه؟انه عذاب الیم فی یوم القیامه حیث یحمی علیها حتی تلتهب فی نار جهنّم الحامیه الشدیده التوقد ثم توضع علی جباههم و جنوبهم و ظهورهم حتی تکوی بها،و یقال لهم:هذا عاقبه الأموال المکنوزه..

أصبحت ضررا عظیما علیکم،بینما أردتم ان تصبح خیرا،فذوقوا ما کنتم تکنزون.

بینات من الآیات:

المؤامرات علی الرساله:

[۳۲]الأحبار و الرهبان و کل علماء السوء الذین اتخذوا الدین مطیه لشهواتهم.

ینصبون من أنفسهم حماه التقالید الاصیله و الأفکار الرجعیّه،و یقاومون کل حرکه تقدمیه،و کل رساله جدیده،و هذه رساله اللّه التی أنزلت علی خاتم الأنبیاء لتکون مبعث ضیاء عظیم فی العالم یقف حولها هؤلاء و ینفخون علیها کأنهم یریدون إطفاءها بأفواههم الحقیره،فهل یقدرون؟ یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ و حین یضیء اللّه نورا لا یستطیع البشر أن یوقف انتشاره،لان اللّه القوی العزیز ینشره و یبلّغه آماده و أبعاده حتی یحقق أهدافه.

وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ أی یمنع اللّه کلّ عقبه تعترض طریق انتشار الرساله حتی تتم الرساله و تبلغ

اهدافها.

ان هدف علماء السوء دائما هو إبقاء الناس فی الضـلاله و تجهیلهم،و سلب ثقتهم بعقولهم حتی لا یفکروا و لا یعرفوا شیئا.و لکن اللّه الـذی زود البشـر بالعقل و بلور و أکمل العقول بالرساله لا یسـمح لإنسان أن یفقـد بشـرا قـدرته علی الفهم بل ینبهه،و یوقظ عقله،و یـذکره بشتی الوسائل حتی یتم حجته علیه،و آنئذ تکون له الحریه فی أن یرفض الاسـتغلال و یتحدی التقلید الأعمی و لا یستسلم أو یخاف أو یرضی بالخنوع و الذل.

و لعل الآیه تشیر الی هذه الحقیقه أیضا.

أهداف الرساله:

[۳۳]اللّه الذی أرسل الرساله علی ید الرسول،هو الذی یؤید الرساله فی تحقیق الهدفین الاساسیین لها و هما:

ألف:توفیر فرصه الهـدایه للنـاس حتی یتم الحجه علیهم،و الهـدی هو الوصول الی الحقیقه و لا یصل البشـر الی الحقیقه الا بالعلم بهـا و التسـلیم القلبی لهـا،ذلـک لأـن العلم الـذی لاـ یشـفعه الایمـان لاـ یکفی إذ یبقی الجحود و الغفله حـاجزا بین البشـر و بین الحقیقه،انما عن طریق الایمان،أو بتعبیر آخر تسـلیم القلب للعلم الذی یکتشـفه الدماغ یهتدی البشر،و الرساله لیست علما فقط بل و قبـل ذلک هی تزکیه للنفس و تنظیف للقلب عن الحواجز و الحجب حتی یتقبل العلم،فهی إذا هـدی و هـذا واحـد من هـدفی الرساله.

باء:أما الهدف الثانی فهو:إقامه سـلطه الحق.سـلطه العداله و القانون، سلطه القیم و المبادئ،و ذلک فی مقابل سلطه القوه التی هی شریعه الغاب،و منطق

الجبارين،و من الواضح ان المجتمع اما تسوده شريعه الغاب أو شريعه اللّه.شريعه الحق و...

و لأن اللّه الذى خلق الحياه منح قدرا من الحريه للناس الا ان العاقبه هى للحق.

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ أى بالرغم من مخالفه المشركين.

الممارسات العمليه للأحبار و الرهبان:

[۳۴]لماذا يجوز للإنسان أن يسمع كلام الطبيب و المهندس و الخبير العسكرى، و يتبع أوامرهم دون تحقيق أو بحث بينما لا يجوز له أن يتبع الحبر أو الراهب اتباعا مطلقا،أو ليس العالم بالدين يشبه الخبير فى سائر الحقول؟ للاجابه،على هذا السؤال الذى كان مطروحا عند اليهود و النصارى أيضا نستطيع أن نقول استلهاما من القرآن:ان مراجعه الخبير..أى خبير بحاجه الى أمرين:

الأول:الثقه بأنه خبير فعلا،فانك لا تراجع طبيبا تشك فى معرفته بالطّب.

الثانى:الثقه بأمانته و انه لا يخونك،فرئيس الدوله لا يستقدم طبيبا من الحزب المعادى و قائد الجيش لا يتبع نصيحه ضابط يشك فى ولائه.

و كلما كانت القضيه التى تراجع فيها أخطر كلما تحتاج الى ثقه أكبر فى علم الخبير و أمانته،و لكن قد يكون البشر غير عارف بأهميه قضيته فيراجع خبيرا من دون

ثقه كافيه كما كانت الحاله عند اليهود حيث انهم لم يعطوا الرساله أهميه كافيه فاذا بهم يراجعون فيها الأحبار،و الرهبان من دون ثقه كافيه،بل مع علمهم بالمخالفات التى يحكم العقل و الفطره بأنها تتنافى و القبول بهم،لذلك يذكر القرآن هؤلاء بتلك المخالفات الدينيه التى تسقط الأحبار و الرهبان من صلاحيه الاتباع و التقليد.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبٰارِ وَ الرُّهْبٰانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ النّٰاسِ بِالْبٰاطِلِ ان أكل مال أحد بغير حق أبسط مخالفه يعرفها الجميع فطريا و دون حاجه الى معلومات دينيه مسبقه،و الأعظم من ذلك انهم كانوا يصدون عن سبيل اللّه،و سبيل اللّه هو كل خير،مثل الدفاع عن المظلومين و المستضعفين و إعانه الفقراء و المساكين، و العمل من أجل بناء الوطن،و هكذا...ان هؤلاء كانوا يصدون عن سبيل اللّه بدل العمل فى هذا السبيل.

وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ و أيضا تراهم يؤيدون التجار الذين يكنزون الذهب و الفضه،بل هم أيضا قد يصبحون تجارا من هذا النوع.

وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ و من يكون عند اللّه معذبا هل يمكن تقليده و اتباع أوامره؟ [٣۵]اما عذاب اللّه الذى ينتظر هذا الفريق من الناس فهو:ان ربنا سبحانه سوف يحمى هذه النقود حتى تلتهب،ثم يضعها على جوانبهم ليحرقوا بها.

يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهٰا فِي نٰارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهٰا جِبٰاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذٰا مٰا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فبدلا من تحقيق هدفهم من الكنز،و هو الانتفاع به أضرهم و أصبح نارا لاهبه تكوى أطرافهم.

فَذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

ما هو الكنز؟

سؤال:أى قدر من المال المخزون يعتبره الإسلام كنزا.هل هو الزياده على حاجه الفرد؟أم هو أكثر من أربعه آلاف دينار،أم هو المال الذى لا ينفقه الفرد فى سبيل اللّه،و لا فى بناء المجتمع-صناعيا أو عمرانيا أو زراعيا أو تجاريا-و لا يدخره لحاجه شخصيه محتمله مثل مرض أو عاله.أم ماذا؟ قد يكون الكنز بالذات حراما للفلسفه الماليه التى جاءت فى سوره(الأنفال) فان المال قيام للمجتمع فتخزينه من دون فائده إضاعه لجهود الناس،و توقيف للحركه الاقتصاديه،أما من يعتبر تخزين المال كنزا مضرا بالمجتمع فان ذلك يحدده القانون حسب الظروف المتطوره،و ربما كان اختلاف الظروف سببا فى اختلاف الأحاديث المأثوره فى حرمه الكنز،مما نذكر طيّا بعضها للاهميه البالغه لهذا الموضوع الحساس فى ظروف يتحالف فيها ادعياء الدين مع مستغلى الشعوب المحرومه و مصاصى دمائهم و ذلك تحت غطاء حق الملكيه الفرديه التى يقرها الإسلام،و لكن فى حدود المصلحه الاجتماعيه،اما الأحاديث فهى التاليه:

ألف:

قال رسول اللّه(صلى اللّه عليه و آله) :

«كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز و إن كان تحت سبع أرضين،و كل مال لا

تؤدّی زکاته فهو کنز و ان کان فوق الأرض » باء:

روی عن علی(علیه السلام) :

«ما زاد علی أربعه آلاف فهو کنز أدی زکاته أو لم یؤدها،و ما دونها فهی نفقه، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ» جیم:

فی تفسیر علی بن إبراهیم،ضمن حدیث مطول. ان عثمان بن عفان نظر الی کعب الأحبار فقال له:یا أبا اسحق ما تقول فی رجل ادی زکاه ماله المفروضه.هل یجب علیه فیما بعد ذلک شیء؟فقال:لا و لو اتخذ لبنه من ذهب و لبنه من فضه ما وجب علیه شیء،فرفع أبو ذر رضی اللّه عنه عصاه فضرب بها رأس کعب،ثم قال له:یا ابن الیهودیه الکافره ما أنت و النظر فی أحکام المسلمین.قول اللّه أصدق من قولک حیث یقول: (وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ یُنْفِقُونَهٰا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ) .

دال:

و فی حدیث عن الامام الباقر(علیه السلام) :

«ان اللّه حرم کنز الذهب و الفضه و أمر بإنفاقه فی سبیل اللّه » (۱)ما دام القانون یحدد المصلحه العامه فان اختلاف الأحادیث یدل علی الظروف المختلفه.

ص:۱۶۶

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲۱۳/۲-۲۱۴.

[سوره التوبه (۹): الآيات ۳۶ الى ۴۰]

اشاره

إِنَّ عِدَّهَ اَلشُّهُورِ عِنْدَ اَللّٰهِ اِثْنٰا عَشَرَ شَهْراً فِی کِتٰابِ اَللّٰهِ یَوْمَ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ مِنْهٰا أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ ذٰلِکَ اَلدِّینُ اَلْقَیِّمُ فَلاٰ تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ وَ قٰاتِلُوا اَلْمُشْرِکِینَ کَافَّهً کَمٰا یُقٰاتِلُونَکُمْ کَافَّهً وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُتَّقِینَ (۳۶) إِنَّمَا اَلنَّسِیءُ زِیٰادَهٌ فِی اَلْکُفْرِ یُضَلُّ بِهِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا یُحِلُّونَهُ عٰاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عٰاماً لِیُوٰاطِؤُا عِدَّهَ مٰا حَرَّمَ اَللّٰهُ فَیُحِلُّوا مٰا حَرَّمَ اَللّٰهُ زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمٰالِهِمْ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْکٰافِرِینَ (۳۷) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا مٰا لَکُمْ إِذٰا قِیلَ لَکُمُ اِنْفِرُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ اِثّٰاقَلْتُمْ إِلَی اَلْأَرْضِ أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا مِنَ اَلْآخِرَهِ فَمٰا مَتٰاعُ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا فِی اَلْآخِرَهِ إِلاّٰ قَلِیلٌ (۳۸) إِلاّٰ تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذٰاباً أَلِیماً وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لاٰ تَضُرُّوهُ شَیْئاً وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۳۹) إِلاّٰ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اَللّٰهُ إِذْ أَخْرَجَهُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا ثٰانِیَ اِثْنَیْنِ إِذْ هُمٰا فِی اَلْغٰارِ إِذْ یَقُولُ لِصٰاحِبِهِ لاٰ تَحْزَنْ إِنَّ اَللّٰهَ مَعَنٰا فَأَنْزَلَ اَللّٰهُ سَکِینَتَهُ عَلَیْهِ وَ أَیَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهٰا وَ جَعَلَ کَلِمَهَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا اَلسُّفْلیٰ وَ کَلِمَهُ اَللّٰهِ هِیَ اَلْعُلْیٰا وَ اَللّٰهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۴۰)

اللغه

۳۷[لیواطئوا]:المواطأه..الموافقه.

ص:۱۶۷

النسیء عقده الجاهلیه،

اشاره

و الاستنفار ضروره جهادیه

هدی من الآیات:

بعد الحدیث عن الکفار من أهل الکتاب،عاد القرآن مره اخری للحدیث عن المشرکین و ضرب لنا مثلا من انحراف الشرک و مسبقا بین حکم الأشهر الاثنی عشر التی یعتبر اربعه منها حرما،و بیّن ان الالتزام بهذه الأشهر هو الدین القیّم،فیجب الا یظلموا أنفسهم فیها و بعدئذ امر المسلمین بقتالهم بلا استثناء،و وعدهم النصر إذا التزموا بالتقوی.

اما التلاعب بأحکام اللّه،و تغییر الأشهر-حسب الأهواء-فانه زیاده فی الکفر،و ضلاله یقع فیها الکفار حیث یحلون الشهر ذاته فی عام بینما یحرمونه فی عام آخر،لیکون المجموع بقدر العدد الذی جعله اللّه و هکذا یخالفون تعالیم اللّه من دون وازع نفسی،بل زیّن لهم سوء عملهم لکفرهم المسبق و لان الکفر یحجب الضمیر، وَ اللّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ .

و یخاطب القرآن المؤمنین:لماذا لا یخفّون الی القتال حین یؤمرون به؟هل من

أجل الاکتفاء بالدنیا و الرضا بها.بینما قیمه الدنیا فی حسابات الاخره قلیل جدا؟

بینات من الآیات:

الأشهر الحرم و الأهواء الجاهلیه:

[۳۶]الشـهور فی السنه اثنا عشر شهرا،فالقمر یبدأ هلالا و ینتهی الی بدر،ثم یتناقص حتی یغیب قبل أن یظهر مره اخری هلالا،کل ذلک خلال ثلاثین نهارا، و یتکرر هـذا الأمر کل شـهر اثنا عشـر مره،و علینا-نحن البشـر-ان نوافق أعمالنا حسب سـنن الطبیعه لا سحب اهوائنا،و سـنن الطبیعه هی الحق التی خلق اللّه السموات و الأرض علیها،و من مظاهر الجاهلیه العمل حسب الأهواء العاجله دون تفکیر فی ظروف الطبیعه أو حتی دون معرفه بها و القرآن خالف ذلک قائلا:

إِنَّ عِدَّهَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنٰا عَشَرَ شَهْراً فِی کِتٰابِ اللّهِ یَوْمَ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ ففی کتاب الطبیعه کما کتاب التشـریع،و منذ ان أوجـد اللّه الکون جعله جاریـا علی نظام ثابت متین و علینا اکتشاف هـذا النظام فنسعد بالتوفیق معه،و الا فان ذلک یسـبب لنا متاعب کثیره ینهانا اللّه عنها و ینصحنا بعدم التورط فیها.

مِنْهٰا أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ ذٰلِکَ الـدِّینُ الْقَیِّمُ فَلاٰ تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَـکُمْ و المشـرکون هم الذین یخالفون هذه الحقائق الکونیه،و علینا قتالهم لتصحیح مسارهم،کما انهم یعتبرون عقبه فی هذا السبیل بطبیعه جهلهم و فساد نظامهم.

وَ قٰاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّهً کَمٰا یُقٰاتِلُونَکُمْ کَافَّهً إذا السبیل مختلف.

ص:۱۷۰

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الملتزمين بمناهج الإسلام التى هى حاله مخالفه للعمل بالأهواء.

ما هو النسیء؟

[۳۷]إنّ تغییر احکام اللّه مثل حکم الأشهر.و سائر الأحکام و ذلک حسب مشتهیات هذا الحاکم أو ذاک،و شیخ هذه العشیره و رئیس تلک الجماعه،فانه زیاده فی الکفر.

إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیٰادَهٌ فِی الْکُفْرِ و النسیء بمعنی التأخیر یقال:نسأت الإبل فی ظمئها یوما أو یومین أو أکثر من ذلک و المصدر النسیء،و جاء فی التفسیر:کانت العرب تحرم الشهور الأربعه و ذلک مما تمسکت به من مله إبراهیم و إسماعیل و هم کانوا أصحاب غارات و حروب،فربما کان یشق علیهم ان یمکثوا أشهر متوالیه لا یغزون فیها فکانوا یقررون تأخیر المحرم الی الصفر فیحرمونه و یستحلون المحرم فیمکثون بذلک زمانا ثم یزول التحریم الی المحرم و لا یفعلون ذلک الا فی ذی الحجه. (۱)

اَلنَّسِیءُ زِیٰادَهٌ فِی الْکُفْرِ :

و یبقی سؤال:لماذا یعتبر ذلک زیاده فی الکفر؟ ربما لأن الاعتداء الذی کان الجاهلیون یغیّرون الأشهر من أجله هذا الاعتداء حرام بذاته فاذا غیروا حکما شرعیا و عقدا اجتماعیا توافقوا علیه من أجل الاعتداء

۱- ۱) مجمع البیان ج ۲۹/۵.

فـان ذلـك يعنى تجـاوز كـلّ القيم و المقـدسات دون تغييرهـا،و مع الاـعتراف بـان الحرب فيها خطأ يرتكبونه،و لكن لماذا كان الجـاهليون يغيرون الأشـهر الحرم للقيام بالاعتـداء على بعضـهم؟ لأنهم كانوا يحاولون التخلص من وخز الضـمير،و لومه المؤمنين بالشـرائع.تماما كما يفعل الطغاه اليوم حيث يلبسون جرائمهم ثوب الشـرعيه فيلاحقون المطالبين بحرياتهم و حقوقهم تحت شعار المحافظه على الأمن،و ربما باسم الدين أيضا،أو يضعون قوانين ثم يحاكمون الناس على أساسها فى الوقت الذى لا يملكون حق إصدار القوانين بل هذا بذاته أكبر الجرائم بحق الشعب.

و هكـذا يصـبح التـبرير الـذى يتـذرع به المجرمـون دافعـا لهم نحو المزيـد من الجريمه، و التخلص من روادع الجريمه النفسـيه و الاجتماعيه باسم ذلك التبرير.و لـذلك أكّد القرآن هنا:انّ النسـىء ليس زياده فى الكفر فقط بل هو سـبب للضـلاله و الانحراف أيضا:

يُضَـلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا انهم كـانوا يحلون ذات الشـهر(مثلاـ:شـهر ذى الحجه)فى هـذا العـام بينمـا يحرمونه فى العام الآخر حسـب خططهم الحربيه،و هكذا كانوا يتلاعبون بالشرائع و القوانين.

يُحِلُّونَهُ عَاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِؤُا عِدَّهَ مَا حَرَّمَ اللّهُ أى ليجعلوا الأشـهر الحرم أربعه كما قال اللّه.و لكن بعد تغيير محتواه حسـب أهوائهم.

فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ

زين لهم الاعتداء.حتى غيروا أحكام اللّه من أجله،و هكذا لو جعل الفرد هدفه غير مرضاه اللّه و غيّر أحكام اللّه للوصول اليه،و برر فعلته الاجراميه.بأن الغايه تبرر الوسيله.

بيد أن العمليه كلها تسبب الضلاله و الجحود لأن القلب البشرى الذى يستهدف الوصول الى مطامع ذاتيه لا يبحث عن الحقيقه،فلا يهتدى إليها.

وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ ذلك لأن الكفر-و هو هنا المخالفه العمليه للواجبات-يؤثر على العقل فيسلب منه نور المعرفه.

[۳۸]قلنا ان أهم شيء يحدد فكر البشر و سلوكه هو هدفه الذى زين له فعشق الوصول اليه فاذا كان هدفه اللّه و اليوم الآخر فانه كما السائق الرشيد يقود سائر العجلات و الاجهزه فى سياره الحياه على الطريق السليم و إلاّ فان كل العجلات تسير فى طريق الانحراف و الهلاك.و هكذا ضلّ الكافرون ضلالا،و هكذا يضل المؤمنون إذا لم يحذروا و يتقوا و يخلصوا أهدافهم،فلو كان هدف الفرد المتعه فى الحياه الدنيا لترك الجهاد فى سبيل اللّه خوف الموت.و تثاقل عن تنفيذ أوامر اللّه.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مٰا لَكُمْ إِذٰا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اثّٰاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أى تثاقلتم و تباطأتم،و برّرتم بتبريرات هدفها تأخير الحرب.مره تقولون:الآن وقت الحر القائظ.أ فلا ننتظر حتى يعتدل الجو،و مره تقولون:البرد شديد فلننتظر قليلا حتى تخفف وطأته،و مره تبررون بعدم الاستعداد الكافى للمعركه.

و النفور و التحرك فى سبيل اللّه لا يختص بالحروب.إذ كل سعى نفر كما

جاء:(النفر:الخروج الی الشیء لأمر هیّج علیه.و منه نفور الدابه). (۱)

و مما یؤسف له ان الکثیر منا یبطئ العمل فی سبیل اللّه بحجه أو بأخری، و الحجج کلها باطله و السبب الحقیقی کامن فی حب الدنیا.

أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا مِنَ الْآخِرَهِ فَمٰا مَتٰاعُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا فِی الْآخِرَهِ إِلاّٰ قَلِیلٌ ان المؤمن الواعی یجب ان یکون مقتلعا من الأرض.متحررا من جاذبیه الماده.

مندفعا فی الاتجاه السلیم الذی یأمر به اللّه لان المتعه البسیطه فی الدنیا لا تعادل أبدا راحه الاخره.ان الدنیا زائله قصیره و المتعه فیها مشوبه بالصعاب بینما الاخره باقیه خالده و متعتها خالصه لا یشوبها خوف أو حزن.

سنّه التحرک فی الحیاه:

[۳۹]التیار الرسالی یندفع فی الحیاه،کما سیل جارف یرعاه رب السماء، و تحرکه کل سنن الحیاه و انظمتها،فاذا ترکت أنا الجهاد فانما أشذ عن حرکه عظیمه و أهلکت نفسی.

إِلاّٰ تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذٰاباً أَلِیماً فالراحه المنشوده من وراء ترک السعی و التحرک تتبدل بعذاب أتجرع ألمه.

وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ و التعزز و الأنفه یسببان الاستغناء عنی و عزلی عن شرف المسؤولیه.

۱- ۱) المصدر ۳۰.

وَ لاٰ تَضُرُّوهُ شَيْئاً و إذا فكرت فى الانتقام فلا أستطيع أن انتقم من الحق أبدا.

وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إذ هو القادر على ان يسلب منى كل قوه أوتيتها فلم استخدمها فى سبيل تنفيذ أوامره فما ذا يبقى لى غير خزى الدنيا و عذاب الآخره.

قصه الهجره و الانتصار:

[۴۰]هل انتصرت الرساله بى،فحين كنت بعيدا عنها سادرا فى الغفله و الجهل من الذى نصر الرساله أو ليس اللّه؟!فلما ذا التعزز عليها؟! إِلاّٰ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا من مكه المكرمه،زاعمين:ان هذا الإخراج يؤثّر فى مسيره الرساله التصاعديه.

ثٰانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمٰا فِي الْغٰارِ إِذْ يَقُولُ لِصٰاحِبِهِ و هو أبو بكر حيث خرج معه للهجره.

لاٰ تَحْزَنْ إِنَّ اللّٰهَ مَعَنٰا مطّلع علينا محيط علمه و قدرته و لطفه بنا فلما ذا الحزن و لماذا القلق.

جاء فى التفاسير:

قال الزهرى :لما دخل رسول اللّه و أبو بكر الغار أرسل اللّه زوجا من الحمام حتى باضا فى أسفل الثقب،و العنكبوت حتى تنسج بيتا فلما جاء

سراقه بن مالک فی طلبهما و رأی بیض الحمام و بیت العنکبوت قال:لو دخله أحد لا نکسر البیض و تفسخ بیت العنکبوت فانصرف.

فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَکِینَتَهُ عَلَیْهِ على رسول اللّه الذی تحمل ثقل الرساله،و هکذا من یحمل الرساله و یثبت فان اللّه یبعث فی قلبه الاطمئنان و الدعه حتی لا تهزه الحوادث المتغیره أو المشاکل الطارئه.

وَ أَیَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهٰا هی جنود الملائکه فی الغزوات،کما انها جنود الحق المجنده فی هذا الکون الرحیب،و التی لا یراها البصر العادی.ان سنن الحیاه و انظمه الکون کلها تدعم رساله الحق و صاحب هذه الرساله و لکن لا یشعر بها أحد.

وَ جَعَلَ کَلِمَهَ الَّذِینَ کَفَرُوا السُّفْلیٰ لأنها لا تعتمد على قاعده صلبه،أو أساس متین إنها تعتمد على الکفر بالحقائق و جحودها،فکیف تثبت؟! وَ کَلِمَهُ اللّٰهِ هِیَ الْعُلْیٰا لقد خلقت کلمه اللّه هکذا..انها هی العلیا،و هی المنتصره أخیرا.

وَ اللّٰهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ فبعزته یجعل کلمه الکافرین السفلی بعد أن منح لهم الحریه لبعض الوقت حتی یبتلیهم و یمتحن قدره المؤمنین على الاستقامه،و بحکمته یدبر أمور الکون.

ص:۱۷۶

[سوره التوبه (۹): الآیات ۴۱ الی ۴۵]

اشاره

اِنْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ ذٰلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۱) لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِیباً وَ سَفَراً قاصِداً لاَتَّبَعُوكَ وَ لٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَیْهِمُ اَلشُّقَّةُ وَ سَیَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَوِ اِسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ یُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۴۲) عَفَا اَللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَكَ اَلَّذِینَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ اَلْكاذِبِینَ (۴۳) لاٰ یَسْتَأْذِنُكَ اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ أَنْ یُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِالْمُتَّقِینَ (۴۴) إِنَّمَا یَسْتَأْذِنُكَ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ اِرْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِی رَیْبِهِمْ یَتَرَدَّدُونَ (۴۵)

اللغه

۴۲[عرضا]:العرض الشیء الزائل.

التعبئه العامه و تبريرات المنافقين

هدى من الآيات:

يجب الجهاد بأيه صوره ممكنه بالنفس و المال.بيد ان البعض يزعم ان الجهاد سفره سياحيه أو مكسب عاجل،و حين يكتشف ان الجهاد يتطلب طيّ مسافات متباعده يتركه و يحلف باللّه انه لا يقدر عليه،و انه لو استطاع الجهاد ما تركه،بيد انهم لا يضرّون إلاّ بأنفسهم،و على القياده الاسلاميه ان تتخذ الجهاد وسيله لكشف العناصر الضعيفه و المنافقه فلا تأذن لمن يستأذنها فی ترك الجهاد.ذلك لان المؤمنين لا يستأذنون القياده لأنهم يتطلعون نحو الجهاد بأنفسهم و أموالهم إيمانا منهم باللّه و اليوم الآخر،و اللّه عليم بهم.

و الكفار الذين لا يؤمنون باللّه و اليوم الآخر أو يرتابون فی ذلك هم وحدهم الذين يستأذنون.

ص:١٧٨

بينات من الآيات:

الاستنفار و الجهاد:

[۴۱]يجب النفر على الجميع بقدر استطاعتهم فقد يكون شابا نشيطا غنيا ليست لديه علاقه عائليه أو اجتماعيه أو اقتصاديه،أو يكون شيخا أو ضعيفا أو فقيرا ذا عائله كبيره و علاقات اجتماعيه و اقتصاديه تثقله عن الخروج.

و التحرك من أجل اللّه قد يكون جهادا أو عمرانا أو تمهيدا للجهاد،لذلك أكدّ القرآن على الخروج بصفه عامه و بصوره خاصه.

اِنْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً أى سواء شقّ عليكم النفر أولا،و قد يفسر النفر الخفيف بالسرايا المتحركه ذات المجموعات الصغيره،بينما النفر الثقيل هو تحريك الجيش بأسلحته الثقيله، و إذا صح هذا التفسير فانه يعنى ان الجهاد أو العمران أو أىّ تحرك،جماعى من أجل الإسلام ليس من مسئوليات الدوله فقط و انما كل مجموعه قادره على القيام بمهمه رساليه فان عليها ان تبادر من أجل تحقيقها.

وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ و الجهاد بالمال يعنى بذل كلّ فائض مالى يمكن أن يبقى عند المسلم بعد الإنفاق على نفسه حسب القناعه و الزهد، فالعامل الذى يقدر على الاكتفاء بثلثى اجره يحتفظ بالثلث الآخر ليجاهد به فى سبيل اللّه،و الموظف القادر على الاكتفاء بنصف راتبه يصرف النصف الآخر فى سبيل اللّه،و المدير الذى يتمكن ان يعيش بثلث مدخوله يصرف الثلثين الباقيين فى سبيل اللّه،و هكذا يعتبر الجهاد بالمال زياده على مجرد إنفاق الضرائب المفروضه على كل مسلم و فى الظروف العاديه كالزكاه

و الخمس انه اجهاد النفس فی الاقتصاد و ذلک بهدف الادخار من أجل الهدف المقدس.

و قد نقوم بالجهاد المالی بطریقه اخری و هی ان یتطوع الواحد منا بعمل ثلاث ساعات اضافیه فی الیوم لمصلحه الإسلام.

أما الجهاد بالنفس فلیس فقط بالشهاده فی سبیل اللّه فی لحظه المواجهه.بل و أیضا بالعمل الجاد فی سبیل اللّه،عملا یستنفذ الجهد،و حتی لو کان عن طریق التطوع بیوم عمل کل أسبوع لتحقیق هدف عمرانی مثل بناء الجسور و تمهید الطرق، و إصلاح الاسلحه و صنع الوسائل الحربیه و العمرانیه.

و الجهاد بالمال و النفس یکون فی مرحله الاعداد للمعارک،و لذلک قدم هنا الجهاد بالمال علی الجهاد بالنفس لان الرأسمال ضروره أولیه لأیّ إعداد حربی.

و الامه التی تجاهد فی سبیل اللّه تبنی مستقبلها،و تشید صرح استقلالها،و تحقق أحلامها فی المدنیه و الرفاه.بینما المجتمع الانانی الذی یعمل کلّ فرد من أجل ذاته و مصالحه الخاصه،و یتحطم فی أول مواجهه مع عدوه أو ینهار عند نزول الکوارث الطبیعیه،و یذوب استقلالها فی غمره الصراع الحضاری.من هنا کان الجهاد خیرا للامه من التقاعس،و یحتاج الناس الی العلم بحقیقه الجهاد و انه یعود علیهم بالنفع لأنه یحفظ استقلالهم و یبنی حضارتهم. ان هذا العلم یدفعهم للمزید من التضحیه و الجهاد لذلک قال ربنا:

ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

موقف المنافقین:

[۴۲]بید ان الجاهلین یریدون الجهاد سفره قریبه أو غنیمه حاضره و لو کان

كذلك لكانوا أول المبارزين،و لكن الجهاد عمل شاق و لا يريدونه.

لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَ سَفَراً قاصِداً لاَتَّبَعُوكَ وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ القاصد هو السبيل الذى يقصد لقربه و سهولته.بينما الشقه هى المسافه البعيده أو الوعره التى من الصعب تجاوزها و السير فيها.يتعلل المنافقون على ذلك بأنهم لا يقدرون القيام بالاسفار البعيده.

وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ و هكذا كلّ كسول يزعم انه لا يقدر على القيام بأىّ شىء.

يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بسبب كسلهم و تقاعسهم عن الجهاد.إذ ان الكسل عن العمل يفقد صاحبه قدراته و مهاراته،كما يفقده فوائد العمل و مكاسب الجهد الخارجيه.

وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ و على البشر أن يسعى حتى لا يكون ممن يعلم اللّه كذبه و لا يكون ذلك إلاّ بالإخلاص فى العمل،و زياده الجهد و العمل قدر المستطاع.

تعريه الطبقات الفاسده فى المجتمع:

[۴۳]من فوائد الجهاد و الأعمال الصعبه التى يكلف بها المؤمنون فرز العناصر الكسوله المتجمعه حول الرساله طمعا فى الجاه و المال.ذلك لان تواجد هؤلاء فى مجتمع الرساله يربك القياده،و يضعف المجتمع فلا تستطيع القياده إعطاء أوامر حاسمه لعدم ايمانها بتنفيذها،كما لا يستطيع المجتمع تنفيذ الخطط الطموحه،

و غالبا ما تکون هذه العناصر المتملقون الذين يشغلون المناصب الحاسمه فی المجتمع، فعن طريق تکليفهم بالواجبات الصعبه و عدم قيامهم بها يتم تعريتهم و من ثم تصفيتهم.لذلک يعاتب اللّه رسوله على إعطاء هؤلاء إذنا بعدم الاشتراک فی الجهاد حيث کان ذلک الاذن غطاء لعدم کشفهم على واقعهم أمام المجتمع.

عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکَاذِبِينَ [۴۴]ذلک لان المؤمنين لا يترکون الجهاد فيعرف المنافقون التارکون للجهاد تحت غطاء الاستئذان.

لا يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ الذين يخشون اللّه لا يترکون الجهاد إلا بعذر حقيقى.

[۴۵] إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ففى کثير من الأحيان يزعم الإنسان انه مؤمن بينما قلبه مرتاب يشک فی اللّه و اليوم الآخر.

و الأعمال الصعبه کفيله بکشف هذا الإنسان لنفسه و للآخرين،و الريب ينعکس فی عدم القدره على اتخاذ القرار الحاسم و التردد فی الأمور.

فَهُمْ فِی رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ أى يقلبون الأمور و يذهبون و يعودون.

ص:۱۸۲

[سوره التوبه (۹): الآيات ۴۶ الی ۵۲]

اشاره

وَ لَوْ أَرٰادُوا اَلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لٰكِنْ كَرِهَ اَللّٰهُ اِنْبِعٰاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اُقْعُدُوا مَعَ اَلْقٰاعِدِينَ (۴۶) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مٰا زٰادُوكُمْ إِلاّٰ خَبٰالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلاٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ اَلْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمّٰاعُونَ لَهُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ (۴۷) لَقَدِ اِبْتَغَوُا اَلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ اَلْأُمُورَ حَتّٰى جٰاءَ اَلْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اَللّٰهِ وَ هُمْ كٰارِهُونَ (۴۸) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ اِئْذَنْ لِي وَ لاٰ تَفْتِنِّي أَلاٰ فِي اَلْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ (۴۹) إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنٰا أَمْرَنٰا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ (۵۰) قُلْ لَنْ يُصِيبَنٰا إِلاّٰ مٰا كَتَبَ اَللّٰهُ لَنٰا هُوَ مَوْلاٰنٰا وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۵۱) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنٰا إِلاّٰ إِحْدَى اَلْحُسْنَيَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اَللّٰهُ بِعَذٰابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينٰا فَتَرَبَّصُوا إِنّٰا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (۵۲)

ص:۱۸۳

هكذا تقاعس المنافقون عن الجهاد

هدى من الآيات:

لا يزال الدرس هذا يبين لنا صفات المنافقين و تصرفاتهم فى الحرب،و يعطينا عده مقاييس لتمييزهم و كشف كذبهم:

ألف:ان المنافقين لا يريدون الجهاد بدليل انهم لم يعدّوا له عده،و لو أرادوا الخروج للحرب لهيأوا وسائله سلفا،لذلك ثبطهم اللّه و سلبهم عزيمتهم و جعلهم يقعدون مع الذين لا يملكون قدره الخروج.

باء:و لو تحاملوا و خرجوا للحرب فلا يهدفون فعلا الجهاد،بل كانوا كلاّ و عناء للمسلمين.

جيم:و فى أرض المعركه يثيرون الفتنه و يفسدون علاقه المؤمنين ببعضهم باثاره النعرات الجاهليه،و الحساسيات الباطله.

دال:و هم بالتالى جواسيس و عيون للأعداء على المؤمنين،و اللّه يعلمهم و يعلم

طبيعتهم الظالمه و الدليل على هذه الحقائق تاريخهم السابق حيث كانوا من قبل يحاولون اثاره هذه النعرات،و تغيير مسار الاحداث باتجاه مضاد للرساله،و لكن اللّه أظهر أمره باذنه و هم كارهون.

و من المنافقين من يقول للرسول:اعطنى إذنا بالتخلف عن المعركه حتى لا- أضطر الى ترك أمرك و عصيانك بينما هذا الاستئذان ذاته عصيان و تخلف عن الواجب،و ان جهنم محيطه بالكافرين،فسواء خرجوا أو تخلّفوا فإنهم فى النار لأنهم أساسا من الكافرين. و الكافر لا يصلح عملا و لا يفلح مصيرا.

هاء:و من علامات المنافقين انهم يفرحون كلما ينهزم المسلمون و يحزنون كلما ينتصرون.و يزعمون ان انفصالهم عن ركب الرساله دليل على كمال عقلهم و حذرهم حيث لن يصيبهم ما أصاب المؤمنين،و يقول ربنا ان المصائب مكتوبه على الإنسان و مقدره من قبل اللّه سبحانه،و المؤمنون لا يخشون المستقبل لأنهم يتوكلون على ربهم،و نهايه ما يمكن ان يصيب المؤمنين هو القتل فى سبيل اللّه و هو احدى الحسنيين،اما الانتصار فهو عاقبه حسنى معروفه،بينما المنافقون إما يموتون فيعذبون عند اللّه أو يبقون فيعذبون على يد المؤمنين.إذا الوقت فى صالح المؤمنين و النهايه لهم على أيه حال.

بينات من الآيات:

ما هو الجهاد؟

[۴۶]هناك جدل كبير فى علم أصول الفقه حول هذا السؤال:هل يجب تهيئه الوسائل الضروريه لتنفيذ الواجبات أم لا؟بيد ان العقل يحكم بأنك حين تريد الوصول الى القمه فعليك ان تتسلق الجبل،و لا معنى أساسا لقرارك هذا إلّا الاندفاع فى الطريق الذى يوصلك الى هدفك و هو بلوغ القمه،و هل يعنى ضروره وجود

المسكن إلاّ ـ القيام عمليا ببناء البيت أو شرائه..هل يعنى الحصول على شهاده الماجستير إلا الدراسه المستمره فى الجامعه؟! ان الواجب ليس نهايه السعى.بل ان الواجب هو السعى ذاته الذى ينتهى بالطبع الى النهايه أو يعذرک إذا لم تصل الى النهايه بسبب خارج عن إرادتک.

و يذكرنا القرآن بهذه الحقيقه الواضحه عقليا و يقول:ان الجهاد لا يعنى إلاّ توفير وسائله فالجهاد ليس فرضا موهوما أو تصورا جامدا.الجهاد هو مجموعه اجراءات عمليه متدرجه ينبعث نحوها المؤمن يوميا،و فيما يلى نذكر بعض هذه الاجراءات:-
ألف:الجهاد يعنى الاستقلال عن الآخرين و عدم الخضوع لأوامرهم أو لضغوطهم،و بالتالى إعلان الصراع معهم.

باء:و يعنى توفير فائض من الجهد ليدخره المجتمع من أجل إداره الصراع، و القيام بضروراته.ذلک لان الاستقلال يعنى المحاصره الاقتصاديه و الضغوط السياسيه،و نقص الثمرات و عدم التبادل التجارى مع أطراف اخرى غير الأعداء و ذلک بسبب عدم أمن الطرقات،و يعنى الاستقلال و بالتالى الاكتفاء الذاتى فى كثير من الحقول.و هذا لا يكون إلا بجهد إضافى.

كما يعنى الجهاد ادخار المؤن،و صنع السلاح و الذخيره،و تموين الجيش، و تمويل المؤسسات العسكريه،و كل ذلک بحاجه الى فائض من الجهد.

جيم:الجهاد يعنى فى بعض المراحل تطوير الاقتصاد لكى يكون اقتصاد حرب يستخدم كل شىء من أجل المعركه باستثناء الضرورات الحياتيه.

دال:و الجهاد يعنى:التدريب المتواصل لكل القادرين على حمل السلاح أولا أقل للجيش المحارب،و التدريب بدوره قد يطول سنينا و أعواما من تدريب القاده

ص:۱۸۷

و الضباط و الى تدريب الفرق الخاصه و حتى تدريب الجنود العاديين.

هاء:و الجهاد بحاجه الى تقويه الروح المعنويه،و شحذ العزائم،و إعداد النفوس لتحمل الصعاب.

و هكذا يكون شكل المجتمع المحارب مختلفا كليا عن شكل المجتمع السادر فى غياهب الاستسلام و التخلف،لذلك أكدّ القرآن على هذه الحقيقه بالنسبه الى المنافقين الذين يتشدقون بالمعركه دون أن يصدقوا لعدم القيام بالاعداد لها.

وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً و الدليل على صدق النيه،و سلامه العزيمه الاندفاع نحو الهدف.

وَ لٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ أى اندفاعهم و تحريك الاراده لهم.

فَثَبَّطَهُمْ أى أفقدهم إرادتهم و أقعدهم الأرض.

وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ الذين لا حول لهم و لا قوه و لا فرق بين العاجز عن التحرك،و المثبط الذى لا يملك اراده التحرك.

و هكذا نجد اليوم العالم الاسلامى يتحدث عن الاستقلال دون أن يهىء وسائله أو يتحدث عن محاربه«إسرائيل»دون أن يعد نفسه جديا لهذه الحرب.

ص:۱۸۸

الطابور الخامس:

[۴۷]المنافقون لا يخرجون للحرب،أما لو خرجوا فليس للحرب ضد العدو،بل ضد المسلمين و ذلك بطرق:

أولا:انهم سوف يطالبون القياده أبدا بالسلاح و الوسائل الرفاهيه حتى يتعبوا القياده و يكونوا زياده عناء فوق عناء الحرب.

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ أى فى صفوفكم.

مٰا زٰادُوكُمْ إِلاّٰ خَبٰالاً أى عناء،يقول العرب:هو خبال على أهله.أى كلّ عليهم،و كل عناء يفسد و لا يصلح لأنه يمتص الجهود دون أن يقدّم شيئا لذلك فسّر الخبال هنا بالفساد و العجز.

ثانيا:انهم مسارعون الى الفتنه،و الفرقه بين المسلمين،بل انهم يسارعون بين الصفوف ينقلون لهذا كلاما ضد ذاك،فاذا غضب و بدرت منه كلمه ضخموها و حملوها الى الآخرين.

انهم بالتالى يقومون بدور الطابور الخامس للعدو.

وَ لَأَوْضَعُوا خِلاٰلَكُمْ الكلمه مأخوذه من الإيضاع يقال:أوضع الإبل فى سيره أى أسرع و الخلال يعنى فى صفوفكم.

ص:۱۸۹

أی انهم یسرعون بین الصفوف بهدف الفتنه.

یَبْغُونَکُمُ الْفِتْنَهَ أی یریدونکم ان تتحولوا الی قطعه من الخلافات الداخلیه و البرود عن المعرکه.

ثالثا:ان هؤلاء جواسیس للأعداء علیکم.

وَ فِیکُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَ اللّهُ عَلِیمٌ بِالظّالِمِینَ و کل ظالم ینتهی مصیره الی هذه العاقبه،و هکذا علینا ألاّ ننظر الی ظواهر الأشخاص،بل نفکر فی تاریخهم و سلوکهم السابق و کیف انهم کانوا یعملون سابقا فإنهم یعملون ذلک مستقبلا.

مراجعه السوابق:

[۴۸]یذکرنا القرآن بماضی المنافقین الأسود،و کیف انهم کانوا فی أیام السلم یقلبون الأمور لرسول اللّه صلی الله علیه و آله ،و یصورونها تصویرا مقلوبا.

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَهَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ جاء فی التفاسیر: و قلبوا لک الأمور:أی صرفوها من أمر الی أمر،و دبروا لک الحیل و المکائد،و منه قول العرب حولّ قلّب،إذا کان دائرا حول المکائد و الحیل یدیر الرأی فیها و یتدبره. (۱)

و جاء:و قلبوا لک الأمور:أی احتالوا فی توهین أمرک و إیقاع الاختلاف بین

۱- ۱) الفتح القدیم ج ۳۶۷/۳

المؤمنين و فی قتلک بکل ما أمکنهم فلم یقدروا علیه،و قیل:انهم کانوا یریدون فی کیده وجها من التدبیر فاذا لم یتم ذلک فیه ترکوه و طلبوا المکیده فی غیره فهذا تقلیب الأمور عن أبی مسلم. (۱)

و أتصور ان تقلیب الأمور للرسول صلی الله علیه و آله (و لم یأت علیه)یعنی:تبیانها بصوره غیر صورتها الحقیقیه و ذلک للاشاره الی مدی کذب هؤلاء علی الرسول صلی الله علیه و آله و تمرسهم فی الاشاعات الباطله و اللّه العالم.

و لکن هذه المحاولات باءت بالفشل فهذا الدین قد ظهر،و ذابت تلک الاشاعات فی حراره الانتصار و تحقق الرساله.

حَتّی جٰاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللّٰهِ وَ هُمْ کٰارِهُونَ کانوا یحاولون أبدا تحویر الحقائق بأقوالهم و إطفاء نور اللّه بما یخرج من أفواههم من ألفاظ فارغه لا تعنی شیئا.

واقع المنافقین:

[۴۹]ان بعض المنافقین یریدون تطویع الدین لشهواتهم و أهوائهم و یطالبون القیاده الدینیه بان تسمح لهم بارتکاب بعض المحرمات.زعما منهم ان لهم الحق فی ذلک و یهددون القیاده بأنها لو لم تأذن لهم بمثل ذلک لترکوا الدین و لخالفوا أوامر اللّه،و تکون الخطیئه علی عاتق القیاده التی استصعبت علیهم الأمور.فهل هذا صحیح؟کلا:إذ ان الدین هو المهیمن علی تصرفات البشر،و القائد لمسیرته لا العکس کما یریده المنافقون،و بالتالی یجب أن یتّبع الدین لا ان یتّبع،و من جهه

۱- ۱) مجمع البیان ج ۳۶/۵.

اخرى محاوله المنافقين بتطويع الـدين لشـهواتهم و مطالبتهم بالاذن لمخالفه تعاليم الدين.هـذه المطالبه ذاتها خروج عن الدين و كفر به.إذ ليس بدين ذلك الدين الذى يتخذ مطيه لأهواء المنافقين.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لاٰ تَفْتِنِّي أى لا تمتحنى و تجبرنى على ترك واجب الجهـاد،بـل ائـذن لى بتركه حتى يكون تركى للجهاد مسموحا شرعيا.

أَلاٰ فِي الْفِتْنَهِ سَقَطُوا و أى فتنه أكبر من الاستئذان بترك الجهاد.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكٰافِرِينَ فان سـيئات أعمالهم و ما كسـبته قلوبهم و أنفسهم من الرذائل و الخطايا هى بذاتها نيران كامنه فى صوره نيران ملتهبه،أو عقـارب و حيـات فى يوم القيـامه و مـا دام البشـر قـد اختـار طريقـا منحرفـا فـان كـل أعماله سـتكون وبالا عليه.كما إذا اتخذ قائد الجيش استراتيجيه خاطئه فان أساليبه و عملياته ستكون كلها باطله و غير نافعه.

معرفه المنافقين بعد الانتصار:

[۵٠]بسـبب كفر المنافقين و عدم إيمانهم باللّه و بالرساله يرون أنفسـهم منفصـلين عن المجتمع الرسالى،فاذا غنم المسـلمون شيئا حزنوا لأنهم لم يكونوا معهم حـتى يغنموا مثلهم،و ان خسـر المسـلمون المعركه و انهزموا فرحوا زاعمين ان تخلفهم عن المعركه كان بسبب صحه مواقفهم و سلامه عقولهم،و ازدادوا بذلك ابتعادا عن الجبهه الاسلاميه.

ص:١٩٢

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنٰا أَمْرَنٰا مِنْ قَبْلُ أی كنّا عارفين بالعاقبه،و قد اتخذنا الاحتياطات اللازمه لمواجهه الموقف و ذلك بعدم الاشتراك فی الجبهه.

وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ لأنهم فی زعمهم لم يخسروا شيئا.

و هكذا يعمل المؤمن و يجلس المنافق يراقب الموقف ليعلق على النتائج.

كيف نتصرف عند المصائب؟

[۵۱]و لكن هل الخسائر التی تلحق الرساليين فی ساحه المعركه كلها خسائر.

أم انها أقدار كتبها اللّه عليهم لحكمه بالغه.فدماء الشهداء تكرس فی المجتمع القيم الرساليه و إذا لم يقتل الشهداء فإنهم لا يخلدون فی الحياه بل كانوا يموتون بسبب أو بآخر و لكن حين استشهدوا و أريقت دمائهم من أجل الرساله جرت تلك الدماء الزكيه فی عروق الآخرين للتحول الى عزيمه راسخه و صلابه و استقامه.

و هكذا الخسائر الماديه زكاه لأموال المسلمين،و الجهود المبذوله زكاه لابدانهم تطهرهم و تؤهلهم لمسؤولياتهم القياديه.

لذلك قال ربنا:

قُلْ لَنْ يُصِيبَنٰا إِلاّٰ مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَنٰا فلا حزن مما كتب اللّه.

ص:۱۹۳

ثم ان اللّه الذی قدر علینا المصیبه هو صاحب النعمه التی سلبها فلیس علینا ان نناقش ربنا فیما یکتبه و یقدره.

هُوَ مَوْلاٰنٰا وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لذلک فهم لا ینهزمون نفسیا مما یقدر اللّه علیهم من الهزائم،بل یعلمون ان الهزیمه خطوه الی الوراء،و خطوتان الی الامام بإذن اللّه،و بفضل التوکل علیه.

النصر أو الشهاده:

[۵۲]و أسوأ الاحتمالات عند المنافقین یعتبر عند المؤمنین أحسن الاحتمالات، أ و لیس الموت آخر ما یخشاه المنافقون،و لکنه أفضل ما یتمناه المؤمنون أما النصر فهو أمل الجمیع و قد یبلغه المؤمنون.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنٰا إِلاّٰ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ أما النصر أو الشهاده فی سبیل اللّه.

وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ و ننتظر لکم واحدا من عذابین فاما العذاب فی الدنیا بهزیمتکم،و إما العذاب فی الآخره و ذلک بالنصر الظاهر لکم فی الدنیا و زیاده ذنوبکم و تحولها الی عقاب شدید فی الآخره.

أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذٰابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينٰا فَتَرَبَّصُوا إِنّٰا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ فالجمیع ینتظر العاقبه،و الفارق ان الرسالیین سیر بحون الموقف أما الکفار و المنافقون فإنهم سوف یخسرونه لا محاله بإذن اللّه تعالی.

ص:۱۹۴

[سوره التوبه (۹): الآیات ۵۳ الی ۵۷]

اشاره

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ (۵۳) وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لا يَأْتُونَ اَلصَّلاةَ إِلاّ وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلاّ وَ هُمْ كارِهُونَ (۵۴) فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اَللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ (۵۵) وَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (۵۶) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ (۵۷)

اللغه

۵۶[يفرقون]:الفرق إزعاج النفس بتوقّع و أصله من مفارقه الأموال حال الانزعاج.

۵۷[مدّخلا]:المدخل المسلک الذی يتدسس بالدخول فيه.

[يجمحون]:الجماح مضی المار مسرعا.

ص:۱۹۵

المنافقون و التظاهر بالدين

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث عن سلوك المنافقين فى الحرب،يبين هذا الدرس موقف المنافقين من المال و كيف انهم لا ينسون أنفسهم كما يفعل المؤمنون،بل لا- يزالون حريصين على المال فلا- ينفقون منه و لا- يتقبل اللّه منهم نفقاتهم،لأنهم يعطونها رياء،و أما أموالهم و أولادهم فهى عذاب لهم فى الدنيا و غرور يدفعهم نحو الاستمرار فى الكفر.

ان علاقه المنافقين بالمؤمنين تحددها مصالحهم الخاصه،فاذا وجدوا مغانم و مكاسب بادروا الى تسجيل أسمائهم مع المؤمنين و إلا تهرّبوا من المجتمع المسلم و و ذهبوا الى شياطينهم و لكن مع كل ذلك تراهم يحلفون باللّه أبدا أنهم من جماعتكم، و الواقع انهم مع مصالحهم و ذلك تراهم كل يوم مع جماعه.

ص:۱۹۶

بينات من الآيات:

إنفاق المنافقين رياء أو خوفا:

[۵۳]جاء فی بعض الأحاديث،ان إبليس قال لربه بعد ان امره بالسجود لآدم:اعفنی عن ذلک و سأقوم بسجده لک طولها أربعه آلاف عام.قال له اللّه:انی أريد الطاعه و لا أريد العباده.

و هكذا أحكام الشريعه ليست مطلوبه بذاتها بل انها فی حدود الأوامر التی تفرضها فمثلا لو تركت صلاه الصبح و هی ركعتان عمدا،ثم صليت بدلا عنها عشر ركعات فی غير وقت الصبح فان ذلک لن يقبل منک و تكون آنئذ مثل من لا يحمل جوازا عند مروره علی الحدود الخارجيه للبلد و لكنه يظهر جوازه عند شراء الحاجيات من المحلات التجاريه فهل ينفعه ذلک؟! و المنافقون لا يطيعون الأوامر القياديه ثم يقومون ببعض العبادات التی لا تؤثر علی مواقفهم فلا يقبل ذلک منهم،فهم يتمردون علی أمر القياده بالجهاد،و لكنهم يريدون تعويض ذلک بالإنفاق مكان حضورهم فی الجبهه فان اللّه لا يتقبله.

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فٰاسِقِينَ فالفاسق الذی يرفض الانقياد لاوامر السلطه الشرعيه لا تقبل منه نفقاته لان هذه النفقات ليست للّه بل لتعزيز مكانته و شراء ذمه السلطه لئلا تضرب مصالحه، و مثل هؤلاء فی بلادنا مثل بعض الرأسماليين و الاقطاعيين الكبار الذين يحاولون شراء ذمه الجهات الدينيه و الثوريه بدفع بعض المال تحت واجهه التبرعات،و ما هی بتبرعات و لكنها رشوه(!)و علی تلک الجهات ان ترفض تلک التبرعات أو تقبلها دون أن تتقبلها بل تبقی فی عدائها المستمر للاستغلال و الابتزاز،حتی بعض الدول

الغنیه تقوم ظاهرا بدفع مبالغ لهذه الثوره أو تلک باسم خدمه الانسانیه،و لکنها تستغل جماهیرها و ثروات بلدها لمصلحه شیاطین الدنیا.ان علی الثورات أن تتفهم دوافع النفقات التی یعطیها البعض و تتحذر من شرک الرشوه و الفساد.

[۵۴]و یفصل القرآن دوافع المنافقین من الإنفاق و السبب الذی یرفض اللّه تقبل إنفاقهم من أجله.

وَ مٰا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰاتُهُمْ إِلاّٰ أَنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ بِرَسُولِهِ فلم یطبقوا واجبات التسلیم للسلطه الشرعیه.

وَ لاٰ یَأْتُونَ الصَّلاٰهَ إِلاّٰ وَ هُمْ کُسٰالیٰ فلم یتجذر الایمان فی نفوسهم و انما یصلّون للعاده أو للرّیاء.

وَ لاٰ یُنْفِقُونَ إِلاّٰ وَ هُمْ کٰارِهُونَ إنفاقهم انما هو بسبب خوفهم من السلطه أو محاولتهم شراءها فحتی لو کان الإنفاق طوعا فان دافعه لیس الایمان بل الخوف،فهو مثل من یخاف من الاقامه فی بلد فیبیع بیته لیهرب بنفسه فالبیع ظاهره طوعیه.إذ انه یقدم علیها بلا إجبار و یتوسل بالناس أن یشتروا منه بیته و یفرح لو وجد من یشتریه منه بأی ثمن،و لکن مجمل العملیه یکون بالإکراه لان الدافع الأساس للبیع هو الخوف.

و ربما کان فی الآیه الاولی دلاله علی ان الدوله الاسلامیه تجبر المنافقین علی دفع الضرائب و خلافها،و لکن اللّه لا یثیبهم علیها.

لماذا أعداء الرساله منعّمین؟

[۵۵]قد یستهوی ظاهر المنافقین طائفه من المؤمنین و الرسالیین فیفکرون فی

کسبهم لاستقطاب امکاناتهم المادیه لمصلحه الرساله و بذلک یقدمون تنازلات لهذه الطائفه الفاسده،و القرآن یحذر من ذلک بشده و یبین ان امکانات هذه الطائفه لا تنفع الرساله لأنها متصله بسلوک فاسد و ضمائر فاسده و هی بالتالی نتیجه وضع فاسد،و إفراز لوضع فاسد فهی تضر و لا تنفع.

فَلاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ ان الثروه التی جمعت من الابتزاز و السرقه و الاستغلال سحت و فساد و هی لا تصلح ان تکون فی خدمه الرساله کذلک الولد الناشئ فی بیت الدلال و المیوعه و بالتربیه الفاسده لا ینفع کسبه شیئا.

و لکن لماذا أعطاهم اللّه المال و الولد؟ إِنَّمٰا یُرِیدُ اللّٰهُ لِیُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا فالمال السحت و الولد الفاسد لیس نعمه بل نقمه یعذب بها صاحبها.

وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ کٰافِرُونَ فالغنی و الشرف الاجتماعی یعطیان الفرد غرور العظمه،فیکفر باللّه و لا ینتبه لواقعه الضعیف البائس إلا بعد الموت.

[۵۶]و المنافقون لیسوا من المجتمع المسلم،لأنهم لا یشاطرون الامه مصاعبها و مصائبها.

وَ یَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ إِنَّهُمْ لَمِنْکُمْ وَ مٰا هُمْ مِنْکُمْ وَ لٰکِنَّهُمْ قَوْمٌ یَفْرَقُونَ فمن شده خوفهم تراهم یتظاهرون بانّهم منکم،و لکنهم قوم یفرقون أی یخافون

لا أكثر و لا أقل.

[۵۷] لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ و الدليل على ان تظاهرهم بالدين إنّما هو من خوفهم:انهم لو وجدوا أى وجه للفرار منكم لأسرعوا اليه،كما لو وجدوا قوما يلجأون إليهم.أو وجدوا كهوفا فى الجبال و مغارات.أو حتى إنفاقا و أسرابا فى الأرض لرأيتهم يتجهون إليها.و هم يسرعون من دون أن يمنعهم وفاء بالعهد.أو بقيه ذمه أو ضمير.

ص:۲۰۰

[سوره التوبه (۹): الآیات ۵۸ الی ۶۰]

اشاره

وَ مِنْهُمْ مَنْ یَلْمِزُکَ فِی اَلصَّدَقٰاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهٰا رَضُوا وَ إِنْ لَمْ یُعْطَوْا مِنْهٰا إِذٰا هُمْ یَسْخَطُونَ (۵۸) وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ قٰالُوا حَسْبُنَا اَللّٰهُ سَیُؤْتِینَا اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنّٰا إِلَی اَللّٰهِ رٰاغِبُونَ (۵۹) إِنَّمَا اَلصَّدَقٰاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَ اَلْمَسٰاکِینِ وَ اَلْعٰامِلِینَ عَلَیْهٰا وَ اَلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِی اَلرِّقٰابِ وَ اَلْغٰارِمِینَ وَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ فَرِیضَةً مِنَ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۶۰)

ص:۲۰۱

كيف تصرف الصدقات؟

هدى من الآيات:

الانتماء الى القياده الرساليه عند المنافقين انما هو انتماء مصلحى.فان أعطوا من الصدقات و بيت المال شيئا رضوا و إلاّ فانّهم سوف يسخطون،و هم يشيرون الى ذلک من خلال كلماتهم و تصرفاتهم! بينما الانتماء السليم هو الانتماء الايمانى الذى يسلم الفرد نفسه للّه و للرسول و للقياده الرساليه و يطمئن نفسيا بأوامر القياده انتظارا لفضل اللّه الكبير المتمثل فى الرخاء و الرفاه لكل أبناء المجتمع،و ذلک لا يكون إلاّ بعد الرغبه الى اللّه.

أما الصدقات و أموال بيت المال فهى ليست لمن أراد.انما هى للضعفاء من أبناء المجتمع-الفقراء و المساكين و الموظفين العاملين على الصدقات.و الجنود الذين يؤلف قلوبهم من سائر الأديان ليحاربوا الى جانب الدوله الاسلاميه و العبيد المديونين الغارمين.و فى سبيل المصالح العامه.و منها الذين ينقطع بهم الطريق و تنتهى نفقاتهم و زادهم..-هذه هى مصارف الصدقات و اللّه عليم بالحاجات

الحقيقيه حكيم يأمر بما فيه المصلحه.

بينات من الآيات:

الانتماء المصلحی

[۵۸]الفرق بين تركيبه المجتمع المسلم الرسالی و بين المجتمعات الاخرى.أن الحبل الرابط بين أبناء المجتمع الرسالی هو المبدأ فالإيمان بالإسلام هو الذی يجعل مجموعه من البشر المختلفين(ثقافيا-طبقيا-عنصريا-و لونا-و لغه-و قوميا)يذوبون فی بوتقه الامه الواحده ذات القياده القويمه القويه.

و كل فرد يسلم عمليا و نفسيا لهذه القياده و يجعل انتماءه إليها مشروطا بمدى تجسيد القياده للقيم الرساليه و تنفيذها للواجبات الدينيه.

لذلک ترى القياده هنا متحرره من الضغط و الأغلال فلا تخشى انهيار صرح قيادتها لو خالفتها طبقه أو سحقت امتيازا أو ألغت عاده عشائريه شاذه.

الانتماء الى القياده ليس على أساس المصالح الماديه حتى إذا فقدت القياده الثروه ضعفت أو انهارت،و لا هی قائمه على أساس عشائری أو قومی حتى تكون قائمه على ظلم سائر العشائر و القوميات،و إعطاء المزيد من الامتيازات لهذا أو ذاک، كلما شعرت بالضعف.

أما المنافقون فإنهم يريدون القياده بقره حلوب يحبونها ما دامت تعطيهم لبنا سائغا،و إلّا فهم ينقلبون عليها.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُکَ فِی الصَّدَقٰاتِ أی يتصرف بطريقه توحی باستعطائک من الصدقات.و الصدقات-حسبما

يبدو لى-كل الأموال التى ينفقها المؤمنون بوازع يمانى.

فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ على القياده و يعارضونها.

[۵۹]بيـد أن تشـجيع العمـل الصالـح فى المجتمع.انمـا يتم بتكافؤ الفرص الـذى يضـمنه القانون الاسـلامى و تطبقه القياده العادله النابعه من ايمان الجماهير بالإسلام، و تسليمهم النفسى للقياده.ان هذا القانون هو الذى يدفع الجميع الى العمل البناء و يوفر الأمن و التقدم للجميع.

و هو بالتالى أنفع من أصحاب الامتيازات الباطله الذين يحاولون تحريف المجتمع باتجاهها.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قالُوا حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فحين تلغى الامتيازات يتقدم الجميع بسبب العمل البناء الذى ينعكس على كلّ حقول الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه.

إِنّا إِلَى اللّهِ راغِبُونَ فحتى لو لم أحصل شخصيا على مكسب فى الدنيا،فان الجزاء فى الآخره سوف يتضاعف.

أين تصرف الصدقات؟

[۶۰]أما مصارف الصدقات فتكون فى الطائفه الضعيفه و ليس لأصحاب

ص:۲۰۴

الامتيازات.

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ الفقراء هم الطبقات المحرومه التى لا يفى دخلها بمصارفها حسب المستوى الاجتماعى فى ذلك العرف.أما المساكين فهم المعدمون الذين أسكنهم الفقر و العجز عن الاكتساب.

وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا أى القائمون على الصدقات من الموظفين.

وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ من الجنود الذين لم يدفعهم الايمان الى الانخراط فى هذا السلك،بل العوز و هم غالبا يكونون من غير المؤمنين.

وَ فِى الرِّقَابِ و هم العبيد الذين يعتقون من بيت المال ليعاد لهم حريتهم السلبيه بسبب الأسر.

وَ الْغَارِمِينَ الذين لا يقدرون على الوفاء بديونهم.

وَ فِى سَبِيلِ اللّهِ أى فى كلّ مصلحه أمر بها اللّه من بناء الجسور،و تعبيد الطرق،و إقامه المشاريع

الانمائیه،و الخدمات الصحیه..و ما أشبه.

وَ ابْنِ السَّبِیلِ و هو المسافر الذی انقطع عن أهله و لا یملک ما یوصله إلیهم،فیدفع الیه زادا و نفقه کافیه.

فَرِیضَهً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ و تجدید مصارف الأموال العامه خصوصا بعد ذکر کلمه الحصر(إنّما)ینقطع أمل المنافقین من الطفیلیین و أصحاب الامتیازات،فلا یطمعون فی ابتزاز القیاده الاسلامیه،و اننا نجد فی سلوک الامام علی(علیه السلام)مع أخیه عقیل،و مع أصحاب الامتیازات الباطله ما یجعلنا نفهم بعمق طبیعه القیاده الرسالیه.

لقد جاء عقیل الی علی(علیه السلام)و هو أمیر المؤمنین یطالبه بزیاده فی العطاء -و قد أملق إملاقا-فحمی علی(علیه السلام)حدیده و قربها الی یده و کان عقیل ضریرا،و کانت له عائله کبیره، فمدّ یده لیأخذ المال بزعمه فاذا به یحس بحراره الحدیده فقال له:

«ثکلتک الثواکل یا عقیل أ تئن من حدیده أحماها إنسانها للعبه،و تجرنی الی نار سجرها جبارها لغضبه.أ تئن من الأذی و لا أئن من لظی»؟!

[سوره التوبه (٩): الآيات ٦١ الی ٦٣]

اشاره

وَ مِنْهُمُ اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ اَلنَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اَللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كٰانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحٰادِدِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِداً فِيهٰا ذٰلِكَ اَلْخِزْيُ اَلْعَظِيمُ (٦٣)

ص:٢٠٧

المنافقون يحاددون الرسول

اشاره

و يسترضون المؤمنين

هدى من الآيات:

بسبب تمرد المنافقين على القياده الرساليه المتجسده فى شخص النبى صلى الله عليه و آله كان الناس ينظرون إليهم شزرا،فكان المنافقون يحاولون تبرير مواقفهم.

أولا:بالادعاء الكاذب ان الرسول لا بأس به و لكن يحيط به رجال يغذونه بالاخبار و المواقف المضاده بنا،و لهذا فنحن نخالفه لا لأنه-لا سمح اللّه- يكذب أو يتخذ مواقف باطله،و فضحهم القرآن بان الرسول يستمع فقط الاخبار التى هى فى مصلحه المؤمنين و يعمل لهذه المصلحه،و بالتالى فان موقفه من الناس لا يحدده الخبر،بل قيمته المتجسده فى الايمان،فلو كنتم مؤمنين لاستطعتم أن تفوزوا برحمه الرسول.

ثانيا:كانوا يحلفون باللّه لتبرير نفاقهم،و يدّعون بأن مخالفتهم لا تعنى مخالفه المجتمع المسلم،و يردهم القرآن بأن اللّه أحق أن يرضوه بصدق النيه و إخلاص العمل،و كذلك الرسول بالتسليم و الطاعه.

ص:۲۰۸

و يبين القرآن ان من يتجاوز حدود اللّه و الرسول،و يخالف أوامر اللّه فان جزاءه المعدّ له نار جهنم خالدا فيها.

بينات من الآيات:

القنوات الخبريه فی الإسلام:

[۶۱]کثیرا ما نجد المستکبرین الذین یخالفون القیادات الرسالیه بسبب أو بآخر لا یجرءون علی النیل من شخصیه القائد،و لو فعلوا لم یستمع إلیهم أحد، لذلک تراهم یتعرضون لمن حول القائد،و یشککون فی أجهزته و قنواته الخبریه، و یدعون بان القائد بسیط و ساذج أو أنه إنسان طیب یثق بکل الناس،و أن من حوله یستغلون طیبه فی إملاء المواقف الباطله علیه،و هکذا قال المنافقون عن الرسول،و لکن نعلم سلفا ان هدف هؤلاء هو شخص القائد و انهم یحاربونه نفسیا، و یتعمدون إیذاءه عن طریق مثل هذه الاشاعات حوله.

وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ أی انه یسمع کل من یتحدث الیه،و یقبل کلام الناس دون تمحیص أو نقد.

و لکن هل هذا صحیح؟کلا..و لعده أسباب منها:

ان أی قائد هو مسئول عمن حوله و عن أجهزته،و القائد الرسالی یختار اجهزته من بین أنقی الناس،و حتی لو لم یقدر فهو لا یسلم نفسه لمن حوله ان کانوا انتهازیین،و هکذا کان حول الرسول رجال صادقون اختبارهم بدقه،أما غیرهم فلم یکن یتأثر بکلامهم الرسول صلی الله علیه و آله .

و منها:ان هدف الرسالی هو تحقیق مصلحه الامه،و لذلک فهو لا یسمع الاخبار المسیئه بشخصیه هذا أو ذاک،و لا یتأثر بالصراعات القائمه داخل المجتمع المسلم

و التی یحاول کل طرف منها تجییر شخصیه القائد لحسابه،و لذلک فهو هدف مسبق.

و منها:ان هدف الرسول و کل قائد رسالی هو اشاعه الرحمه و البرکه لکل أبناء المجتمع القریب و البعید،و أشارت الآیه الکریمه الی هذه الحقائق قائله:

قُلْ أُذُنُ خَیْرٍ لَکُمْ فهو لا یسمع الشائعات المضاده لمصلحه الناس.

یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ یُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِینَ فالإیمان باللّه یجعل القائد بعیدا عن التأثر بالأقوال الکاذبه.

وَ رَحْمَهٌ لِلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ فهو رحمه للجمیع.

وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ

کیف یثبت المنافقین انتماءهم؟

[۶۲]ثم ان المنافقین یحاولون شق عصا المؤمنین و بناء جدار بین القیاده الرسالیه و المجتمع،لذلک..

یَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَکُمْ لِیُرْضُوکُمْ وَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ یُرْضُوهُ إِنْ کانُوا مُؤْمِنِینَ فان کانوا جزء من أبناء المجتمع المسلم فان علیهم ان یرضوا اللّه و القیاده الرسالیه،و من یقاوم القیاده الرسالیه فانه لا یمکنه الادعاء بأنه لیس بعدوّ للمجتمع المؤمن بالقیم،و القائم علی أساسها.

ص:۲۱۰

[۶۳]و الذین یحاربون اللّه و رسوله و القیاده الرسالیه،و یحاولون تجاوز حدود اللّه فان الجزاء المعدّ لهم جهنم.

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحٰادِدِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِداً فِیهٰا ذٰلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ أن تنتهی حیاه البشر التی هی الفرصه الوحیده بنار خالدا فیها،أو لیس ذلک خزی و ذلّ عظیم.

ص:۲۱۱

[سوره التوبه (۹): الآیات ۶۴ الی ۶۸]

اشاره

یَحْذَرُ اَلْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ قُلِ اِسْتَهْزِؤُا إِنَّ اَللّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (۶۴) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَیَقُولُنَّ إِنَّما کُنّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللّهِ وَ آیاتِهِ وَ رَسُولِهِ کُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ (۶۵) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ کَفَرْتُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَهٍ مِنْکُمْ نُعَذِّبْ طائِفَهً بِأَنَّهُمْ کانُوا مُجْرِمِینَ (۶۶) اَلْمُنافِقُونَ وَ اَلْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالْمُنْکَرِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمَعْرُوفِ وَ یَقْبِضُونَ أَیْدِیَهُمْ نَسُوا اَللّهَ فَنَسِیَهُمْ إِنَّ اَلْمُنافِقِینَ هُمُ اَلْفاسِقُونَ (۶۷) وَعَدَ اَللّهُ اَلْمُنافِقِینَ وَ اَلْمُنافِقاتِ وَ اَلْکُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها هِیَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اَللّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِیمٌ (۶۸)

يستهزئ المنافقون،

اشاره

و يعدهم اللّه نار جهنم

هدى من الآيات:

يذكرنا السياق القرآنى ببعض مواصفات المنافقين الذين يشكلون الطابور الخامس للعدو و أبرزها حذرهم من الفضيحه،و فى ذات الوقت استهزاءهم بالرساله،و اتخاذ مجمل الحياه لعبا و لهوا،و لكن هل يمكن اللعب بالحقيقه؟ ان أولئك الذين حوّلوا الاستهزاء الى مرحله العمل الاجرامى،انهم سوف ينتظرهم العذاب.اما غيرهم فقد يغفر لهم.بيد ان هذا لا يعنى تقسيم هذه الطائفه إذ النفاق صفه مشتركه فيهم،و لذلك بعضهم من بعض و بعضهم يؤثر سلبيا فى البعض عن طريق الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف و اثاره السلبيات.ان هؤلاء نسوا اللّه و غفلوا عن انه فعّال لما يريد و هو الذى يدبر حياه الناس.و انه سبحانه نسوا اللّه و غفلوا عن انه فعّال لما يريد و هو الذى يدبر حياه الناس.و انه سبحانه نسيهم لفسقهم و سوء أعمالهم،و وعدهم هم و الكفار نار جهنم خالدين فيها و هى تكفيهم عذابا و جزاء،و أبعدهم عن نعمه و لهم عذاب مقيم فى الدنيا.

ص:۲۱۳

بینات من الآیات:

خوف المنافقین من الفضیحه:

[۶۴]بالرغم من یقین المنافق بأن الوحی حق،و خشیته من افتضاح أمره عن طریق نزول سوره قرآنیه تکشف خططهم و ربما أسمائهم بالرغم من ذلک فهم یستهزءون و لا یتخذون الرساله أمرا جدیا لخور عزیمتهم و ضعف إرادتهم و عصف الشهوات بنفوسهم المنهاره،و لکن اللّه سوف یخرج ما فی قلوبهم و ما یحذرون من نشره.

یَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ من الاستخفاف بالرساله و اتخاذها هزوا.

قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ [۶۵]و لکن لماذا یستهزئ هؤلاء بالرساله أو لا یؤمنون بأنها حق،بلی و لکنهم یتخذون الحیاه لعبا.

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَیَقُولُنَّ إِنَّما کُنّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللّهِ وَ آیاتِهِ وَ رَسُولِهِ کُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ فلیست هذه الحقائق قابله للاستهزاء لأنها حقائق حاسمه ذات خطوه کبیره بالنسبه لمستقبل البشر.

متی یتحول المنافق الی مجرم؟

[۶۶]و حین یأتی عذاب اللّه و تنتقم هذه الحقائق من المنافقین یشرعون بالاعتذار.

ص:۲۱۴

لاٰ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكَمْ و المعذره انما تنفع الغافل أو الجاهل.أما الذی استسلم لضغط الشهوات و كفر باللّه بعد إيمانه فان ذلک لا ينفعه.

إِنْ نَعْفُ عَنْ طٰائِفَهٍ مِنْكُمْ لصدق توبتهم و خفه جرمهم،و لكن الطائفه الثانيه المجرمه حقا لا بدّ ان تنال جزاءها العادل.

نُعَذِّبْ طٰائِفَهً بِأَنَّهُمْ كٰانُوا مُجْرِمِينَ [۶۷]و لكن لا يعنى هذا ان النفاق ذاته ليس جرما،كلا..إذ مجرد ظهور النفاق عند أحد يدخله فی قائمه المنافقين،و يجعله شريكا لتصرفاتهم لطبيعه التفاعل بين أعضاء الكتله الواحده فبعضهم يشجع البعض على الاستمرار فی الطريق المنحرف.

اَلْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ فلا يقومون بعمل ايجابى فی سبيل تقدم الامه و صلاحها،و هذا وحده يكفى ظلما لحقوق الامه و مخالفه لواجبات الإسلام.

نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ كيف ينسى البشر ربّه؟ انه يلاحظ فقط ظواهر الأمور و لا يتعمق فيما وراء الظواهر من سنن و أنظمه

و تقـدیرات،و أن اللّه سـبحانه هـو الـذی یجری أمور الحیـاه حسب علمه و حکمته، و هکـذا اغفلوا دور التـدبیر الاـلهی و من ثم الرسـاله الاـلهیه فی حیاتهم فتجاوزهم التـدبیر الالهی فلم یحفل بهم و بتطلعاتهم و کرامتهم و صـدقهم.و السـبب ان نسـیان اللّه و اغفال تدبیره للحیاه یشجع المنافق علی ارتکاب المعاصی و الفسق،و عاقبه الفسق معروفه.

عاقبه النفاق النار:

[۶۸]ان عـاقبه الفسق هی عـاقبه النفـاق عمومـا و عـاقبه الکفر بصوره أعم..فمـا هی؟ وَعَـدَ اللّهُ الْمُنافِقِینَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْکُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها هِیَ حَسْبُهُمْ و لکن بالرغم من ان نار جهنم تکفیهم جزاء و ألما فان لهم أیضا جزاء آخر هو:

ابعادهم عن رحمه اللّه فی الدنیا،و أیضا العذاب الدائم الذی یقیمون فیه أبدا و هو العذاب النفسـی و تناقضهم مع تیار المجتمع و مع أنظمه الحیاه.

وَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِیمٌ

ص:۲۱۶

[سوره التوبه (۹): الآيات ۶۹ الی ۷۲]

اشاره

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهِ وَ أُولئِكَ هُمُ اَلْخاسِرُونَ (۶۹) أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ وَ اَلْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اَللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۷۰) وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ اَلْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكاهَ وَ يُطِيعُونَ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اَللّهُ إِنَّ اَللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۷۱) وَعَدَ اَللّهُ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَهً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اَللّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (۷۲)

ص:۲۱۷

هكذا كانت عاقبه المستهزئين

هدى من الآيات:

النفاق تيّار اجتماعى و ليس عملا فرديا أو سلوكا منفصلا عن سلوك الآخرين و هو فى ذات الوقت تيار تاريخى علينا أن ندرك علاقته من خلال عاقبه مثيلاته فى الماضى،فقد كان من قبل هؤلاء المنافقين من هو أشدّ منهم قوه و أكثر أموالا و أولادا عدّه و عددا و لكنهم استهلكوا ما كانت لديهم من قوه و متع،و هؤلاء المنافقون يسيرون على ذات الخط و كانت عاقبه أولئك حبط أعمالهم فى الدنيا و الآخره،و خساره فرصهم فى الحياه الدنيا.

و مثل هؤلاء يتجسد فى قوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و أصحاب مدين و كذلك المؤتفكات الذين ظلموا أنفسهم و أهلكهم اللّه بعد أن أنذرهم بالرسل و البيّنات.

و كما ان المنافقين تيار اجتماعى تاريخى فكذلك المؤمنون بعضهم أولياء بعض، و هم يتفاعلون مع بعضهم فى القيم الساميه حيث يأمرون بالمعروف و ينهون عن

المنكر و يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه كفرائض اجتماعيه اقتصاديه،و يخضعون للقياده الرساليه حيث يطيعون اللّه و رسوله،و أولئك سيرحمهم اللّه،و ينزل عليهم الرخاء ان اللّه عزيز حكيم،هذا في الدنيا،أما في الآخره فقد وعدهم اللّه جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها،و أكبر من ذلك هو الفوز العظيم.

بينات من الآيات:

دروس من التاريخ:

[۶۹]لكى يرتفع البشر عن حدود المؤثرات العاجله فى سلوكه فعليه أن يتمتع برؤيه تاريخيه،و ينظر الى حياته من خلال بصائر الماضى و سننه،و المنافق إذا نظر الى نظرائه فى التاريخ و كيف كانت عاقبتهم إذا لتراجع عن نفاقه،و لذلك يذكر ربنا المنافقين بمن سبق من أسلافهم و يقول:

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كٰانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً و هذا اكتملت فيهم أسباب القوه و اغتروا بها فاستخدموا قوتهم فى تحقيق مطامحهم الخاصه من دون اهتمام بواجباتهم الدينيه.تماما كما يفعل المنافقون اليوم.

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاٰقِكُمْ أى انهم استفادوا من نصيبهم فى الحصول على المتعه كما تفعلون أنتم،فعليكم ان تقيسوا أنفسكم بهم و تنظرون كيف كان مصيرهم.

وَ خُضْتُمْ كَالَّذِى خٰاضُوا أى كما انهم خاضوا فى غمرات الشهوات دون أن يحددوا شهواتهم بالعقول،أو يستلهموا فى أعمالهم من الوحى،فأنتم كذلك خضتم اتباعا لهم و تقليدا.فما

ص:۲۲۰

كانت عاقبه أولئك؟ أَولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ أی خسرت أعمالهم الایجابیه التی عملوها من أجل الدنیا أو من أجل الآخره و ذلک بسبب أفعالهم السیئه.

وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ [۷۰]المنافق و الکافر یشترکان فی مصیر واحد لأنهما یشترکان فی اتباع الشهوات،و مصیر الکافرین فی التاریخ عبره کافیه للمنافقین أیضا.

أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ أی قوم شعیب الذین أهلکهم اللّه بعذاب یوم الظله.

وَ الْمُؤْتَفِكاتِ أی المنقلبات و هی مدن قوم لوط.

أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ظلموا أنفسهم بترک البیّنات،و الکفر بالرسل.

صفات المؤمنین:

[۷۱]و فی مقابل التیار المنافق نجد التیّار المؤمن الذی یتماسک أبناؤه بآصره

ص:۲۲۱

الولاء الواحد،و الثقافه المشترکه حیث یأمرون بالمعروف و ینهون عن المنکر.

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ کما ان الشعائر الواحده تزید ترابطهم کالصلاه التی یقیمونها فهی کما عمود مستطیل یرفع خیمتهم فهی لیست عباده فقط،بل و أیضا ظاهره اجتماعیه سیاسیه خصوصا حینما تقام جماعه أو فی الأعیاد و الجمعات.

وَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ و الزکاه بدورها فریضه الهیه تقیم المجتمع،و تحافظ علی تماسکه،و انتشار روح العداله و المساواه،و المجتمع المسلم ذو قیاده مشترکه و متجذره فی نفوسهم.

وَ یُطِیعُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ سَیَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ أی ان رحمه اللّه تتنزل علی المجتمع و اللّه قوی شاهد فی أحداث المجتمع و یعامل الناس بحکمته فیعطی الناس حسب أفعالهم و جهودهم و نیاتهم.

[۷۲]و اللّه سبحانه وعد أبناء هذا التیار المؤمن حیاه سعیده فی الآخره کما منعهم ذلک فی الدنیا.

وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ مَساکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ لیس لها خریف أو شتاء أو زوال.

و لکن أکبر من ذلک رضا اللّه.

وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ و هذا الرضوان دليل توافق أعمالهم فى الدنيا مع تعاليم الشريعه.

ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

[سوره التوبه (٩): الآیات ٧٣ الی ٧٨]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلنَّبِیُّ جاهِدِ اَلْکُفّارَ وَ اَلْمُنافِقِینَ وَ اُغْلُظْ عَلَیْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (٧٣) یَحْلِفُونَ بِاللّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا کَلِمَهَ اَلْکُفْرِ وَ کَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ یَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلاّ أَنْ أَغْناهُمُ اَللّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ یَتُوبُوا یَکُ خَیْراً لَهُمْ وَ إِنْ یَتَوَلَّوْا یُعَذِّبْهُمُ اَللّهُ عَذاباً أَلِیماً فِی اَلدُّنْیا وَ اَلْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ فِی اَلْأَرْضِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ (٧۴) وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اَللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَکُونَنَّ مِنَ اَلصّالِحِینَ (٧۵) فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٧۶) فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اَللّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ (٧٧) أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اَللّهَ عَلاّمُ اَلْغُیُوبِ (٧٨)

هكذا امتحنهم اللّه بالثروه

هدى من الآيات:

لا يزال السياق القرآنی فی سوره التوبه المبارکه یحدثنا عن صفات المنافقین، فبعد ان یأمر اللّه رسوله الأکرم صلی الله علیه و آله بأن یبدأ جهادا دائما و صعبا مع الکفار و المنافقین و أن یغلظ علیهم لأن نهایتهم لیست الا النار التی ساءت مصیرا بعدئذ یبین لنا القرآن الحکیم صفات المنافقین و من أبرزها حاله الازدواجیه عندهم فهم یحلفون بالله بأنهم لم یقولوا کلمه الکفر بینما فی الحقیقه إنهم قالوا هذه الکلمه منذ زمان.حیث أنهم کفروا واقعا بعد أن أسلموا ظاهرا کفروا حینما رأوا أن مسئولیات الإسلام کبیره و انهم دونها.

و أمامهم الآن أحد الخیارین الرئیسیین فاما العوده الی احضان الإسلام و اما انتظار عذاب الیم فی الدنیا و الآخره من دون أن یکون لهم نصیرا أو ظهیر فی الأرض أو فی السماء.

و من المنافقین أولئک الذین یبحثون عن فرصه فی الحیاه و یدّعون بأنهم لو

جاءتهم هذه الفرصه تراهم يعطون كل ما يملكون من أجل الله و أنهم يستغلون الفرصه هذه استغلالا حسنا.و لكن حينما يعطيهم اللّه و يوفر لهم هذه الفرصه تراهم بعكس ذلك تماما انما يحاربون اللّه و رسوله و يقاومون الرساله و هكذا لا يسلب منهم اللّه تلك الفرصه فحسب و انما أيضا يزرع فى قلوبهم حاله من النفاق تستمر معهم الى النهايه لأنهم لم يستغلوا فرصتهم الحسنه بل قاوموا و غيروا دين اللّه.

بينات من الآيات:

جاهد الكفار و المنافقين:

[۷۳]يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ أولا:يربط القرآن بين فئتى الكفار و المنافقين و يأمر الرسول بجهادهم جهادا مستمرا و أن يغلظ عليهم و أن لا تأخذه بهم فى اللّه رأفه.

لان مصير المنافقين النار و من يكون مصيره الى نار جهنم لا يمكن ان يرحمه العباد أو يرحمه من يجسد اراده اللّه فى الأرض و هو الرسول و القياده الرساليه.

ثم يبين أبرز صفات المنافقين و هى الازدواجيه التى يقول عنها ربنا فى هذه الآيه:

يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ثانيا:أنهم حاولوا تغيير نظام الحكم عن طريق قتل الرّسول أو إخراجه أو إفساد الوضع السياسى.

ثالثا:لم يشكروا نعمه الأمن و الرخاء التى وفرها الإسلام لهم،و هؤلاء المنافقون ان تابوا الى اللّه قبلت توبتهم و الا فان عذابا أليما ينتظرهم فى الدنيا

و الآخره،و لا أحد يواليهم أو ينصرهم.

رابعا:النفاق صفه كامنه فی النفس تظهرها النعمه،فمن الناس من يتمنی الغنی و يتعهد مع اللّه ان لو أغناه اللّه لأعطی حق النعمه فتصدق و عمل عملا صالحا،و لكن حين أتاه اللّه من فضله أمسی بخيلا بالنعمه،و عمل عملا سيئا مما كرّس فی ذاته حاله النفاق الی يوم القيامه و ذلك بسبب خلفهم لوعدهم و نكثهم لعهدهم مع اللّه،و لكن ذلك الوعد كان كاذبا منذ الأساس،و كان اللّه عالما بقلوبهم،كما ان تبريراتهم الجديده كاذبه هی الاخری مثل تسويف الإنفاق ليوم الحصاد أو ربح التجاره.

من صفات المنافقين:

[۷۴]ان من صفات المنافقين،الحلف الكاذب باللّه ذلك لأنهم يعرفون انهم متهمون.

يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مٰا قٰالُوا وَ لَقَدْ قٰالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ و قد يكون هؤلاء قد قالوا كلمه ضد السلطه الاسلاميه و قياده الرسول و اعتبرها القرآن كلمه الكفر.بينما اعتبروها كلمه عاديّه،و هكذا المنافقون فی كل يوم يزعمون ان الكفر ينحصر فقط فی سبّ اللّه تعالی،و انكار وجوده سبحانه بينما ليس الأمر كذلك،بل مناهضه سلطه الإسلام أو مخالفه ثوره المسلمين الصادقين ضد سلطات الطاغوت هی الاخری كفر.لذلك أكد القرآن علی ان كل ذلك يعتبر كفرا بعد إسلام.

وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاٰمِهِمْ و الإسلام هنا-كما يبدو-هو التسليم للّه و للرسول و الخضوع للقياده الرساليه

ص:۲۲۷

لـذلک جاء فی بعض التفاسـیر«نزلت-هـذه الآیه-فی عبـد اللّه بن أبیّ بن سـلول حین قال: (لَئِنْ رَجَعْنا إِلَی الْمَدِینَهِ لَیُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)» .

فبالرغم من ان هـذه لیست سبّ للّه أو الرسول،و لکنها کلمه کفر لأنها تمرد علی الإسـلام للّه و للرسول،و فی الکلمه التالیه اشاره الی هذه الحقیقه:

وَ هَمُّوا بِما لَمْ یَنالُوا فلقـد همّوا بـإخراج الرسول،و إفسـاد الناس لیقاوموا سـلطه الرساله عن طریق بثّ الإشاعات الباطله مثل قول أحـد المنافقین و اسـمه جلاس قال بعد خطاب الرسول و هو یثیر رفاقه ضد الرسول:و اللّه لئن کان محمد صادقا فیما یقول فنحن شرّ من الحمیر.

و لقـد حاول بعضـهم قتل الرسول فی قصه معروفه عرفت بلیله العقبه حیث أرادوا تنفیر ناقه الرسول عند وصولها قریبا من العقبه و هی منعطف خطیر فی الجبل، و بالطبع إذا نفرت الناقه فی ذلک المکان بالذات أوقعت الرسول فی الوادی.

کما حاول البعض إخراج الرسول مثل عبد اللّه بن أبیّ.

کما قام بعضهم بالفساد و التخریب.

ان کلّ هذه المحاولات کانت تهدف بالتالی شیئا واحدا هو تغییر نظام الحکم، و التسلط علی رقاب الناس و لکن لم یوفقّوا.

وَ ما نَقَمُوا إِلاّ أَنْ أَغْناهُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ لماذا نافق هؤلاء،و متی؟

ص:۲۲۸

السبب ان بعض الناس يكونون أشداء ضد من يحسبون انهم ضعفاء،و ضعفاء أمام الأقوياء.

و لهـذا حينمـا كـان المنـافقون فى أوضـاع شـاذه،يلفهم الفقر و التخلـف و العـذاب، و يتحكم فى رقـابهم حفنه من الشـيبه باسـم القبليه،أو حفنه من التجار اليهود.

حينـذاك لم يفكروا فى الثوره،و لم يحـاولوا إنقاذ أنفسـهم من براثن السـلطه الفاسـده، لأنهم حينـذاك كانوا مشـغولين عن كل ذلك بملاحقه لقمه الخبز و معالجه آثار الفقر و المرض.اما اليوم و قد أغناهم اللّه من فضـله و اراحهم من شـغلهم(بمطارده لقمه العيش)جاؤوا ينافسون السلطه الرساليه التى أنقذتهم.

فهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان،هل جزاء الرسول الذى حرّرهم من جاهليتهم إلاّ الشـكر له،و التسـليم لسـلطته المباركه أم جزاؤه النقمه عليه، و التخريب ضـده؟! فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ و سوف يعودون فى الـدنيا الى سـلطه الطغاه و ما تعنيه هـذه السـلطه من فقر و عـذاب،أما فى الآخره فان اللّه الذى وفّر لهم الهدايه سوف يأخذهم بأشد العذاب.

و الجـدير بالـذكر:ان الطـائفه مـن المنـافقين الـذين حسـبوا إن دوله الإسـلام ضـعيفه و فكروا فى مقاومتهـا سـوف يتوبـون حينما يكتشـفون قوه النظام و صـلابته،و حينما يكتشـفون انه لا أحد ينصـرهم أو يدخل فى حزبهم حينما يتعرضون للهجوم المضاد من قبل أنصار الرساله.

وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ

ص:٢٢٩

الغنى سلّم الكفر:

[۷۵]تتجلى هـذه الحاله النفاقيه مره اخرى عنـد ما ترى بعض الفقراء يتمنون الغنى و يزعمون انهم سوف يوفون بعهدهم مع اللّه،و يتصـدقون بفضل أموالهم و يعملون بها صالحا،بيـد انهم بعـد الغنى يعملون العكس تماما،لماذا؟ لان تظاهرهم بالايمان و الهـدى انما كان حين لم يتعرضوا للتجربه اما الآن فان حب المال و شح النفس و قضـيه العوده الى حاله الفقر تضغط عليهم باتجاه البخل و تغريهم بالفساد.

وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ ان فضـل اللّه ينبغى ان يـدفع الفرد باتجاه الصـدقه و الصـلاح لان الـذى اعطى يقدر على ان يسـلب العطاء،و يعيد حاله الفقر.بيد ان ذوى النفوس الضـعيفه و الإرادات المهترئه تراهم يغترون بنعمه اللّه و فضله.

[۷۶]و قـد يكون المنافق واحـدا منا دون أن نشـعر لأنه قد يسـتطيع الواحد ان يقاوم ضـغط الفقر،و لكنه ينهار أمام إغراء المال،أو حتى يقاوم هذا الإغراء و لكنه ينهار أمام إغراء السـلطه و الجاه،و هكذا على الإنسان أن يتزود بالايمان و يتسلح بالإراده الصلبه و التوكل على اللّه حتى لا يصبح مثل الذين يقول عنهم القرآن:

فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ أى انهم بالاضافه الى عدم وفائهم بالعهد السابق الذى الزموا أنفسـهم به من الصدقه،بالاضافه الى ذلك تجدهم يقاومون شريعه اللّه و أوامر الرسول.

جاء فی التفاسیر قصه طریفه بطلها شخص باسم(ثعلبه بن حاطب)و کان من الأنصار فقال للنبی صلی الله علیه و آله :ادع اللّه أن یرزقنی مالا،فقال:«یا ثعلبه قلیل تؤدی شکره خیر من کثیر لا تطیقه-أما لک فی رسول اللّه أسوه حسنه-و الذی نفسی بیده لو أردت أن تسیر معی الجبال ذهبا و فضه لسارت»،ثم أتاه بعد ذلک فقال:

یا رسول اللّه ادع اللّه أن یرزقنی مالا،و الذی بعثک بالحق لان رزقنی اللّه مالا لأعطین کلّ ذی حق حقه،فقال صلی الله علیه و آله «اللهم ارزق ثعلبه مالا»،قال فاتخذ غنما،فنمت کما ینمو الدود،فضاقت علیه المدینه،فتنحّی عنها فنزل وادیا من أودیتها،ثم کثرت نموا حتی تباعدت عن المدینه فاشتغل لذلک عن الجمعه و الجماعه فبعث رسول اللّه الیه المصدق لیأخذ الصدقه فأبی و بخل،و قال ما هذه إلاّ أخت الجزیه،فقال رسول اللّه:«یا ویح ثعلبه یا ویح ثعلبه»و انزل اللّه الآیات.

و عن أمیر المؤمنین(علیه السلام)فی قول له:

«من ملک استأثر » و هکذا نجد کیف ان کل واحد منا قد یصبح منافقا فی ظروف معینه.

[۷۷]و لکن ما هی عاقبه هذه الفعله؟ یقول القرآن ان عاقبه ذلک تکریس حاله النفاق الی حین الموت،و الجزاء.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلیٰ یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا کٰانُوا یَکْذِبُونَ منذ البدء،و یزعمون انهم مؤمنون صادقون،و انهم سوف یقومون بعهد اللّه خیر قیام.

[۷۸]و لكن على الإنسان أن يخلص نيته،و يشهد اللّه على ما فى قلبه و لا يقول و لا يتعهد إلاّ بالحق الذى يعتقد به.

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللّهَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ

ص:۲۳۲

[سوره التوبه (۹): الآيات ۷۹ الى ۸۳]

اشاره

اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ اَلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ فِى اَلصَّدَقاتِ وَ اَلَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ إِلاّٰ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اَللّٰهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۷۹) اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاٰ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اَللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِى اَلْقَوْمَ اَلْفٰاسِقِينَ (۸۰) فَرِحَ اَلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاٰفَ رَسُولِ اَللّٰهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجٰاهِدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ قٰالُوا لاٰ تَنْفِرُوا فِى اَلْحَرِّ قُلْ نٰارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كٰانُوا يَفْقَهُونَ (۸۱) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ (۸۲) فَإِنْ رَجَعَكَ اَللّٰهُ إِلىٰ طٰائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَداً وَ لَنْ تُقٰاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ اَلْخٰالِفِينَ (۸۳)

ص:۲۳۳

و يسخرون من المؤمنين

هدى من الآيات:

لان المنافقين لا يؤمنون حقا باللّه و القيم،فإنهم لا يمكنهم تصور إيمان الناس و تضحياتهم السخيه بدافع الايمان،و لذلك تجدهم يفسرون صدقات المطّوّعين بأنها رياء ليسقطوهم من أعين الناس،كما يعيبون على الفقراء قله ذات يدهم.و اللّه يسخر من المنافقين و يعذبهم عذابا أليما.

و سواء استغفر الرسول لهم أم لم يستغفر فان كفرهم باللّه و الرسول الناشئ من فسقهم لا يدع مجالا لغفران اللّه و رضا المحرومين.

و يزعم المنافقون:ان تقاعسهم عن الجهاد خير لهم و لذلك فرحوا به و كرهوا الجهاد،و نهوا الآخرين عنه.و لكن ما هي عاقبه ذلك..أو ليس نار جهنم خالدين فيها،و لكنهم لا يفقهون حقائق الأمور!! و بسبب سوء اختيارهم سوف يلفهم العذاب النفسي و الاجتماعي مما يجعلهم

يضحكون قليلا،و لكنهم يبكون بعدئذ كثيرا بسبب أعمالهم التى اكتسبوها.

و بعـد عوده الرسول الى المـدينه و انتهاء محنته الرساليه يحاول بعض المنافقين، التقرب الى رسول اللّه،و يسـتأذنون منه ليخرجوا معه الى الجهاد و لكن على الرسول ألاّ يسـمح لهم ثانيه و لا يأخـذهم معه الى القتال لأنهم رضوا بالقعود فى أيام الشـده، فعليهم أن يبقوا مع الفئه الضاله و هم المنافقون مفضوحين أمام الناس و محرومين من العمل السياسى.

بينات من الآيات:

كلّ يرى الناس بعين طبعه:

[۷۹]كمـا الأـعمى لاـ يفقه واقع النور،فكيف يمشـى على هـداه البصـير،و كمـا الجاهـل لا يحيط بواقع العلم فكيف يضـىء درب السالكين،و كـذلك المنافق لا يصـدق بواقع الايمان الذى يعمر قلوب الصادقين فكيف يدفعهم على القيام بالأعمال الكبيره دون أن يريدوا جزاء أو شكورا.

ان المنافقين يفسرون أبدا أعمال الصالحين بمقاييسهم،و يزعمون ان وراء كل عمل صالح مصلحه ماديه عاجله لا يظهرها صاحبه كما هم لا يفعلون الخير إلا رياء و طلبا للأجر العاجل،لـذلك تجـدهم يعيبون على الـذين يعملون و ينفقون تطوعا للّه و تصـديقا بوعده دون أن يخالطهم رياء أو سمعه.

اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَ اتِ فيتهمون هـذه الطـائفه بالرياء.أمـا الطـائفه الفقيره من المؤمنين فـترى هؤلاـء المنافقين كيف يسخرون منهم لفقرهم،و قله عطائهم.

وَ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ

لأنهم فقراء لا يملكون إلّا قوه البـدن و عمل اليد فيرتزقون عليها-و إذا فقدوا العمل-فقدوا الرزق كما العمال و الفلاحين فيسـخر المنافقون الذين غالبا ما يكونون من الطبقه المترفه منهم.

سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ حين يرون نتائج أعمالهم فتلك سـخريه واقعيه،و هذه سـخريتهم لفظيه كلاميه لا أثر لها،و علينا ألاّـ ننهزم أمـام سـخريه المنـافقين،و لاـ يفقـد المؤمن إحسـاسه بشخصـيته امـام سـخريه المنافق حتى و لو كان الأخير أغنى منه و أقـدر،كما يجب ألاّ يسـتقل المؤمن عطاءه فى اللّه ان لم يكن يملك غيره لان اللّه لا ينظر الى قـدر العطاء بل الى قدر المعطى و سلامه نيته.من هنا

سئل الرسول صلى الله عليه و آله عن أفضل الصدقات فقال:«جهد المقل ». (۱)

هل يجوز أن نستغفر للمنافق؟

[۸۰]لاـن المنـافقين يلمزون و يسـخرون من المؤمنين فـان غناهم أو جاههم الظاهر يجب ألاّ يـدعونا الى احترامهم أو طلب الخير لهم،فمـا داموا كافرين فكريا و فاسـقين عمليا فان حـدود الايمان تفصـلهم عنا،فهم أمه و نحن أمه برغم الاختلاط و القرابه بيننا و بينهم.

و قـد يسـتبد بالمؤمن الحنان البشـرى و العطف فيحاول هـدايه المنافقين،فيـدعوه ذلك الى التقرب منهم بـدل منابـذتهم العداء،و القرآن ينهى عن ذلك و يقول:حتى لو فعلتم مثل ذلك فان اللّه قد اتخذ منهم موقفا شديدا بسبب كفرهم و فسقهم.

ص:۲۳۶

۱- ۱) مجمع البيان ج ۵۵/۵.

اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاٰ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ ان الاستغفار هو قمه العطف الايمانى لشخص ما،و لكن ذلك منهى عنه بالنسبه الى المنافقين لان علينا أن نبنى بيننا و بينهم حجابا ظاهره النور و الايمان و وراءه ظلمات و جهاله.

التخلف عن سوح الجهاد:

[۸۱]حين تتقاعس طائفه من أبناء المجتمع عن الجهاد و التضحيه، و يشيعون حولهم الأفكار السلبيه.يخشى أن يتأثر الآخرون بهم لو لا إعطاء الناس رؤيه واضحه تجاه هذه الطائفه المصلحيه التى يجسدها المنافقون فى المجتمعات المؤمنه التى كانت ترضى بالقعود برغم ان القائد الرسالى كان يقود المعركه.

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاٰفَ رَسُولِ اللّٰهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجٰاهِدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ ان قعود هؤلاء فى الوقت الذى خرج رسول اللّٰه دليل على انهم لا يريدون الجهاد،و ان تبريرهم ببعض الأقوال لم يكن سوى غطاء لقعودهم.

وَ قٰالُوا لاٰ تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ و لكن السؤال:هل يستطيع المسلم أن يدرأ عن نفسه نار جهنم من دون اقتحام ساحات الجهاد؟ قُلْ نٰارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كٰانُوا يَفْقَهُونَ [۸۲]حتى مصاعب الدنيا لن تزول من دون تحمل بعض الصعاب،فاذا

هاجمک العدو فی أيام الحر أو البرد فهل تستطيع أن تقول له انتظر الى أيام الربيع أو الخريف.أم ان ذلک مجرد حلم؟!ان الذين يهربون من المشاکل سوف تتضاعف عليهم المصائب و الويلات،و عليهم أن ينتظروا أياما حالکه فيبکوا کثيرا بعد أن ضحکوا قليلا.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ ان المؤمنين الصادقين يبادرون فی أيام رخائهم و قدرتهم بالاعداد و العمل الجاد ليوم الشدّه، و انهم مستعدون لخوض غمار المعرکه فی أشد الأيام لذلک فان أعداءهم يرهبون جانبهم و فی ظل القوه يستمرون فی حياه آمنه کريمه.

الموقف الرسالی من المتخلفين:

[۸۳]و بعض المنافقين يحاولون العوده الی أحضان العالم الاسلامی لا ليکونوا مواطنين صالحين و صادقين،بل ليستفيدوا من المکاسب بعد أن نصر اللّه عباده المجاهدين،و ليستغلوا نفوذهم المادی،و يتسلطوا علی رقاب المؤمنين و لکن باسم الدين هذه المره کما فعلت بنو اميه فی التاريخ الاسلامی،و لکن القرآن يحذر من ذلک و حکمته فی ذلک قد تکون:ان أيام الشده امتحنت النفوس المؤمنه فعلا و فرزتهم عن الجماعات الوصوليه التی تميل مع القوه أينما مالت،و تحاول أن تستفيد من کل وضع بما يتناسب و شعارات ذلک الوضع،و أساسا فلسفه الجهاد فی الإسلام هی إنقاذ الجماهير غير الواعيه من شر هذه الجماعات الطفيليه النفعيه،لذلک يجب أن تکون القياده الرساليه حذره جدا فلا تسمح لهؤلاء بالعوده الی الساحه السياسيه أبدا.

فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ إِلىٰ طٰائِفَهٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقٰاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّهٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخٰالِفِينَ

فـالمهم هو المواقف الاـولى فى أيام المحنه أما أيام الرضـى فهى ليست دليلا على صـدق النيه بل نحسب هؤلاء ضـمن المنافقين الأوائل.

ص:٢٣٩

[سوره التوبه (۹): الآیات ۸۴ الی ۸۹]

اشاره

وَ لاٰ تُصَلِّ عَلیٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً وَ لاٰ تَقُمْ عَلیٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ فٰاسِقُونَ (۸۴) وَ لاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ أَوْلاٰدُهُمْ إِنَّمٰا یُرِیدُ اَللّٰهُ أَنْ یُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِی اَلدُّنْیٰا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ کٰافِرُونَ (۸۵) وَ إِذٰا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ أَنْ آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ جٰاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اِسْتَأْذَنَکَ أُولُوا اَلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قٰالُوا ذَرْنٰا نَکُنْ مَعَ اَلْقٰاعِدِینَ (۸۶) رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ اَلْخَوٰالِفِ وَ طُبِعَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَفْقَهُونَ (۸۷) لٰکِنِ اَلرَّسُولُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ جٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولٰئِکَ لَهُمُ اَلْخَیْرٰاتُ وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۸۸) أَعَدَّ اَللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا ذٰلِکَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۸۹)

اللغه

۸۶[اولو الطول]:أصحاب المال و القدره و الغنی.

ص:۲۴۰

لا للقيم الماديه نعم للجهاد

هدی من الآیات:

لکی یکرس الإسلام قیم السماء فی المجتمع،و یحدد موقف الناس من الإفراد حسب مواقفهم من الرساله،و لکی یحطم الغنی کاساس لتقییم الناس منع الرسول صلی الله علیه و آله من الصلاه علی منافق أو تکریمه بالقیام علی قبره ما دام الرجل قد کفر باللّه تعالی و رسوله صلی الله علیه و آله و مات فاسقا دون النظر الی غناه أو کثره عشیرته،لان الثروه و الأنصار فتن یبتلی اللّه تعالی بهما البشر فاذا استخدمهما فی الصلاح فهما خیر،و الا فهما عذاب فی الدنیا و سبب الکفر و العذاب فی الآخره.

ان الأغنیاء من المنافقین یتمردون علی فریضه الجهاد،و یستأذنون الرسول صلی الله علیه و آله بان یمنح لهم اجازه البقاء مع ذوی الاعذار-کالنساء و الصبیان و المرضی-دون ان یفقهوا ان ذلک اهانه بشأنهم،و إخراج لهم من الساحه الاجتماعیه.

اما الرسول صلی الله علیه و آله و المؤمنون من أصحابه فإنهم یجاهدون بأموالهم و أنفسهم،

ص:۲۴۱

و يحصلون على الخيرات التى يخسرها القاعدون،كما انهم يفلحون فى الدنيا بالنصر و الرفاه و فى الاخره بجنات أعدها اللّه تعالى لهم تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك هو الفوز العظيم.

و هكذا يكرس هذا الدرس قيمه الايمان و الجهاد و يضرب عرض الجدار القيم الماديه الجاهليه التى تقوم على أساس الغنى و الأنصار.

بينات من الآيات:

سحب الشرعيه عن المنافقين:

[۸۴]صحيح ان الفرد الذى يموت يستقطب العطف و الشفقه،و لكن المنافق حين يموت يجب الا يحترم،لان فى ذلك تكريما لسيرته و لأعماله الفاسده التى ارتكبها،و بالتالى لخطه التحريفى،لذلك نهى القرآن رسوله صلى الله عليه و آله عن إعطاء الشرعيه لخط النفاق التحريفى فى الامه عبر تكريمه للمنافقين بعد موتهم.

وَ لاٰ تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً وَ لاٰ تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ اى لا تجرى عليه السنه التى كان الرسول صلى الله عليه و آله يجريها على قبور المؤمنين حيث يقف على قبر أمواتهم ساعه يستغفر لهم،و عند ما جاء هذا الأمر الحاسم لم يصل النبى صلى الله عليه و آله على قبر منافق أبدا حتى قبض. (۱)

إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ فٰاسِقُونَ اى انهم منحرفون فكريا باللّه و رسوله،و عمليا حيث انهم فاسقون لا يطبقون احكام الشريعه.

ص:۲۴۲

۱- ۱) المصدر ۵۷

و الصلاه و الدعاء لمثل هؤلاء قد تعطى شرعيه للكفر و الفسق داخل المجتمع الاسلامى مما يعرض أساس هذا المجتمع لخطر كبير.ان وجود مثل هؤلاء داخل المجتمع قضيه قد تفرضها واقعيات الحياه،و لكن علينا الاّ نساوى بينهم و بين المؤمنين الصالحين.

لا شرعيه للعده و العدد:

[۸۵]قد يستهوى القائد الاسلامى الذى يستهدف تجميع القوى داخل مجتمعه، و تعبئه الطاقات من أجل بناء دوله الإسلام بعض المنافقين بما يملكونه من ثروه عريضه و من مؤيدين،و لكن القرآن الحكيم يحذّر من ذلك و يعطينا رؤيه واضحه تجاه المال و الأولاد(العدد و العده)هى ان كل ما فى الحياه وسيله الإنسان و أداته لتحقيق قيمه و اهدافه فان كانت اهدافه و قيمه صالحه فأن الوسيله سوف تصبح صالحه و نافعه و الاّ فهى و بال عليه.

وَ لاٰ تُعْجِبْكَ أَمْوٰالُهُمْ وَ أَوْلاٰدُهُمْ إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِي الدُّنْيٰا فالمال و الولد،و بتعبير أخر:العده و العدد إذا لم يكونا وسيلتى خير و صلاح فهما عذاب و خبال ليس لصاحبهما فقط بل و أيضا لمن يتقرب اليه بسببهما،فالذى يعجبه مال الأغنياء أو أولاد و أنصار الأقوياء و لا ينظر الى أعمالهم و اهدافهم.

فسوف يجر الى نفسه الويلات لأنه سوف يخضع لهم و سيرضيهم و يتنازل عن قيمه من أجلهم،و إذا كان الحاكم الاسلامى هكذا و أراد مثلا استرضاء الاثرياء و الأقوياء فعلى حساب من سيكون هذا الاسترضاء.أو ليس على حساب الفقراء و المستضعفين،أو ليس يستدرجه الأغنياء و الأقوياء الى التحيز لهم و اعطائهم امتيازات غير قانونيه؟!و بالتالى يجر المجتمع الى ذات العذاب الذى تورط فيه الأغنياء و الأقوياء غير المؤمنين منهم بسبب المال و الأنصار من غرور و فساد بسبب

وجود الثروه و القوه من دون وجود قيم محدده و موجهه لهما.

ثم ان الثروه و القوه تكونان سببا لاستمرار الكفر حتى الموت،و بالتالى للعذاب.

وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ

مواقف المجتمع من الجهاد:

۱-المنافقون

[۸۶]موقف هؤلاء الأغنياء من الجهاد و تحمل مسئوليتهم كأعضاء فى المجتمع الاسلامى انما هو موقف اللامبالاه و الميوعه،فهم من جهه يريدون ميزات هذا المجتمع،و لكنهم من جهه اخرى يرفضون اى عمل ايجابى من أجل هذا المجتمع.

خصوصا فى أيام الشده.

وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللّهِ وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ فاغنياء المنافقين-أصحاب الطول-و هو المال و القوه،يحاولون اضفاء صفه الشرعيه على تقاعسهم عن الجهاد و بذلك يحاولون أخذ الاجازه من الرسول حتى يحسبهم الرسول من ذوى الاعذار،و القاعدين عن الجهاد،و هذا نوع من الامتياز الذى يطالب به أصحاب المال و القوه فى المجتمع،و لكن هل يمنحهم الإسلام ذلك؟ كلا.

[۸۷]قبل كل شيء يرفع الإسلام من قيمه الجهاد و يجعلها فوق قيمه الغنى و القوه،و يذكرنا بان الذين يتقاعسون عن الجهاد لا يفقهون ما الذى يعملون

ص:۲۴۴

بأنفسهم،انهم يهبطون بأنفسهم الى مستوى الخوالف من النساء و الضعفاء الذين اسقطوا من حساب المجتمع بسبب ضعفهم و عجزهم،فكيف يريد هؤلاء الانتماء الى طائفه العجزه و الضعفاء؟! رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ قال الزجاج:الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد و يجوز ان يكون جمع خالفه فى الرجال و الخوالف و الخالفه الذى هو غير نجيب. (۱)

وَ طُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ فلا يعرفون قدرهم الحقيقى،و أنه مع الجهاد و تحمل المسؤوليه يرتفع الفرد داخل المجتمع المسلم.

۲-المؤمنون

[۸۸]و فى الطرف الاخر من الصوره نجد المؤمنين الذين يجاهدون بكل ما يملكون فى سبيل اللّه،و بذلك يرتفع شأنهم عند اللّه و عند الرسول صلى الله عليه و آله و الناس فى الدنيا و الاخره.

لٰكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰاتُ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فلهم المكاسب الماديه التى ليست عذابا كما كانت عند المنافقين بل هى فلاح و سعاده،ذلك لأن هذه الخيرات اكتسبت عن طريق عمل الخير،و سوف تصرف فى

۱- ۱) المصدر ۵۷

سبیل المعروف و الصلاح.

و بهذه الکلمه تکتمل رؤیه الإسلام التی تحدث عنها القرآن فی الآیه السابقه حول المال و الأنصار،و هی انهما ان کانا قد اکتسبا بعمل صالح و وظفا من أجل اهداف صالحه فهما صالحان و یکونان سببا للسعاده و الفلاح،فالإسلام إذا لا یعطی حکما مطلقا و واحدا للثروه و القوه،فلا یمجدهما مطلقا و لا یرفضهما مطلقا، کما لا یصدر حکما کاسحا و واحدا علی جمیع الأغنیاء و الفقراء،بل یربط حکمه علی الثروه و القوه و أصحابهما بالأطار الذی وضعا فیه.فالحکم ایجابی إذا کانا نظیفین،و الا فهما عند الإسلام و بال و عذاب.

[۸۹]هکذا یرفع الإسلام قیمه العمل الصالح،الذی یعتبر الجهاد القمه السامقه له داخل المجتمع المسلم و یربط سائر الظواهر به،و یکمل الصوره ببیان عاقبه العمل الصالح فی الاخره و یقول:

أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا ذٰلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ فعلینا ان نبحث عن الفوز العظیم فی الجهاد و العمل الصالح لا فی المال و الأولاد.

ص:۲۴۶

[سوره التوبه (۹): الآیات ۹۰ الی ۹۲]

اشاره

وَ جٰاءَ اَلْمُعَذِّرُونَ مِنَ اَلْأَعْرٰابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ اَلَّذِينَ كَذَبُوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۹۰) لَيْسَ عَلَى اَلضُّعَفٰاءِ وَ لاٰ عَلَى اَلْمَرْضىٰ وَ لاٰ عَلَى اَلَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ مٰا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذٰا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ مٰا عَلَى اَلْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۱) وَ لاٰ عَلَى اَلَّذِينَ إِذٰا مٰا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاٰ أَجِدُ مٰا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ اَلدَّمْعِ حَزَناً أَلاّٰ يَجِدُوا مٰا يُنْفِقُونَ (۹۲)

ص:۲۴۷

المعذّرون و المعتذرون

هدى من الآيات:

كما اعتـذر أولوا الطول كـذلك بعض الاعراب حاولوا انتحال العذر ليؤذن لهم فلا يخرجوا،بينما قعد آخرون من دون اى انتحال للعـذر،و الواقع ان الكافرين عمليا بقياده الرسول صـلى الله عليه و آله لهم عـذاب اليم،و هنا يبين القرآن الحكيم الاعـذار الواقعيه التى ليست كتلـك الاعـذار التى جـاء بهـا المنافقون و التى منها:الضـعف المعجز عن الاشتراك فى المعركه،و المرض المقعـد،و الفقر المعجز،و لكن هؤلاـء بـدورهم ينبغى ان ينصـحوا للّه و لرسوله صـلى الله عليه و آله فلاـ يخـالطوا أعمـالهم خيـانه أو غشا و كذبا،و إنما سقط الخروج عن هذه الفئات لأنهم محسنون و ما على المحسنين من سبيل.

و هكذا لا يؤاخذ أولئك الذين قدموا الى الرسول صلى الله عليه و آله لياخذهم معه الحرب فلم يجد الرسول صلى الله عليه و آله مـا يكفيهم لمؤنه الخروج فعـادوا و قـد فـاضت عيونهم من الـدمع حزنـا على عـدم مشاركتهم فى الجهاد،و أنهم لا يملكون نفقه الجهاد.ان هذا مثل واحد للنصح للّه و للرسول.

ص:۲۴۸

بينات من الآيات:

المعذرون من الاعراب:

[۹۰]و فی سیاق بیان القرآن لطوائف المنافقین أخذ یعدد الاعراب الذین لما یدخل الایمان فی قلوبهم،و الذین یعرفون ظاهرا من الدین،و هؤلاء جاؤوا الی الرسول صلی الله علیه و آله لیأذن لهم بالانصراف عن الحرب بعد ان انتحلوا عذرا،و لم یکن الهدف من بیان عذرهم الا الفرار من الجهاد لذلک عبر القرآن الحکیم عنهم:

وَ جٰاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرٰابِ لِیُؤْذَنَ لَهُمْ و یبدو من معنی کلمه(المعذّر)انه الذی یتکلف عذرا و یختلقه،و الهدف من مجیئهم کان الاذن للانصراف لا الاستفهام الحقیقی عن واجبهم الدینی،و فسر بعض المفسرین هذه الایه بطریقه اخری فقال:الظاهر ان المراد بالمعذّرین هم أهل العذر کالذی لا یجد نفقه و لا سلاحا بدلیل قوله: «وَ قَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا».. الآیه، و السیاق یدل علی ان فی الکلام قیاسا لإحدی الطائفتین الی الاخری لیظهر به لؤم المنافقین و خستهم و فساد قلوبهم و شقاء نفوسهم حیث ان فریضه الجهاد الدینیه و النصره للّه و رسوله هیّج لذلک المعذرین من الاعراب حیث جاؤوا الی النبی صلی الله علیه و آله یستأذنونه،و لم یؤثر فی هؤلاء الکاذبین شیئا. (۱).

وَ قَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ هؤلاء قعدوا عن الحرب دون استئذان و ذلک بسبب کذبهم علی اللّه و رسوله.

سَیُصِیبُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ

۱- ۱) تفسیر المیزان ج ۳۶۱/۹

ان هؤلاء قد يكونون ممن تتكامل شخصيته و يضحى مسلما حقيقيا بعد ان كان أعرابيا جاهلا و كاذبا يتشرد من الواجبات مع أو بدون انتحال عذر،فحسابه على اللّه تعالى،و قد يكشف عن جهله و كفره فى المستقبل فيكون له عذاب اليم.

و يبدو لى من ظاهر هذه الآيه:ان الاعراب نوع خاص من المنافقين و هم الذين ينافقون بسبب جهلهم و عدم رسوخ الايمان فى قلوبهم لحداثه عهدهم بالإسلام، و لتراكم الرواسب الجاهليه على قلوبهم،و يرجى لهؤلاء الهدايه و لذلك خصّ القرآن العذاب ببعض الاعراب و هم الذين كفروا منهم(دون جميعهم).

من يجوز له التخلف؟

[۹۱]و لكن من هو صاحب العذر الحقيقى،الذى يجوز له التخلف عن واجب الجهاد؟ فى الآيتين التاليتين توضيح لذلك:

الف:-ليس على الضعفاء الذين لا يتحملون جسديا مشاق الجهاد واجب الجهاد.و هؤلاء مثل المعوقين و المبتلين بالضعف العام،و الذين يبلغ ضعف بصرهم أو ضعف سمعهم أو ضعف اعصابهم أو ضعف قلبهم أو ما أشبه يبلغ حدا يمنعهم من الخروج للحرب فيجعلهم افراد غير صالحين للقتال أبدا.

باء:-و كذلك يسقط الجهاد عن المريض بأمراض خطيره أو طويله أو معديه، أو مما يسبب منعا للخروج.

جيم:-و كذلك يسقط الجهاد عن الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم أو على عوائلهم المفروض عليهم اعالتهم.

ص:۲۵۰

دال:-كذلك يسقط الجهاد عمن لا تقدر الدوله الاسلاميه تحمل نفقات خروجهم.

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفٰاءِ وَ لاٰ عَلَى الْمَرْضىٰ وَ لاٰ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ مٰا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ اى لا يكلفون فوق طاقتهم،أو ما يسبب لهم الأذى و المشقه التى لا تحتمل.

جهاد المعذورين:

من هذه الكلمه يتبين:ان سقوط الجهاد عن الضعيف و المريض و الفقير ليس مطلقا انما فى صوره وجود الحرج و المشقه البالغه التى تختلف حسب اختلاف الظروف،و حسب الأشخاص.من هنا كان الواجب ان يذكر القرآن المؤمنين بان الواجب النصيحه للّه و لرسوله صلى الله عليه و آله حتى يكون كل فرد حسيب نفسه و رقيبها فيما يرتبط بوجود أو عدم وجود الحرج فربما يدعى الشخص انه مريض و حتى يبرهن على ذلك للناس و لكنه يعلم فيما بينه و بين اللّه انه ليس بمريض مرضا يمنعه عن الخروج لذلك أكد ربنا على هذه الحقيقه و قال:

إِذٰا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ و النصيحه هى خلوص النيه و العمل الجدى،و على الإنسان ان يخلص نيته للّه فلا يدّعى كذبا انه معذور و هو ليس بمعذور.كما عليه ان يخلص عمله للّه،فاذا كان معذورا و قعد عن القتال فلا بد ان يقوم بدور معين من أجل المعركه،و لو كان ذلك الدور هو الاعداد الحربى أو بث روح المقاومه فى المجتمع أو محاربه اعمال الطابور الخامس مثل الاشاعات أو الأنباء الكاذبه.

انما الأعمال بالنیات:

إذا کان مجمل سلوک الفرد سلیما و حسنا فان اشتراکه المباشر فی المعرکه أو تخلفه عنها بسبب عذر شرعی لا ینافی ایمانه و تقواه.

مٰا عَلَی الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلٍ ای لیس علی من کان محسنا و أراد فعل الخیر فلم یقدر علی القیام بکل الواجب سبیل المؤاخذه و العقاب،و الکلمه مطلقه و نستوحی منها:ان کل من أراد الخیر و تحرک نحوه فسواء أصاب أو اخطأ.سدد فی عمله أو لم یسدد.بلغ هدفه أو لم یبلغ فانه مجزی عند اللّه تعالی و لیس علیه عقاب.

و من هنا

جاء فی الحدیث عن انس :ان رسول اللّه صلی الله علیه و آله لما قفل عن غزوه تبوک فأشرف علی المدینه قال:«لقد ترکتم فی المدینه رجالا ما سرتم مسیرا و لا أنفقتم من نفقه و لا قطعتم وادیا إلاّ کانوا معکم»قالوا:یا رسول اللّه و کیف یکونون معنا و هم فی المدینه؟قال:«حبسهم العذر » (۱).

و انما أکد القرآن علی هذه الحقیقه: «مٰا عَلَی الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلٍ» لأنه من الممکن ان یتکبر المقاتلون علی العاجزین و المرضی فیؤذونهم بألسنتهم، أو یحاولون منع بعض حقوقهم بحجه انهم لم یساهموا فی المعرکه،فأکد القرآن علی ان هؤلاء محسنون لأنهم أرادوا المشارکه فلم یقدروا،و لذلک لا سبیل علیهم،و لا تفوق أو استعلاء.

و قد یستبد بالمؤمنین ذوی الاعذار وسواس الشیطان فیوقعون أنفسهم فی الحرج

۱- ۱) المصدر ۳۶۸

الشدید لأنهم یخافون مثلا الا یکون الحرج قد بلغ حدا یمنعهم من الخروج واقعا،و فی هذه الحاله لا سبیل علی المحسنین ذوی النیات الصالحه،و السلوک الاجمالی الصالح، و أضاف سبحانه قائلا:

وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فحتی و لو کان هناک بعض التقصیر فان غفران اللّه تعالی یجبره و یعوض المؤمن عن تقصیره.

[۹۲]کذلک لا حرج علی من یرید الخروج و یسجل اسمه فی قائمه المتطوعین للحرب و لکن الدوله الاسلامیه لا تجد وسائل الحرب له.من سلاح أو ذخیره أو حتی وسائل المواصلات.

وَ لاٰ عَلَى الَّذِينَ إِذٰا مٰا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاٰ أَجِدُ مٰا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاّٰ يَجِدُوا مٰا يُنْفِقُونَ انک تجد فی هؤلاء مثلا رائعا لذوی الاعذار الناصحین للّه تعالی و لرسوله و المحسنین الذین تحدثت عنهم الآیه السابقه.انهم ممتلؤون اندفاعا نحو المعرکه الی درجه انهم یتفجرون بکاء حین لا یقدرون علی المشارکه فیها.

و قد جاء فی التفسیر (نزلت هذه السوره فی البکائین و هم سبعه جاؤوا الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله فقالوا یا رسول اللّه احملنا فانه لیس لنا ما نخرج علیه فقال: «لاٰ أَجِدُ مٰا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» (۱).

و ربما تدل هذه الآیات علی ان المفروض علی المسلم ان یکون مستعدا للجهاد

۱- ۱) تفسیر مجمع البیان ج ۶۰/۵

بکل وسیله ممکنه.فأن عجز فلا أقل باستعداده النفسی،

و قد جاء فی حدیث مروی عن النبی صلی الله علیه و آله :

«من مات و لم یغز و لم یحدث نفسه بالغزو مات میته جاهلیه ».

ص:۲۵۴

[سوره التوبه (٩): الآیات ٩٣ الی ٩٦]

اشاره

إِنَّمَا اَلسَّبِیلُ عَلَی اَلَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ وَ هُمْ أَغْنِیاءُ رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ اَلْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اَللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (٩٣) یَعْتَذِرُونَ إِلَیْکُمْ إِذٰا رَجَعْتُمْ إِلَیْهِمْ قُلْ لاٰ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اَللّٰهُ مِنْ أَخْبارِکُمْ وَ سَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلیٰ عالِمِ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهادَهِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩۴) سَیَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَکُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَیْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزٰاءً بِمٰا کانُوا یَکْسِبُونَ (٩۵) یَحْلِفُونَ لَکُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَرْضیٰ عَنِ اَلْقَوْمِ اَلْفاسِقِینَ (٩۶)

ص:۲۵۵

اشاره

بين ذل القعود و ذله الاعتذار

هدى من الآيات:

بعد ان بين السياق ذوى الاعذار المشروعه عاد ليؤكد على العلاقه مع الأغنياء المتخلفين عن الجهاد الذين يستأذنون الرسول صلى الله عليه و آله بالرغم من غناهم و قدرتهم على الخروج و ذلک بسبب جهلهم باهميه الجهاد.

و يحاول هؤلاء تبرير مواقفهم امام المسلمين العائدين من المعركه،و ينهى اللّه من قبول اى عذر منهم لان مستقبلهم سوف لا يكون أفضل من ماضيهم،و لذلک فان اللّه سبحانه سيرى أعمالهم،ثم يردون الى عالم الغيب و الشهاده و يجازيهم على أعمالهم لا أقوالهم و تبريراتهم.

و هم يتشبثون بالحلف الكاذب لتغطيه جبنهم و خيانتهم،و لكى يتركهم المسلمون فلا يوبخونهم على تقاعسهم،و القرآن يأمر بتركهم.و لكن ليس بدافع الرضا عنهم،بل انطلاقا من واقع رجسهم و صغر شأنهم،و ان مأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

و حتی لو استطاع هؤلاء جلب رضا المسلمین عن طریق الحلف الکاذب،فان اللّه تعالی لن یرضی عنهم،لأنهم قوم فاسقون،أعمالهم سیئه،و قلوبهم فاسده.

بینات من الآیات:

علی من یقع الحرج؟

[۹۳]لتکریس قیم الرساله التی تدور حول محور الایمان و العمل الصالح، و ضرب قیم الجاهلیه التی تقدس الثروه و الاثریاء ففی القرآن الحکیم-فی آیات سابقه-عفی اللّه عن الضعفاء و عن ابن السبیل،و المؤاخذه انما هی علی الأغنیاء غیر المساهمین فی الجهاد.

إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ وَ هُمْ أَغْنِیٰاءُ و لکنهم یتهربون من القیام بمسؤولیه الدفاع عن الرساله.

رَضُوا بِأَنْ یَکُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ ای النساء و الصبیان و العاجزین عن الخروج.

وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ فاختاروا لجهلهم الناشئ بدوره عن فسقهم البقاء مع العجزه،و یبدو لی:ان البقاء مع العجزه أسقط قیمتهم الاجتماعیه بل و الغی بعض حقوقهم المدنیه.

النقمه الجماهیریه:

[۹۴]لأنهم تخلفوا عن القتال و سقطوا عن أعین الناس تعرضوا لهجمات الجماهیر المستضعفه،لذلک أخذوا یعتذرون الی الناس حتی یعیدوا ماء وجههم

الصفيق و لكن هيهات.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذٰا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لاٰ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّٰهُ مِنْ أَخْبٰارِكُمْ فماضيكم الذى عرفناه عن طريق الوحى مباشره،أو بصوره بصائر و رؤى زودنا الوحى بها،فاستطعنا عن طريقها-كشف المنافقين و طبيعه تحركاتهم-كل ذلك الماضى دليل كذبكم و دجلكم،كما ان المستقبل هو الآخر دليل.كذبكم فى الاعتذار فمن يتوب بصدق الى اللّه يصلح اعماله فى المستقبل اما أنتم فلستم تائبين حقا.

وَ سَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ فيعلم الماضى و المستقبل و يعلم خفيات القلوب،و خلجات الصدور،و بالتالى يعلم ما وراء كل عمل من نيه حسنه أو سيئه كما يعلم بالأعمال الظاهره،و هكذا لا تقدرون على تبرير أعمالكم الفاسده و الاعتذار منها ببعض الكلمات الفارغه..

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

الرؤيه الرساليه

و هذه الآيه تدل على ان المؤمنين الصادقين يتسلحون برؤيه رساليه تمكنهم من كشف طبيعه المنافقين،و من مظاهر هذه الرؤيه النظر الى الفرد من خلال تاريخه الماضى،و اعمال المستقبليه،دون الاكتفاء فقط بأقواله و تبريراته.

و بما ان المنافق مجتث الجذور،متلون حسب المتغيرات،و انه لا يريد الاستمرار فى خطه مستقبلا لذلك فهو يتستر تحت ستار كثيف من الكلمات الفارغه و الأقوال

الكاذبه،المؤكّده بالأيمان ليعوض عن عمله بقوله،و عن تصرفاته المتغيره بتبريراته الواحده المؤكده،لذلك فان كثيرا من البسطاء ينخدعون بأقواله و تبريراته.انما المؤمن الصادق ينظر الى عمل المنافق لا ـ الى قوله،فيتخلص من خطر عظيم هو الانخداع بالمنافق،ذلك الخطر الذى وقعت فيه-و مع الأسف-شعوبنا اليوم بالنسبه الى الطغاه،و الى جيش المنافقين من خدمهم و حشمهم الذين يبررون أبدا تصرفاتهم بشعارات عامه و أنيقه فاذا مال الطاغيه الى الشرق ترى الصحفى المأجور يحمد باسم الشرق حتى يجعله كعبه الطموح،و إذا اتجه الطاغيه غربا تراه يقدس الغرب و يكيل التهم كيلا ـ ضد الشرق كما فعل قديما خادم حاكم نيسابور حيث ينقل المؤرخون انه طلب من خادمه ان يطبخ له ال(باذنجان)فأخذ الخادم يعدد لسيده فوائد ال(باذنجان)و لكن ما لبث الحاكم ان غير رأيه،فأخذ الخادم يبين مضاره و كأنه سم زعاف،فنهره الحاكم و قال:كيف تقول هذا،و قد عددت قبل لخطات فوائد الباذنجان حتى ظننت انه دواء لكل داء.فقال الخادم:فداك أمى و أبى إنك تعلم باننى خادم لحاكم نيسابور و لست خادما للباذنجان.

و لو تسلحت شعوبنا برؤيه الإسلام و أخذت تقيم الأشخاص و الحكومات بأعمالهم و تاريخ حياتهم و انتظرت حتى ترى انجازاتهم الحقيقيه إذا لرفضت ان تدفع قرشا واحدا لشراء الصحف المنافقه التى تطبل لكل طاغيه و تخدع الناس بترديد شعارات فارغه لا أول لها و لا آخر.

[۹۵]و هكذا تجد المنافقين يتقنون صناعه الكلام لأنهم لا يحسنون عملا، و كلامهم أبدا مؤكد بالأيمان لأنهم لا يريدون تأكيد كلامهم بالأعمال الواقعيه.

سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ

انهم يريـدون السـكوت عن جرائمهم،بتصـغيرها و تقليـل خطورتهـا فى أعين الجمـاهير،و لكن على المـؤمنين ان يعرضوا عنهم و يسـكتوا عن جرائمهم لأنها لا تصـلح بالكلام،و لأنهم قد سـقطوا كليا عن أعين الناس و انفصـلوا عن الجماهير و أصـبحوا رجسـا قذرا نجسا.

وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ [۹۶]و أكد القرآن على ان هدف المنافقين من أيمانهم هو استرضاء الناس، و على الناس الاـ يكونوا طيبين مع المنـافقين الخبثاء فلا يرضوا عنهم.لأنهم لو رضوا عنهم فان اللّه لا يرضـى عنهم بسـبب أعمالهم الإجراميه،و استمرارهم على نهجهم السابق.

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَرْضىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفٰاسِقِينَ نعم إذا غيروا واقعهم و تابوا عن فسقهم فان اللّه تواب رحيم.

و كلمه اخيره:المؤمن يرضـى برضـا اللّه تعـالى و يسـخط لسـخطه.و إذا كـان ربنا غير راض عن المنافقين فهل يسـمح لنا بالرضـا عنهم؟

ص:۲۶۰

[سوره التوبه (٩): الآیات ٩٧ الی ٩٩]

اشاره

اَلْأَعْرٰابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفٰاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاّٰ يَعْلَمُوا حُدُودَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) وَ مِنَ اَلْأَعْرٰابِ مَنْ يَتَّخِذُ مٰا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ اَلدَّوٰائِرَ عَلَيْهِمْ دٰائِرَةُ اَلسَّوْءِ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) وَ مِنَ اَلْأَعْرٰابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ مٰا يُنْفِقُ قُرُبٰاتٍ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ صَلَوٰاتِ اَلرَّسُولِ أَلاٰ إِنَّهٰا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اَللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

ص:٢٦١

مواقف الأعراب من الرساله

هدى من الآيات:

لكى يعطى القرآن بصيره واضحه تجاه سكان الباديه، و يربط تقييم الناس لهم بمدى التزامهم بالقيم،بين السياق ان الحاله الأوليه لسكان الباديه تقتضى الكفر و النفاق لأنهم بعيدون عن العلم،و لذلك فهم أشد كفرا و نفاقا من غيرهم و ابعد عن فهم حقائق الدين،و الالتزام بشرائعه.

و ان هناك فريق من الاعراب يزعمون ان إنفاقهم فى سبيل اللّه نوع من الخساره التى تلحقهم و بذلك يثبتون جهلهم و بخلهم،و هم ينتظرون نزول البلاء عليكم مما يدل على نفسيتهم اللئيمه و المتخلفه بيد ان عليهم دائره السوء بسبب لؤمهم و تخلفهم، و اللّه سميع بما يقولون.عليم بما يضمرون.

بيد ان هناك فريقا من الاعراب يؤمنون باللّه و رسوله،و يتجاوزون حاجز البخل و الجهل،فيدفعون أموالهم قربه الى اللّه،و لكى يحصلوا على دعاء الرسول لهم بالخير، و اللّه يوفر ذلك لهم،و أنه سيدخلهم فى رحمته الواسعه و اللّه غفور رحيم.

ص:۲۶۲

بينات من الآيات:

من صفات الاعراب

[۹۷]کانت النظره الجاهلیه المتخلفه تمجّد سکون البادیه و رکوب أهوالها و تحمّل قساوتها و قال أحدهم:

فمن تکن الحضاره أعجبته فأی رجال بادیه ترانا.

و جاء الإسلام و أکد علی اهمیه المدن و التحضر،و جاءت الآیه الکریمه تحدد الموقف من سکان البادیه،الذین یسمّون بالاعراب(جمع اعرابی و هو ساکن البادیه) و بیّن فیهم صفتین:الشده فی الکفر و النفاق،و ربما لان طبیعه البادیه شدیده،أو انهم جاهلون و الجهل یورث الشده.

اَلْأَعْرٰابُ أَشَدُّ کُفْراً وَ نِفٰاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاّٰ یَعْلَمُوا حُدُودَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ فهم بطبیعه وجودهم فی الصحراء بعیدون عن مراکز العلم،فهم أولی بالجهل بالاحکام الشرعیه التی یسمیها القرآن بالحدود فی أکثر من مناسبه.

وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ علیم بأحوالهم حکیم فیما یطلقه علیهم من نعوت.

[۹۸]و من مظاهر کفرهم و نفاقهم.انهم یزعمون أنّ الإنفاق فی سبیل اللّه خساره مما یعکس بخلهم و جهلهم معا.

وَ مِنَ الْأَعْرٰابِ مَنْ یَتَّخِذُ مٰا یُنْفِقُ مَغْرَماً و من مظاهر جهلهم و خشیتهم انهم ینتظرون نزول البلاء علی المسلمین،فهذه

دلاله على انهم خبثاء كما يدل على تخلفهم الحضارى،فبدل ان يقوموا بعمل ضد من يحسبونه عدوا تراهم يجلسون و ينتظرون.

وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ و الدائره هى النائبه،التى تحيط بجوانب الشخص،و تحاصره فلا يجد منها مخرجا،و لكن أ ليس هذا الانتظار المتخلف و اللئيم بذاته دائره أحاطت بهم أنفسهم؟! عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [۹۹]و لكن هذه الطبيعه الاوليه للأعراب التى يقتضيها جهلهم بالشريعه و شدتهم باستطاعه الإنسان ان يغيرها و يخرج من مقتضيات ظروفه عن طريق التوعيه و التوجيه.

لذلك نجد طائفه من الاعراب تؤمن باللّه و اليوم الاخر ايمانا حقيقيا و لذلك فهى تنفق طوعا و ايمانا منها بان الإنفاق توبه الى اللّه و الى دعاء الرسول لها بالبركه.

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللّهِ وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إذا بالرغم من نظره الإسلام السلبيه الى البقاء فى الباديه فانه لا يحكم على أهلها جميعا حكما مطلقا بل حسب ايمانهم و عملهم.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٠٠ الی ١٠٢]

اشاره

وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ مِنَ اَلْمُهٰاجِرِينَ وَ اَلْأَنْصٰارِ وَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسٰانٍ رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (١٠٠) وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ اَلْأَعْرٰابِ مُنٰافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ اَلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى اَلنِّفٰاقِ لاٰ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذٰابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَ آخَرُونَ اِعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اَللّٰهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)

اللغه

١٠١[مردوا]:المرد أصله الملامسه و منه صرح ممرد ای مملس و الأمرد الذی لا شعر علی وجهه و قیل أصله الظهور فیکون المعنی عتوا و خرجوا من الطاعه.

ص:٢٦٥

هدى من الآيات:

فی مقابل المثل السیء للمنافقین،یبین ربنا سبحانه واقع المؤمنین الصادقین السابقین الی الرساله کمثل أعلی للإنسان الکامل،فالسابقون اولا الی الایمان سواء من أهل مکه أو من أهل المدینه،و من ورائهم الذین اتبعوهم و تابعوا مسیرتهم رضی اللّه عنهم و عفی عن ما تقدم من ذنبهم،و اطمأنت نفوسهم الی رساله اللّه و مناهجه و قضائه و قدره و قد أعد اللّه لهم جنات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها أبدا، و ذلک اسمی تطلع یمکن ان یبلغه البشر-رضا ربه و جنات خلد-.

بینما هناک أعراب منافقون،و آخرون من أهل المدینه متوغلون فی النفاق لا یعلمهم الرسول،و لا نعلمهم نحن و لکن اللّه یعرفهم،و فی الواقع إن معرفتنا أو عدم معرفتنا لا تؤثر شیئا فی جزاء هؤلاء،بل ان ربنا سبحانه سوف یعذبهم مرتین-مره قبل ان یکشفوا و مره بعدئذ-اما بعد الموت فان لهم عذابا عظیما.

و هناک فئه ثالثه متوسطه و هم ضعفاء الایمان الذین یخلطون بین الأعمال الصالحه

و السیئه، و لکن لیس بدافع الکفر أو النفاق بل بسبب ضعف ایمانهم،و رجاء رحمه اللّه. عَسَی اللّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ .

بینات من الآیات:

طبقات المؤمنین

[۱۰۰]السبق بذاته قد لا یکون قیمه أساسیه فی مقابل قیمه التقوی،و لکنه یکشف عاده عن التقوی تلک القیمه الأسمی عند الرسالات السماویه،و السابقون الأولون هم أفضل من غیرهم لأنهم بادروا الی قبول الرساله بإراده صلبه تتحدی الصعاب،و لا تستسلم لضغوط الطغاه و لا للاعلام الفاسد المضلل.

وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ لا فرق بینهم رغم بعض النعرات الاقلیمیه التی کانت تحاول زرع الخلافات بین أهل مکه المهاجرین و أهل المدینه الأنصار.لیس علی أساس السبق الی الهدی، بل علی أساس المیزات المزعومه فی المجتمع المکی أو المدنی،و لکن الإسلام رفض بقوه هذه النظره الجاهلیه و ربط بین الفرد و عمله لا بین الفرد و إقلیمه.

وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ فلم یتبعوهم بنفاق أو من أجل مصلحه خاصه بل للّه سبحانه.ان هؤلاء هم الذین یکونون فی صف السابقین الأولین.

و ربما تدل کلمه الإحسان علی حاله نفسیه هی حاله العطاء و الإنفاق لا حاله الاستسلام و القبول المطلق.

رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ

فِيهٰا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الصف المقابل للمؤمنين:

[۱۰۱]لكى نعرف مـدى تحلق السـابقين فى سـماء الإنسـانيه و الخروج عن جاذبيه الشـهوات و الضـغوط لا بـد ان نلقى نظره الى الطرف الاخر من الصوره لنرى المنافقين كيف هبطوا الى حضيض الميوعه.

وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرٰابِ مُنٰافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَهِ مَرَدُوا عَلَى النِّفٰاقِ فليس لأنهم من أهل المـدينه أو من أهل مكه يمكن التغاضى عن ذنوبهم.

لاٰ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذٰابٍ عَظِيمٍ فعلم اللّه تعالى كاف لعـذابهم،فاذا اختفى المنافق عن انظار الناس و عن نظر القياده فلا يغنيه ذلك شـيئا لان اللّه سبحانه قد احصى اعماله و هو الذى سوف يجازيهم فيعذبهم مرتين.مره قبل انكشافهم و ذلك بالعذاب الروحى،و مره بعده بالعذاب المادى،و كذلك سوف يعذبهم بعد الموت عذابا عظيما.

ضعاف الايمان

[۱۰۲]و هناك فئه وسـيطه يعترفون بـذنوبهم و بذلك فهم أقرب درجه الى الايمان حيث ان له مرحلتين:فهم الحقيقه و تطبيقها،و إذا عرف البشر الحقيقه فربما لا يعمل بها اليوم و لكنه يعمل بها حين يمتلك قوه و اراده كافيه و هؤلاء.

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اللّه يعاملهم مثلما هم يعاملون القيم،و لكن رحمه اللّه أوسع من ذنوبهم.

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱۰۳ الی ۱۰۶]

اشاره

خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِهٰا وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اَللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۱۰۳) أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ یَقْبَلُ اَلتَّوْبَةَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ یَأْخُذُ اَلصَّدَقٰاتِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِیمُ (۱۰۴) وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلیٰ عٰالِمِ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۰۵) وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اَللّٰهِ إِمّٰا یُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّٰا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۰۶)

اللغه

۱۰۶[مرجوّون]:مؤخرون موقوفون لما یروا من أمر اللّه.

[موعده]:من الوعد.

ص:۲۶۹

بین الصدقات و التطهیر

هدی من الآیات:

بعد ان بین لنا الدرس السابق ان فریقا من الناس خلطوا عملا صالحا و آخر سیئا جاء هذا الدرس لیبین لنا ما یصلح هذا الفریق،فبدأ الحدیث ببیان أخذ الصدقات منهم لتطهیر أموالهم و لتزکیه نفوسهم،و أمر القرآن الرسول صلی الله علیه و آله بالصلاه علیهم لأنه تسکین لقلق نفوسهم المتورطه فی الذنوب،و اللّه سمیع لما یصدر منهم من أصوات ظاهره و علیم کذلک بخفایاهم.

و بما ان اللّه یقبل التوبه عن عباده فلا بد ألاّ ییأس هؤلاء من روح اللّه،و لیبادروا بإنفاق الصدقات لأنه یأخذها بفضله،و انه هو التواب الرحیم.

و لا یعنی التوبه و إعطاء الصدقات الاستغناء عن العمل.کلا..بل علیهم بالعمل الدائب الذی سیتجسد و یراه اللّه و رسوله و المؤمنون،و سوف یجازیهم اللّه العالم بالظاهر و الباطن و الغیب و الشهاده.

و هناک فریق من الناس ابعد من هؤلاء و حسابهم علی اللّه، فاما یعذبهم أو یتوب علیهم حسب علمه بواقعهم و حکمته البالغه و المحدده بطبیعه الجزاء الذی یستحقونه.

بینات من الآیات:

متی تکون الصدقه قسرا؟

[۱۰۳]الصدقه کل عمل یمارسه الفرد تقرّبا الی اللّه و انبعاثا من ایمانه باللّه و الیوم الآخر،و الصدقه المالیه هی الإنفاق المالی بدافع التقوی و الایمان،و هناک فریق من الناس لا یعطون الصدقات بل تؤخذ منهم أخذا،و هؤلاء هم الذین خلطوا عملا صالحا و آخر سیئا،و الذین حدّثنا القرآن عنهم فی الآیه السابقه و لذلک امر اللّه رسوله صلی الله علیه و آله و من ورائه(القیاده الاسلامیه)بأخذ الصدقه من أموالهم حتی و لو وجدوا صعوبه نفسیه من دفع الصدقات طوعا و رغبه،و لکن لا یعنی ذلک الاقتصاص منهم أو اعتبار ذلک کالجزیه التی هدفها القهر و التصغیر.لا..انما هدف أخذ الصدقه:

اولا:تطهیر أموالهم و تنظیف سمعتهم الاجتماعیه.

و ثانیا:تزکیه نفوسهم و تربیتها علی الکرم،و الخروج من زنزانه البخل،و رفعهم الی مستوی العطاء و الاحساس بمسؤولیتهم الاجتماعیه.

خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهٰا و لا یعنی أخذ الصدقه الاستیلاء علی أموالهم،بل أخذ قدر محدد منها مثل الخمس و الزکاه أو سائر الحقوق الاجتماعیه التی تحددها الظروف الاجتماعیه.

و لکن هذا الأخذ یجب الا یسبب لهم حرجا نفسیا یبعدهم عن طریق الحق، لذلک یجب الدعاء لهم.

ص:۲۷۱

وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ و الدعاء لهؤلاء بالخير و البركه يعنى أيضا السعى وراء خيرهم و رفاههم فى مقابل عطائهم كأى دعاء اخرى حيث انه ليس منفصلا عن العمل من أجل ما يدعو له الفرد.

و الـدعاء بالصـلاه لهؤلاـء يسـبب سـكون نفوسـهم و اطمئنانهـا الى اللّه،و الى المجتمع المسـلم الـذى تمثله القيـاده الرساليه ذات الاهتمام بكل الناس.

وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع الدعاء،و يعلم باهداف المصلى الذى يبتهل اليه سبحانه بالدعاء و لإخوانه.

قبول اللّه للصدقات:

[۱۰۴]علم اللّه تعـالى بـأحوال عبـاده يجعلنا نؤمن بأنه يقبل التوبه الصادره عن عباده،و انه يأخـذ الصـدقات بالرغم من ان المبتهل الى اللّه هو الرسول أو المؤمنون، فان اللّه هو الـذى يقبل التوبه لا الرسول فقط،و بالرغم من ان الرسول يأخذ الصدقه فى الظاهر و لكن اللّه هو الذى يأخذها فى الواقع.

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقٰاتِ وَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ [۱۰۵]لكى يطهّر هـذا الفريق الذى خلـط عملاـ صالحـا و أخر سـيئا ليطهروا أنفسـهم و يزكوهـا و يعطوهـا المزيـد من الصـلابه الايمانيه فانّ عليهم ان يعملوا فالعمل يخلف أثرين فى النفس برسوخ الايمان فيها،و فى الواقع الخارجى بمكاسب يراها اللّه

و يراها الرسول و المؤمنون.

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ و لذلك لا قلق أبدا على الإنسان العامل ان يضيع عمله فى زحمه الاحداث،و لا خوف من عدم حصوله على نتائج عمله.عاجلا أم آجلا هنا و عند الاخره.

وَ سَتُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فاللّه سبحانه الذى يعلم الظاهر و الباطن لا يكتفى بإعطاء الجزاء الوافى للعامل، بل و أيضا يبيّن للعامل ان هذا الجزاء انما هو لذلك العمل ليكون ألذ و أطيب و أدعى الى الاعتزاز و الفخر.

كل هذا علاج شاف للنفوس الضعيفه التى لا تمحض الايمان،و لا تخلص العمل الصالح بل تخلطه بالعمل السىء.

و كلمه اخيره:ان أكثر المسلمين هم من هذا الفريق.الذى لم تتكامل شخصيتهم الايمانيه فعليهم ان يستفيدوا من هذا العلاج لتعميق روح التقوى فى نفوسهم.

المرجون لأمر اللّه:

[۱۰۶]هناك فريق أخر لا يصلحون أنفسهم و لا يستفيدون من هذا العلاج القرآنى لضعف نفوسهم و خور عزائمهم لذلك يبقى هؤلاء مرددين بين النار و الجنه.

وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّٰهِ إِمّٰا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّٰا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ربما حسب ظروفهم الاجتماعيه فقد يكون الذنب بسبب ظروف صعبه لا

يحتملها ايمان الفرد و إرادته، فرحمه اللّه تعالى واسعه،و قد يكون الذنب بسبب تحدى سلطان اللّه أو اللامبالاه بأوامر اللّه،أو الاسترسال التام مع الشهوات فاللّه شديد العقاب.

وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ و من هنا فعلى البشر الا ييأس من روح اللّه و لا يسترسل مع الذنوب حتى و لو كانت ذنوبه كثيره و كبيره بل يقف فيها على حدود معينه تبعا لظروفه الضاغطه عليه باتجاه الذنوب و يحاول أبدا ان يدع علاقاته باللّه باقيه غير مقطوعه.

كما أن عليه الاّ يعتمد كليا على رحمه اللّه،فربما يكتشف عند الموت أن نقمه اللّه تستقبله بدل رحمته بسبب ذنوبه الكبيره.

علم اللّه بلطائف نيّات البشر،و دقائق أعمالهم،و حكمته البالغه التى لا يسقط شيئا من حسابه و تقديره كل ذلك يجعلنا حذرين أبدا حاسبين حساب كل شيء، عاملين حسب المستطاع من أجل الخلاص من عذاب اللّه،و الوصول الى رحمته الواسعه.

ص:۲۷۴

[سوره التوبه (٩): الآیات ١٠٧ الی ١١٠]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرٰاراً وَ کُفْراً وَ تَفْرِیقاً بَیْنَ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ إِرْصٰاداً لِمَنْ حٰارَبَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَیَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنٰا إِلاَّ اَلْحُسْنیٰ وَ اَللّٰهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکٰاذِبُونَ (١٠٧) لاٰ تَقُمْ فِیهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَی اَلتَّقْویٰ مِنْ أَوَّلِ یَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ فِیهِ رِجٰالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَ اَللّٰهُ یُحِبُّ اَلْمُطَّهِّرِینَ (١٠٨) أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْیٰانَهُ عَلیٰ تَقْویٰ مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰانٍ خَیْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْیٰانَهُ عَلیٰ شَفٰا جُرُفٍ هٰارٍ فَانْهٰارَ بِهِ فِی نٰارِ جَهَنَّمَ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ (١٠٩) لاٰ یَزٰالُ بُنْیٰانُهُمُ اَلَّذِی بَنَوْا رِیبَةً فِی قُلُوبِهِمْ إِلاّٰ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (١١٠)

ص:٢٧۵

رساله المسجد و مسجد الضرار

هدی من الآیات:

فی معرض بیانه للفئات الاجتماعیه المختلفه فی هذه السلسله من الدروس یبیّن السیاق حاله فئه منافقه تتستر بالدین،و تتخذ مسجدا للأضرار بالمسلمین و إفساد عقائدهم و بث التفرقه بین صفوفهم و تعبئه للقوی المعادیه للرساله.کل ذلک تحت شعارات براقه و بادعاء انهم انما یریدون الخیر و الحسنی للناس بینما یشهد اللّه انهم کاذبون.

و ینهی اللّه و رسوله من القیام فی هذا المسجد،لان المسجد یجب ان یکون بناؤه علی أساس التقوی و لیس الإضرار و الکفر و التفرقه و بتعبیر آخر علی أساس النفع و الایمان و الوحده و بدل تجمیع القوی المعادیه،یجب ان یجمع المسجد رجالا یحبون التطهّر و الصلاح،و اللّه یحب المتطهرین.

ان المسجد یجب أن یبنی علی أساس التقوی و رضوان اللّه و اتباع مناهجه،و الا فهو من دون أساس ثابت بل مبنی علی طرف هاویه،و بالطبع سوف ینهار هذا

ص:۲۷۶

البنـاء، و تكون عـاقبه أهله نـار جهنم،لان أساسه منحرف،و اللّه لا يهـدى القوم الظالمين الـذين انحرفوا فظلموا أنفسـهم بالكفر و الفساد.

و هـذا البنـاء التحريفى لا أساس له حتى فى نفوس بناته،لأنهم يشـكّون فى سـلامه خطتهم و يرتابون حتى تقطع قلوبهم و تشـتت إرادتهم و اللّه عليم بما يفعلون، و حكيم حينما يجازيهم على أفعالهم.

بينات من الآيات:

مسجد ضرار:

[۱۰۷]مره اخرى يكشف لنا القرآن عن خطه شـيطانيه ماكره هى تسترفئه من المنافقين بشعار الدين،و بناء المساجد للفساد،و يبيّن أن علينـا أن نكون حـذرين فلاـ تخـدعنا المظاهر بل ان نتعمق أبـدا الى ما ورائها من أهـداف،و كل عمل يقوم به شـخص أو فئه يجب أن نجعله فى سياقه التاريخى و نقيسه على أساس الغايات المتوخّاه من ورائه.

فهؤلاء فئه من المنافقين اتخذوا مسجدا بهدف الإضرار بينما أساس المسجد هو النفع..المسجد للّه تعالى و قد اتخذ هؤلاء مسجدا للكفر بـاللّه.لتكريس قيم الشـيطان،مثلاـ:لتفريق النـاس على أسـاس عنصـرى أو قومى أو إقليمى أو عشائرى ليقولوا:هـذا من أهل المدينه و هذا من أهل مكه،و نحن نقبل الخزرج دون الأوس.

و هـدف بناء المســجد تعبئه الطاقات الخيّره فى المجتمع بينما هـدف هؤلاء من بناء المسـجد تجميع شذاذ الأرض،و إرصادهم و دفعهم نحو مقاومه الرساله.

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرٰاراً

ص:۲۷۷

اى للإضرار بالناس لا النفع،و ربما أضحى المسجد ضرارا لأنه بنى بأموال المستكبرين،مثل كبار الرأسماليين و رؤساء القبائل العنصريين و لذلك لم يكن من الممكن أن يهدف المسجد سوى الضرار و استغلال المستضعفين،و التسلط على رقاب الناس باسم الدين هذه المره.

[وَ كُفْراً] و محتوى ذلك المسجد من الناحه الإيدلوجيه و الثقافيه كان الكفر باللّه و بالقيم الرساليه،بالرغم من اقامه الصلاه فيه.لان الصلاه كانت ضد الصلاه الحقيقيه، و تلك الشعائر التى تهدف اعاده حكومه المستكبرين ليست سوى الكفر و الضلال.

وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ كان المسجد يميّز بين الفقراء و المستضعفين و المهاجرين من أهل مكه،و بين الأغنياء و رؤساء القبائل و كبار المنافقين من أهل المدينه،بينما المسجد الرسالى يجمع الكل على صعيد المساواه.

وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ فبينما ينبغى أن يكون المسجد منطلقا لتجميع الطاقات المؤمنه الصادقه مع المجتمع،ترى هذا المسجد يجمع كل منافق،و يعبّؤهم لمحاربه اللّه و رسوله.

كل ذلك و أصحاب هذا المسجد يدّعون بأنهم لا يهدفون شرّا،بل هدفهم مقدس و هو تحقيق أفضل حياه للإنسان،و حمايه حقوق البشر،و صيانه الاستقلال و الحريه.

وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ

أساس المسجد و اهدافه:

[۱۰۸]و ينهى اللّه رسوله و بحزم بالغ ألّا يقوم فى هذا المسجد أبدا.

لاٰ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً فحتى لو كان البناء باسم المسجد فانه لا يكتسب شرعيه،لأنه مبنى بهدف الفساد و الكفر،و قيام الرسول أو القياده الرساليه فى مثل هذه المساجد التى بنيت لتكريس سلطه الطغاه أو لتحقيق قيم الجاهليه يعطى شرعيه زائفه لها.

لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ و التقوى هنا تفسّر بما سبق و هو:أن يكون هدف بناء المسجد النفع لجميع الناس من الناحيه الاقتصاديه و الاجتماعيه،و اشاعه قيم الرساله من الناحيه التربويّه و بث روح التحابب و التعاون من الناحيه الخلقيه و السياسيه.

اما من يجتمع فى هذا المسجد و يقود مسيرته،فهم أناس نظيفون هدفهم أولا تزكيه ذواتهم،ثم تربيه الناس.

فِيهِ رِجٰالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ فليس هدفهم استغلال الفقراء،و لا التسلط عليهم باسم الدين،و لا التعالى عليهم باسم العلم و الفضيله،بل هم بدورهم يبحثون عن الطهاره،و يهدفون تكميل شخصياتهم،و بذلك يضربون مثلا حيّا لمن يقوم فى المسجد من الناس.

[۱۰۹]ان أساس هذا المسجد مختلف عن مسجد الضرار الذى لا أساس له.ان بناء هذا المسجد الرسالى قائم على أساس التقوى،و البحث عن رضا اللّه تعالى،و بالتالى تنفيذ مناهج الرساله و تحقيق أهدافها بينما قام ذلك المسجد على أساس

متزلزل،انه قام من أجل الأهواء و المصالح التى لاـ تثبت على حال.بل تتبع رياح القوه و الثروه،فاذا هبّت الرياح جنوبا أو شرقا تراهم من أفضل خدم الشرق و إذا هبّت شمالا أو غربا تراهم من أفضل تلامذه الغرب و إذا حكم آل كذا!فعلى أهل المسجد التسبيح بحمد آل كذا!و إذا حكم أعداؤهم فعليهم لعن آل كذا! أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيٰانَهُ عَلىٰ تَقْوىٰ مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوٰانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيٰانَهُ عَلىٰ شَفٰا جُرُفٍ هٰارٍ اى الطرف القريب من المنحدر.

فَانْهٰارَ بِهِ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ ان على المسجد ان يكون له ثقل فى الواقع الاجتماعى و السياسى يهتدى الناس به كما يهتدون بالنجوم الثابته.و يطمئنون اليه و يسكنون فى ظله كما يطمئن شتات المستضعفين الى الامام الهادى،و كما يسكن الخائفون الى ركن شديد، المسجد يعبّئ الطاقات المؤمنه بعد أن كانت متفرقه و يعطيها قوه التجمع بعد ان كانت مستضعفه لذلك يجب ان يكون المسجد مستقلا عن متغيّرات السياسه،و يجب أن يكون أئمه المساجد مستقلين عن السلطات،أما إذا كانوا أقمارا فى فلك السياسه المتغيّره فان اللّه لا يهديهم طريقا لأنهم ظالمون لأنفسهم و لدورهم الرسالى.

وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ

الشك و الاهداف القصيره:

[۱۱۰]و هذا المسجد القائم على أساس الظلم يبقى من دون أساس حتى بناه المسجد لا يعتمدون عليه و لا يزالون يشكّون فيه.

ص:۲۸۰

لاَ يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَهً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لأنهم لا يؤمنون فعلا بالمسجد و بدوره الرائد فى المجتمع،فهم انما بنوه لغرض فاذا بلغوا هدفهم تركوا المسجد و كانوا كمن قال فيه الشاعر:

صلى المصلى لأمر كان يطلبه لما انقضى الأمر لا صلى و لا صاما

ص:٢٨١

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱۱۱ الی ۱۱۲]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَریٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ اَلْجَنَّهَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی اَلتَّوْرٰاهِ وَ اَلْإِنْجِیلِ وَ اَلْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفیٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اَللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ اَلَّذِی بٰایَعْتُمْ بِهِ وَ ذٰلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۱۱۱) اَلتّٰائِبُونَ اَلْعٰابِدُونَ اَلْحٰامِدُونَ اَلسّٰائِحُونَ اَلرّٰاکِعُونَ اَلسّٰاجِدُونَ اَلْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ اَلنّٰاهُونَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ اَلْحٰافِظُونَ لِحُدُودِ اَللّٰهِ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۱۲)

ص:۲۸۲

هدی من الآیات:

فی سیاق استعراض فئات الناس حسب مواقفهم من الرساله،یذکرنا القرآن بالمثل الأعلی للمؤمنین،و هم الفئه التی اشتری اللّه منهم کل ما لدیهم فی الدنیا فی مقابل الجنه فی الآخره،لذلک تراهم یقاتلون فی سبیل اللّه و لا فرق عندهم بین أن یقتلوا أو یقتلوا،و لقد قطع اللّه معهم وعدا حقا ذکره فی التوراه و الإنجیل و القرآن، و هل هناک من یفی بوعده بالطریقه التی یفی بها ربنا العزیز الحکیم؟!تلک إذا صفقه رابحه یستبشر بها المؤمنون و هی فوز عظیم.

و من صفات هذه الفئه التوبه(إصلاح الذات)و العباده(التبتل الی اللّه فی الدعاء و الصّلاه)و الحمد(الرضا بما یقسم اللّه،و الاطمئنان الی رحمته الواسعه) و السیاحه(السیر فی الأرض اعتبارا أو جهادا)و الرکوع و السجود،و التسلیم للّه و الخضوع له،و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و صیانه حدود اللّه.

کل هذه الأعمال الکبیره تجعلهم أعلی مثل للإنسان المسلم،و لذلک یجب أن

نبشّرهم و نهنيهم بها.

بينات من الآيات:

علاقه اللّه بالمؤمن بيع و شراء

[۱۱۱]حين تـدفع ألف دينار لتأخذ قطعه أرض من مالكها،كيف تتعامل مع الألف دينار؟بالطبع سوف تقطع علاقتك الخاصه بها و تنتظر صـاحب الأرض متى يطالبـك بها لتـدفعها اليه.كما انه بـدوره ينتظرك حتى يـدفع إليك الأرض التى اشتريتها،و هكـذا حين اشترى ربّنا من المؤمنين ما هو لهم فى الدنيا من مال و نفس، و وعدهم الجنه وعد الصدق،فانك أنت المؤمن البائع لا ترى لنفسـك الحق فى التصرف فى نفسـك أو مالـك،لأنـك قـد بعتها الى اللّه نعم المشترى بأفضل ثمن و هو الجنه،و من هنا يزداد شوقك الى الجنه كل لحظه لأنك قد امتلكتها بفضل اللّه.

هـل تشـك فى أن اللّه سوف يـدفع إليـك مـا وعـدك؟.كلاـ بل هو أوفى من وعـد لأنه غنى حميـد.مالك الجنان الواسـعه التى عرضها السموات و الأرض.

إِنَّ اللّهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ و لذلك تجد نفسك مشتاقه الى الجهاد لأنه طريقك الى الشهاده،و هى سبيلك الى الجنه،و الى لقاء اللّه حبيب قلوب المؤمنين.

يُقٰاتِلُونَ فِى سَبِيـلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْـداً عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرٰاهِ وَ الْإِنْجِيـلِ وَ الْقُرْآنِ و فى كل عصـر تجـد المؤمنين الصادقين يتسابقون الى الجهاد.من أيام موسى الى عهد عيسى عليه السلام ،الى عصر محمد صلى الله عليه و آله .

وَ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ وفاء اللّه بعهده ثابت لأنه صادق و قادر و عزيز،و هو أرحم الراحمين.يدفع إليك ما وعدك أضعافا مضاعفه.

فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِی بٰايَعْتُمْ بِهِ وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

صفات المؤمنين:

[۱۱۲]من مواصفات هذه الفئه أن كل جوانب حياتهم تتجلى بهذه الصفقه الرابحه،فهم من أهل الجنه الذين لا علاقه لهم بالدنيا و حطامها،لذلك نجدهم:

ألف:يتوبون الى اللّه فى كل لحظه،و من كل ذنب يرتكبونه.غفله أو جهلا أو جهاله،و هكذا يصلحون أنفسهم كلما أفسدتها عوامل الشهوه و ضغوط الحياه.

باء:و يعبدون اللّه و يتبتلون اليه و يتضرعون ليل نهار،و بذلك يزدادون رسوخا فى الايمان و صلابه فى الجهاد.

جيم:و يحمدون اللّه سبحانه،فهم أبدا راضون بما يعطيهم ربهم سبحانه، و هكذا تكون شخصياتهم سليمه غير معقده بتلك العقد التى تتراكم على قلوب أهل الدنيا بسبب الاحباطات النفسيه التى يتعرضون لها،و هكذا يزدادون قدره على العطاء و تحملا للعناء و سلامه فى الجسم.

دال:و يسيحون فى الأرض لينظروا ما فيها من عبر التاريخ و يستخرجوا ما فيها من طاقات سخّرت لعماره الأرض،و ليروا من فيها من بشر ينتظرون الهدايه و البلاغ،و بالتالى ليروّضوا أنفسهم على التعب من أجل اللّه.

هاء:يركعون و يسجدون لأنهما مظهران من مظاهر العباده الصادقه و التبتل

الی اللّه.

واو: وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ لأنهم قد هیأوا أنفسهم لهذه المسؤولیه الکبیره.

زای:و یعتبرون أنفسهم شهداء علی تطبیق النظام الاسلامی.و حدود الشریعه المقدسه،لذلک فهم حافظون لحدود اللّه.سواء بأنفسهم فلا یعطون لأنفسهم الحق فی تغییر حدود الشریعه باجتهادهم أو بسبب أنهم ثوار مجاهدون.کلا..بل یلتزمون دائما قبل الآخرین بتفاصیل المناهج التی بینها لهم ربهم سبحانه،و لذلک فان اللّه یبشّرهم برحمه واسعه منه.

اَلتّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاکِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النّاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ

ص:۲۸۶

[سوره التوبه (۹): الآيات ۱۱۳ الى ۱۱۶]

اشاره

مٰا كٰانَ لِلنَّبِيِّ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كٰانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ اَلْجَحِيمِ (۱۱۳) وَ مٰا كٰانَ اِسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّٰ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِيمٌ (۱۱۴) وَ مٰا كٰانَ اَللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰاهُمْ حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مٰا يَتَّقُونَ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۱۵) إِنَّ اَللّٰهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ (۱۱۶)

اللغه

۱۱۴[لأواه]:الاوّاه من التأوه و هو التوجع.

ص:۲۸۷

الولاء للرساله

هدی من الآیات:

لقد فصّلت آیات الدرس السابق مواقف الفئات من الرساله،و فی هذا الدرس و الدروس القادمه یبیّن السیاق القرآنی جوانب من علاقات هذه الفئات ببعضها، و بدئها بضروره فصم الولاء بین المؤمنین و المشرکین حتی و لو کانوا أقاربهم الأدنین.

فلا یجوز للنبی و الذین آمنوا أن یستغفروا للمشرکین،لان ذلک نوع من العلاقه الایجابیه المحظوره شرعا و لأن الاستغفار لا ینفع أحدا إذا أصرّ علی الشرک و العناد.

و لم یکن استغفارا إبراهیم علیه السلام لأبیه و هو یعلم أنه مشرک الاّ بسبب وعد بینهما، و ربما کان یرجو إبراهیم اهتداء أبیه،بید أنه لمّا علم أنه عدو للّه تبرّأ منه،و قد کان إبراهیم علیه السلام ممحضا فی التوحید و متبتّلا الی اللّه،و کان فی الوقت ذاته حلیما.

و لقد هدی اللّه البشر بالفطره،و أرسل إلیهم رسلا بیّنوا لهم شرائع الدین،فلما خالفوا تلک الشرائع-و لیس قبل ذلک-أضلّهم اللّه،و اللّه بکل شیء علیم.

و هكذا ينهى اللّه سبحانه عن الاستغفار للمشركين لأنه هداهم فاستحبّوا العمى فاضلّهم و أبعدهم،و اللّه ولى البشر لأن له ملك السموات و الأرض دون أسره الإنسان و أقاربه.

بينات من الآيات:

شروط الاستغفار:

[١١٣]بعض الناس يذنب و يتمنى لو أن الرسول أو أحد الأولياء يشفع له ذنبه بمجرد أنه ابن ذلك الولى أو تابع للرسول.

و قد يكون ذلك التمنى معقولا و لكن بشروط ثلاثه:

أولا:-الاّ يكون مجرّد تمنى بل يشفع بعمل وسعى،يقول القرآن الحكيم فى آيه كريمه: «أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولىٰ» ،الى قوله سبحانه: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ مما يدل على ان التمنى لا يجدى نفعا لو بقى فى حدود التمنى.

ثانيا:-أن تكون علاقته بالولى،أو بالرسول علاقه ايمان لا علاقه إعجاب عاطفى أو انتماء نسبى،فالرسول صلى الله عليه و آله ليس أبا لأحد من الرجال بل هو قبل كل شيء رسول بعثه اللّه ليطاع باذنه،فلو كانت العلاقه معه نابعه من الايمان باللّه فانها تشفع له.

ثالثا:-الاّ يكون الذنب هو الشرك باللّه العظيم لأن اللّه يغفر كل الذنوب دون الشرك باللّه تعالى.

ضمن هذه الشروط يقدر النبى أو الولى أن يشفع للمذنبين، و لكن لا تعنى الشفاعه أنه يفرض على اللّه غفران ذنوبهم،بل أنه يدعو و اللّه يستجيب دعاءه

بفضله،و هكذا تكون الشفاعه و الاستغفار بمعنى واحد لان الاستغفار هو الدعاء بغفران ذنب المذنبين،و الآيه التاليه تؤكد على الشرط الأخير الذى هو الأهم من هذه الشروط الثلاث للشفاعه فتقول:

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ فما دام الشخص مشركا فهو من أصحاب النار لا محاله فلما ذا طلب المغفره له، و لماذا أساسا الارتباط النفسى به.إنه من أمه و نحن من أمه ان صاحبه النار و صاحب المؤمنين الجنه.

[۱۱۴]نعم ان الاستغفار يجوز للمشرك و ذلك بطلب الهدايه له من اللّه سبحانه، كما

كان الرسول صلى الله عليه و آله يكرّر هذه الكلمه فى المواقف الحرجه من حياته الرساليه (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون و كما كان إبراهيم عليه السلام وعد أباه أن يستغفر له قَالَ:«سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّى عَسىٰ أَلاّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا» .

ذلك لأنه كان يسعى آنئذ نحو هدايه قومه و إخراجهم من ضلالتهم،اما بعدئذ حينما تبيّن له أن أباه و قومه أعداء للّه،و ان شركهم ليس لجهلهم بل للعناد و التحدى.هجرهم و تبرأ منهم.

وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ [۱۱۵]و اللّه كذلك لا يأمرنا بمقاطعه المشركين فورا و من دون سابق تبشير و إنذار،انما علينا أن ندعوهم الى الهدى بكل وسيله،و منها الدعاء لهم بالهدايه،فاذا

عاندوا تركناهم و تبرّأنا منهم،كما أنه سبحانه لن يضل الناس بعد أن هداهم.

و كشف لهم تفاصيل الشريعه.

وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰاهُمْ ان هـدايته اما تكون بالفطره حيث خلق اللّه الناس و أركز فى أنفسـهم معرفته و زوّدهم بالعقـل ليعرفوا الحق،أو تكون بالرسـاله حيث بعث أنبيـاء ليهـدوهم، فلمـا اهتـدوا و أنعم اللّه عليهم بالرخاء طغوا و نسوا ما ذكّروا به.هنالك يضـلّهم اللّه و يسـلب منهم نعمه الهدايه التى سـبق و أنعم بها عليهم فلم يراعوها حق الرعايه، و أهملوا السنن التى بينها لهم،و أهملوا المحرّمات التى أمرهم اللّه تعالى باتقائها و اجتنابها.

حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مٰا يَتَّقُونَ أى الذنوب التى يجب اجتنابها.

إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو عليهم بأسـباب شقاء الإنسان،و كيف يجب اتقائها،و عليم بواقع ذلك القوم الذى لم يجتنب الذنوب و أرتكب أسباب الشقاء،لذلك فلما يضلّهم،يضلّهم بعلم سبحانه.

[۱۱۶]كذلك يجب الاّ ينتمى الإنسان الى قرابته بل الى اللّه،فلا يستغفر للمشركين من أقاربه،لأن اللّه له ملك السموات و الأرض و أسره الفرد لا تغنى شيئا عن اللّه.

إِنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱۱۷ الی ۱۱۸]

اشاره

لَقَدْ تابَ اَللّٰهُ عَلَی اَلنَّبِیِّ وَ اَلْمُهاجِرِینَ وَ اَلْأَنْصارِ اَلَّذِینَ اِتَّبَعُوهُ فِی ساعَهِ اَلْعُسْرَهِ مِنْ بَعْدِ ما کادَ یَزِیغُ قُلُوبُ فَرِیقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱۱۷) وَ عَلَی اَلثَّلاثَهِ اَلَّذِینَ خُلِّفُوا حَتّٰی إِذا ضاقَتْ عَلَیْهِمُ اَلْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَیْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اَللّٰهِ إِلاّٰ إِلَیْهِ ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ لِیَتُوبُوا إِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلتَّوّابُ اَلرَّحِیمُ (۱۱۸)

ص:۲۹۲

الطاعه فی ساعه العسره

هدی من الآیات:

ان اللّه تعالی یغفر الذنوب التی ارتکبها البشر تحت ضغط الظروف الصعبه مثل ساعه العسره التی مرّ بها أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله و کادت قلوبهم تصاب بالزیغ و الانحراف بل الضلال،فغفر اللّه لهم لأنه رؤف رحیم بهم،و یعرف مدی ضعفهم،کما غفر اللّه لأولئک الذین تخلّفوا عن المعرکه ثم تابوا الی اللّه و عرفوا ألاّ ملجأ من اللّه الا الیه،فآنئذ تاب اللّه علیهم،لیعودوا الیه و الی مناهجه السماویه.

و هکذا یأتی هذا الدرس مکملا لآیات الدرس السابق التی تبیّن لنا أن الاستغفار انما هو قبل بلوغ الذنب مستوی الشرک باللّه،فاذا بلغه فان اللّه لا یغفره أبدا،أما قبلئذ فان اللّه سبحانه یغفر بعض الذنوب.

بینات من الآیات:

الشفاعه متی و لماذا؟

[۱۱۷]نعود-مره اخری-الی الشفاعه،و متی و کیف یشفع الرسول فی أمته؟

ص:۲۹۳

لنؤكد على حقيقتين:

الاولى:ان الشفاعه من عمل الإنسان و سعيه،و ليست من تمنياته و أحلامه.

الثانيه:ان الهدف من الشفاعه تعميق الصله بين الرسول صلى الله عليه و آله و قومه، و نستوحى من الآيه التاليه كلتا الفكرتين:و لكن كيف؟ دعنا نتدّبر فى الآيه الكريمه:

لَقَدْ تٰابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهٰاجِرِينَ وَ الْأَنْصٰارِ توبه اللّه على النبى تعنى المزيد من بركاته عليه،و لكن بالنسبه الى المهاجرين و الأنصار قد تعنى أيضا غفران ذنوبهم و لكن بماذا و كيف غفرت ذنوبهم؟بأنهم أتبعوا الرسول فى ساعات الشده،و لأن ذلك كان عملا كبيرا و اللّه سبحانه يغفر بسبب الحسنات الكبيره الذنوب الصغيره لذلك أكّدت الآيه على هذه الحقيقه.

اَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سٰاعَةِ الْعُسْرَةِ فالصبر فى ساعه العسره عمل عظيم يغفر اللّه تعالى بسببه سائر الأعمال الصغيره،و لكن أهم نقطه هى اتباع الرسول،و عدم الخلاف معه،و عدم الاسترسال مع حاله الزيغ،الذى يصيب البشر فى مثل هذه الحالات الصعبه.

مِنْ بَعْدِ مٰا كٰادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ و زيغ القلب هو انحرافه عن الايمان باللّه و الرسول،و إذا اتبع المؤمن قيادته و لم يتشكك فيها بسبب الظروف الصعبه فان ذلك يشفع له ذنوبه،لأن الرسول أو الولى الذى يمثل القياده سوف يشفع له عند اللّه،و يصلى له و يستغفر له،و بهذا نعرف فلسفه الشفاعه فهى سبب لتمتين الارتباط بالرسول صلى الله عليه و آله أو بالقياده السليمه.

ص:۲۹۴

ثُمَّ تٰابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ

حين تضيق بنا الحياه!

[۱۱۸]و هناك حاله مفرده غفرها اللّه سبحانه و هی:أن ثلاثه من أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله تخلّفوا عن الجهاد فغضب اللّه علیهم و أمر الرسول الاّ یکلمهم المسلمون،فشعروا بضیق کبیر حتی ضاقت علیهم الأرض بالرغم من سعتها و رحبها.

وَ عَلَى الثَّلاٰثَهِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتّٰى إِذٰا ضٰاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمٰا رَحُبَتْ وَ ضٰاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ضیق الأرض بسبب مقاطعه المجتمع لهم،و ضیق أنفسهم بسبب شعورهم بالذنب،لذلک توجهوا الی اللّه.

وَ ظَنُّوا أَنْ لاٰ مَلْجَأَ مِنَ اللّٰهِ إِلاّٰ إِلَيْهِ ای تصوروا هـذه الحقیقه ماثله أمامهم کأنهم یرونها بالرغم من ایمانهم المسبق بهذه الحقیقه و هی أن الکهف الحقیقی لا یوائهم فی زحمه المشاکل هو حصن اللّه الحصین.

ثُمَّ تٰابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ

[سوره التوبه (۹): الآيات ۱۱۹ الی ۱۲۲]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ (۱۱۹) مٰا كٰانَ لِأَهْلِ اَلْمَدِينَهِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ اَلْأَعْرٰابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اَللّٰهِ وَ لاٰ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاٰ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لاٰ نَصَبٌ وَ لاٰ مَخْمَصَهٌ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ لاٰ يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ اَلْكُفّٰارَ وَ لاٰ يَنٰالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاّٰ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صٰالِحٌ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِينَ (۱۲۰) وَ لاٰ يُنْفِقُونَ نَفَقَهً صَغِيرَهً وَ لاٰ كَبِيرَهً وَ لاٰ يَقْطَعُونَ وٰادِياً إِلاّٰ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اَللّٰهُ أَحْسَنَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۱) وَ مٰا كٰانَ اَلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّهً فَلَوْ لاٰ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طٰائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي اَلدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذٰا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (۱۲۲)

اللغه

۱۲۰[مخمصه]:المخمصه المجاعه و أصله ضمور البطن للمجاعه يقال للرجل خميص البطن.

[يغيظ]:الغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغيظه.

[نيلا]:النيل الأمر و نيلا:أمرا.

۱۲۵[رجسا]:الرجس هی النجاسه..و انما سموا بذلك لأنّ الكفر و النفاق كالنجاسه.

ص:۲۹۶

خطوات المجاهدين عمل صالح

هدى من الآيات:

من أجل تحريض المؤمنين على الجهاد فى سبيل اللّه،أكدّ القرآن الحكيم على ضروره التقوى و الانسجام مع المؤمنين الصادقين،و فى طليعتهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله الذى لا ينبغى التخلّف عنه أو تفضيل حياتهم و راحتهم على حياته و راحته لأنه لا يصيب أحدا من الاعراب أو من أهل المدينه شيء من الأذى الاّ كتب له بقدره عمل صالح يجازى به سواء كان ذلك الأذى عطشا أو تعبا أو مجاعه،و لا يعملون عملا الاّ سجّل بحسابهم سواء كان صغيرا أو كبيرا،و مقياس العمل هو التحرك فى سبيل اللّه،أو مقاومه أعدائه،و إِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

كما أن أيه نقطه صغيره أو كبيره محسوبه عند اللّه،و كذلك قطع المسافات هو الآخر محسوب بقدر الجهد و العناء الذى يصيبهم بذلك،و اللّه سبحانه سوف يجازيهم خيرا عليه.

و على المؤمنين المنتشرين فى أقطار الأرض أن تختار كل فرقه منهم طائفه لينفروا

الی(المدینه)مرکز القیاده الاسلامیه لکی یکونوا قریبین من الأحداث،و یعرفوا تعالیم الدین،و یتعمّقوا فی فهم الرساله لیقوموا بعد عودتهم بواجب الإنذار لقومهم بهدف تزکیه و تعلیم قومهم،و اعادتهم الی الصراط المستقیم.

بینات من الآیات:

واجبات و أولویات المؤمن

[۱۱۹]ثلاث واجبات متکامله ینبغی أن یعقد المسلم عزمه علی تحقیقها:

أولا:الایمان المستقر فی قلبه.

ثانیا:التقوی و تنفیذ سائر الواجبات الاسلامیه.

ثالثا:أن یکون مع الصادقین و هم التجمع الرسالی.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ کُونُوا مَعَ الصّٰادِقِینَ و أیّ واحد من هذه الواجبات الثلاث لا یکتمل من دون سائر الواجبات، و بالذات الانتماء الی تجمع الصادقین،و التفاعل معهم ثقافیا و اجتماعیا و اقتصادیا،و مشارکتهم الهموم و الآمال.ذلک لأن هذا التجمع حصن الایمان و التقوی و لأن ضغط الحیاه و تحدیاتها کبیره و لا یستطیع المؤمن أن یواجهها وحده.

صفات المجتمع الرسالی:

[۱۲۰]المجتمع المستقر الراکد لیس مجتمعا رسالیا و لا مسلما لأن الإسلام الحقیقی هو الاهتمام بشؤون الآخرین،و الدفاع عن حقوق المستضعفین الی درجه الجهاد من أجلهم،و المجتمع الاسلامی لا یجمد فی حدود اقلیمیه ضیّقه،و لا یقول بناء الوطن أولا،ثم الانطلاق لاصلاح الآخرین لأنه لا وطن للفضیله و الخیر،و لا

حدود للعداله و الرفاه.

و هكـذا كـان الرسول صـلى الله عليه و آله نـذيرا للعـالمين،و هكـذا كان يجب على أهل المـدينه و هم أبناء المجتمع الاسـلامى الأول،أن يتّبعوا الرسول فى حمل رسالته بلاغا و تنفيذا، قولا و عملا.

مٰا كٰانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَهِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرٰابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ فيقعـدوا فى بلـدهم و يطبّقوا الإسـلام و يقولوا علينا بإصلاح بلدنا وحده.كلاّ..

كان عليهم أن يسيروا فى الأرض كما كان يسير رسول اللّه صـلى الله عليه و آله ،و يحملوا على أكتافهم مشـعل الرساله الى كل مكان.أو كانت نفوسـهم أعز من نفس رسول اللّه صـلى الله عليه و آله ،من يـدعوا نفس رسول اللّه تتعرّض للمصاعب و الأخطار بينما نفوسهم آمنه فى المدينه؟ وَ لاٰ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاٰ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لاٰ نَصَبٌ وَ لاٰ مَخْمَصَهٌ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ و بالتالى لا يصيبهم مكروه الاّ و هو مسجل عند اللّه تعالى و يوفيهم جزاءهم كاملا.

وَ لاٰ يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفّٰارَ فسواء بقوا أو اتبعوا العدو تضرّروا أو أضرّوا بالمخالفين.

وَ لاٰ يَنٰالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاّٰ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صٰالِحٌ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فهناك مقياسان للعمل الـذى يجازيه ربنا الرحيم به:

ص:٣٠٠

المقياس الاول:أن تحسب مقدار عنائك و تعبك.

المقياس الثانی:أن تقیس مقدار تجسّد عملک فی الخارج و بالذات أثره فی عدوّک،فان اللّه سبحانه حسب هذا المقياس أو ذاک سوف یجزیک دون أن یضیع عنک أجرا.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ :

[۱۲۱]کذلک اللّه یحسب حساب نفقاتک و حتی خطواتک.

وَ لاٰ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً وَ لاٰ يَقْطَعُونَ وٰادِياً إِلاّٰ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ فالجزاء دقیق و أفضل من العمل،و لذلک لا تنظر الی عملک نظره مطلقه و عامه، بل انظر الی کل جزء من عملک،و اعلم بأن لکل جزء جزاء.مثلا:اعلم بأن کل تسبیحه تعنی شجره فی الجنه فاشتل أکبر عدد ممکن من الأشجار فی الجنان بأکبر قدر ممکن من التسبیح،و اعلم بأنّ کل خطوه تجازی بغرفه فابن لک غرفا أکثر بخطوات أکثر تخطوها للعمل الاسلامی.

الامه الاسلامیه و واجب الطلیعه:

[۱۲۲]المجتمع الاسلامی مجتمع رسالی متحفز أبدا الی الامام، و هو لذلک بحاجه الی طلیعه رائده همّها الوحید التفقه فی الدین و التعمق فی رسالته السماویه فهما و تطبیقا.و تکون هذه الطلیعه شاهده فی الأحداث و قریبه من القیاده،بینما یبقی الآخرون فی أرضهم یقومون بأعمالهم العادیه.

وَ مٰا كٰانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً

فيجتمعوا جميعا حول الرسول فی المدينه أو يخرجوا معه الی الغزوات.

فَلَوْ لاٰ نَفَرَ مِنْ کُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طٰائِفَةٌ ای نفر من کل فريق و مجموعه متماسکه بعض ليقوموا بالواجب نيابه عن الآخرين،فمثلا من کل عشيره،و من کل منطقه بعض أهل العشيره،و أهل المنطقه ليکون أقرب الی واقعهم و أعرف بمشاکلهم.

لِيَتَفَقَّهُوا فِی الدِّينِ أی ليعرفوا الدين أعمق و أفضل،أما وظيفه هؤلاء بعد التفقّه فی الدين فليس الجلوس و اجترار الحسرات بل الإنذار.

وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذٰا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

صفات الفقهاء:

الفقهاء فی الإسلام يتصفون بثلاث صفات:

أولا:انهم ليسوا من طبقه أو عرق معين بل من صميم کل المجتمعات.

ثانيا:انهم يتعلّمون الفقه داخل ساحه العمل الرسالی و ليس فی زوايا المساجد أو المدارس،بل أنهم ينفرون مع الرسول أو مع القياده الرساليه،و يتعلمون الدين عبر الصراع القائم بين الجاهليه و الإسلام.

ثالثا:انهم سوف لا يجمدون بعد التفقه ليأتی إليهم الناس،بل ينطلقون الی مواقع قومهم و يقومون بواجب الإنذار.

و الإنذار بهدف إيجاد روح الحذر و التقوی عند الناس لذلک يجب الاّ يقتصر

الإنذار على مجرّد إسقاط الواجب الشرعى،بل يستمر الى تحقيق هدفه و هو تربيه روح الحذر فى الناس.

[سوره التوبه (۹): الآيات ۱۲۳ الى ۱۲۷]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا اَلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ اَلْكُفّٰارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُتَّقِينَ (۱۲۳) وَ إِذٰا مٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زٰادَتْهُ هٰذِهِ إِيمٰاناً فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا فَزٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۱۲۴) وَ أَمَّا اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كٰافِرُونَ (۱۲۵) أَ وَ لاٰ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عٰامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاٰ يَتُوبُونَ وَ لاٰ هُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۲۶) وَ إِذٰا مٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرٰاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ اِنْصَرَفُوا صَرَفَ اَللّٰهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ (۱۲۷)

ص:۳۰۴

موقف المنافقين من القرآن

هدى من الآيات:

و فی نهایات سوره التوبه المخصصه لبیان جوانب من شرائع الجهاد الاسلامی یبلغنا السیاق الحکیم ضروره البدء بقتال العدو الأقرب إلینا بشده و غلظه.مع المحافظه علی حدود اللّه،و اتقاء تجاوزها حتی یکون اللّه معنا.

کما یبلغنا عن نفسیه المنافقین و موقفهم السلبی تجاه الآیات القرآنیه زاعمین انها لا تنفع شیئا و یتساءلون بسخریه و ربما بغباء أی واحد من المؤمنین زادته هذه الآیه ایمانا و یجیب القرآن:بأن المؤمنین استفادوا زیاده فی الایمان و وجدوا فی الآیات نعمه یبشّر بعضهم بها بعضا،بینما الکفّار و المنافقون توغّلوا فی العناد حیث أصرّوا علی موقفهم السلبی،فازدادوا رجسا بسبب کفرهم الجدید الذی استمر معهم الی النهایه.

و کما لا ینتفع المنافقون بالآیات القرآنیه النازله وحیا،کذلک لا ینتفعون بالآیات الکونیه کالکوارث و المصائب التی عاده تنزل علیهم کل سنه،أما مره أو

ص:۳۰۵

مرتين و مع ذلک لا یتوبون الی اللّه و لا یتذکرون.

و هکذا موقفهم من الآیات إذا أنزلت آیه أخذ بعضهم ینظر الی بعض مشیرا الی عدم فهمه لمحتوی الآیه،ثم یلتفتون الی من حولهم خشیه أن یراهم المؤمنون فیکتشفون موقفهم السلبی من الآیه،ثم ینصرفون و یذهبون،و سبق أن أبعد اللّه تعالی قلوبهم عن الایمان بسبب جهلهم و عدم فهمهم.

بینات من الآیات:

قرار الحرب لأقرب الأعداء:

[۱۲۳]حینما تکون الأمه مستقله فی قرار الحرب و السلم،و غیر متأثره بالأعلام المضلل الذی یقوم به الأعداء فانها تبدأ بقتال أقرب أعدائها خطرا علیها کما أمر اللّه،ثم إذا تفرّغت منه توجه عداءها ضد العدو البعید،کما أمر اللّه فی هذه الآیه و قال:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قٰاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفّٰارِ وَ لْیَجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَهً و مثل هذه الأمه لا تلین بسبب الاحساس بالخطر،بل تتصلب أکثر فأکثر ضد مصدر الخطر القریب لأنها أمه مستقله تعتز بکرامتها و أصالتها،و لا تساوم علی کرامتها أحدا.

و اللّه تعالی یعد المؤمنین إذا کانوا کذلک،و إذا احترموا حدوده فلم یدفعهم الی القتال غرور أو طمع،و بالتالی إذا اتّقوا یعدهم أن یکون معهم.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ اما الامه المهزومه نفسیا،و التابعه لتهدید الآخرین و إعلامهم فانها تعادی أبدا

العدو الضعيف و البعيد الذى لا تحس منه الأمه بخطر مباشر عليها.

فالمسلمون حين كانوا أقوياء ناطحوا الروم الذى أحسّوا بخطرهم المباشر، و خاضوا معركه تبوك و مؤته،و لم يستسلموا للروم ليحاربوا معهم الفرس،و لم يقولوا:

ان الروم أقرب إلينا دينا لأنهم نصارى و الفرس مجوس،و لكن اليوم حيث يشعر المسلمون أولا- أقل بعض الأنظمه الحاكمه عليهم بالضعف فإنهم يستسلمون للعدو الأقرب و الأخطر و يتحالفون معه ضد العدو الأبعد و الأقل خطرا،فترى البلاد القريبه من الشرق تحارب الغرب بينما تتحالف مع العدو المجاور لها،كما فعل نظام أفغانستان سابقا خضع لضغوط الروس،و زعم بأن عدوه الأصيل هو أمريكا لا- العدو القابع على بعد أمتار من أراضيه،و انتهى بهذا العدو الى التحرك و القيام بانقلاب عسكرى،ثم التدخل العسكرى المباشر.و مثلما يفعل اليوم النظام المصرى حيث يتحالف مع النظام الاسرائيلى و يوجه أنظار شعبه الى خطر ليبيا الضعيف.أو مثلما تفعله بعض الحركات الاسلاميه تهادن النظام الغربى المتسلط على رقاب شعوبهم المستضعفه و تختلق الصراع مع الشيوعيه،و هكذا تتحالف مع العدو النازل فى بيتها لتحارب السرّاق الأجانب الذين لا يعرف هل يأتون.أم هم مجرّد بعبع يخوف به السارق الفعلى ضحاياه؟ و هذا الضعف هو الذى خلق جيوب النفاق داخل الأمه الاسلاميه،فقد حاولت الأنظمه الطاغوتيه أبدا أن تختلق أعداء وهميين،و تغذى بعض ضعفاء النفوس بالحقد عليهم.يتّخذ منهم أدوات طيّعه لتحقيق تسلطهم السافر على الناس مثلما فعل نظام شاه إيران السابق مع جيشه الذى ربّاه لمعاداه الشيوعيه،و مثلما يفعل اليوم نظام أفغانستان بجيشه المرتزق الذى يحاول اقناعه بأن العدو رقم واحد لأفغانستان هو (أمريكا)لا المعتدى الروسى.

موقفنا و موقفهم:

[۱۲۴]و المنافقون أبدا يشكّكون بقيمه الآيات القرآنيه،و لا يعرفون مدى انتفاع المؤمنين بها.

وَ إِذٰا مٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زٰادَتْهُ هٰذِهِ إِيمٰاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ و هكذا كان موقف المنافقين سلبيّا أمام السور القرآنيه بسبب جهلهم بالحاجه الماسه إليها،بينما المؤمنون فقد كانوا يشعرون بالحاجه لذلك كانوا يستبشرون كلما نزلت عليهم سوره و يتدبّرون فيها و بذلك يزدادون ايمانا فوق ايمانهم.

متى يكون الهدى سببا فى الضلال؟

[۱۲۵]و لأن المنافقين كانوا يكفرون بالسور الجديده،فان ذلك الكفر كان يكرس العناد فى ذواتهم و يزيدهم رجسا الى رجسهم.

وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كٰافِرُونَ قلب البشر مزوّد بجهاز رؤيه يحدد مساره فى شؤون الحياه،فاذا وجد هذا الجهاز عقبه اجتماعيه نبّه القلب الى ضروره التحدى.و إذا واجه أزمه ذكّر القلب بضروره مضاعفه السعى،و إذا أنذر حذّر و إذا بشّر اندفع و هكذا..فاذا أصيب القلب بمرض و تعطّب الجهاز فان النتائج سوف تكون عكسيه و خطيره.فمثلا-حين يواجه عقبه ليس لا-يتنبّه القلب الى وجودها فقط بل و أيضا يقول انها طريق معبّد،و إذا وجد أزمه يحسبها رفاها و يحتسب المشكله رفاها و هكذا.

و هكذا تكون كل ظاهره خارجيه مفيده لصاحب القلب السليم.بينما تكون

مضرّه بالنسبه الى القلب المريض،و هكذا الكلمه الحق بالنسبه الى القلب السليم هدى و موعظه.بينما هى بالذات تتحول بالنسبه الى القلب المريض ضلاله و رجسا.

كيف؟ لنضرب مثلا:انک تنصح أخاك و تقول له:اقرأ كتاب نهج البلاغه،و هو بدوره يرى فيك الأخ الناصح و يتقبّل نصيحتك و لكن إذا قلت ذات الكلمه لعدوك فلأنه مصاب بعقده تجاهك يفسر كل كلمه منک على أنها أسلوب تستخدمه لتحطيمه.فانه سوف يترك قراءه نهج البلاغه لو كان يقرؤه سابقا،و كذلك لو ألقيت هذه الكلمه الناصحه على شخص متكبر مغرور بنفسه فلا يكون رد فعله سوى الاستياء منک و من الكتاب الذى تأمره بمطالعته، و هكذا كانت بعض القبائل من قريش الذين كانوا يعتبرون بنى هاشم منافسا تاريخيا لهم،كانت مواقفهم من الرساله نابعه من هذه العقده.فعارضوا الرساله،و ازدادوا معارضه لأفكارها و توجيهاتها الحقه لمجرد أنها تجلّت فى بيت بنى هاشم.

التفسير الخاطئ للاحداث و سببه:

[۱۲۶]و كما موقف القلب المريض من الكلمه الحق،موقف عكسى مضر كذلك موقف الإنسان ذى الرؤيه الفاسده من الظاهره الخارجيه،فبدل أن يفسّرها تفسيرا مناسبا تراه يفسّرها معكوسه و يعمل حسب ذلك التفسير.فاذا وجد تخلّفا فى حياته الاجتماعيه فسّره على أنه نتيجه تمسّكه بالتقاليد الأصيله فتركها و ازداد تخلّفا.

بينما كان عليه أن يفسّرها على أنها نتيجه تبعيّته للآخرين و تكاسله عن العمل.

و هكذا الفتنه التى هى ظاهره صعبه فى الحياه الاجتماعيه مثلا:الفقر و المرض و الحرب و المجاعه،كل ذلك أشارات خطر تدل على سلوك فاسد لذلك الإنسان، و لكنها بالنسبه الى المنافقين ذوى القلوب المريضه و الرؤوس الفاسده،ليست نافعه

أبدا.لأنهم يفسّرونها تفسيرا شاذا.

أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِی کُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّکَّرُونَ فلا هم يعودون من الأعمال السيئه التی تسبّبت فی تلک المشاکل و لا هم يتعمقون فی فهم الحياه بسبب تلک المشاکل.

و يبدو من هذه الآيه ان المجتمعات تصاب عاده بفتن و مشاکل عامه.بين فتره و أخری و ان عليها أن تعتبر منها و تدرسها دراسه معمّقه.

[۱۲۷]و کان موقف المنافقين من سور القرآن الحکيم الجديده ليس الملاحظه النظيفه و الدراسه السليمه من العقد،بل تجاهلها و العوده الی عصبياتهم و أفکارهم الجاهليه و تقييم السور الجديده علی أساسها.

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ هَلْ يَراکُمْ مِنْ أَحَدٍ ربما کان ينظر بعضهم الی بعض ليری کل واحد موقف رفاقه من السوره دون أن يکون لديه ثقه بعقله هو و الاستفاده منه فی دراسه السوره.

ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ لا يفقهون أن فوائد السوره لهم إذا نظروا إليها بتجرّد و دون اتخاذها وسيله لنفاقهم،و الانصراف عنها الی قيمهم الفاسده.

ص:۳۱۰

[سوره التوبه (۹): الآیات ۱۲۸ الی ۱۲۹]

اشاره

لَقَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۲۸) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظِيمِ (۱۲۹)

ص:۳۱۱

صفات الرسول صلی الله علیه و آله

هدی من الآیات:

فی الآیتین الأخیرتین لسوره التوبه یذکرّنا السیاق بأن الرسول قادم من صمیم قومه الذین أرسل إلیهم فهو من أنفسهم،و أنه یتأثر و یحزن إذا وجد مکروها یصیب قومه،و أنه یحرص علی سلامتهم،و أنه رؤف رحیم بالمؤمنین.

و لکن لا یعنی ذلک أن الرسول صلی الله علیه و آله یعتمد علی قومه و یتأثر بسلبیاتهم.کلا..

بل یصمد أمامها اعتمادا علی اللّه تعالی فان تولوا فان حسبه اللّه یتوکل علیه، وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ .

بینات من الآیات:

سیره الرسول صلی الله علیه و آله :

[۱۲۸]المواقف الخاطئه للمنافقین من الرساله ربما کانت بسبب سوء فهمهم لواقع الرسول صلی الله علیه و آله و أنه جاء منقذا لهم من الآلام التی یعانون منها.

ص:۳۱۲

لَقَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ فهو يتحسس بالعناء الذى يعيشونه و يحزن لهم و يسعى من أجل تخفيف الألم عنهم.

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يحرص على راحتهم،و يسعى من أجل حصولهم على الراحه.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ يوفر لهم أسباب الخير و الرفاه،و يغض عن نواقصهم،و الأذى الذى يصيبه منهم.

لو لم يؤمنوا برسالته؟

[۱۲۹]و لكن رحمه الرسول صلى الله عليه و آله ليست بعاطفه قوميه أو اقليميه بل لأنه رسول اللّه،و اللّه يأمره بذلك،لذلك لا يوقفه تولّيهم عن متابعه مسيرته.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ و لأنه رب العرش فهو الذى يدبّر.شؤون العباد و عرشه عظيم،فهو أكبر من سلطان ذوى السلطان.

سوره یونس

اشاره

ص:۳۱۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أحاديث فى فضل السوره:

عن النبى محمد صلى الله عليه و آله :

«قال من قرأها أعطى عشر حسنات بعدد من صدق بيونس و كذب به و بعدد من غرق مع فرعون» (مجمع البيان-ص-۸۷ ج ۵)

و عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأها فى كل شهرين أو ثلاثه لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين و كان يوم القيامه من المقربين» (مجمع البيان-ص ۸۷-ج ۶-۵)

ص:۳۱۷

الإطار العام

لكي يتحدى الإنسان ضغوط الطبيعه،و إرهاب الطغاه،كما فعل شيخ المرسلين نوح عليه السلام،و كما امر موسى قومه بان يفعلوا.فلا بد ان يؤمن باللّه و بسلطانه على خلقه و تدبيره له،و يؤمن بان جزاءه حق،و انه يعاقب الكافرين بيوم الجزاء كما يثيب الصالحين بأفضل الجزاء.

و متى يعى البشر حقيقته و انه عبد اللّه،و انه لا اله الا اللّه؟ يعى ذلك عند الضراء،حين تتساقط حجب الغفله و الشرك و تتجلى قدره اللّه سبحانه.

و تتأكد الذكرى بهذه الحقيقيه فى سوره يونس ثلاث مرات،و تتناسب مع قصه قوم يونس حيث سمّى القرآن السوره باسمه،لأنه قد رفع اللّه عنه العذاب بعد ان أحاط بهم.

ص:۳۱۹

نقرأ فی آی السوره،عن جدل الکفار حول القرآن،و کیف یفنده الذکر،و لعلّ ذلک،کجزء من التحدی الذی أمر به القرآن فی هذه السوره(۱۷/۱۵).

و لکی یتم عند النفس حاله التحدی فی مواجهه الطغاه و القوی الطبیعیه،لا بد ان یستهین المؤمن بالشرکاء،الذین لا یضرون و لا ینفعون(۱۸)و تأخیر العذاب عنهم لیس الا لکلمه سبقت من الرّب(۱۹)و الغیب عند اللّه(۲۰)و اللّه أسرع مکرا و رسله یکتبون ما یمکر المجرمون(۲۱).

و بعد ان یذکر القرآن الناس مره اخری بحالتهم عند إماطه الخطر،و کیف انهم ینسون المشرکین(۲۳/۲۲)یضرب مثل الحیاه الدنیا،و المثل مقتبس من دوره حیاتیه،یمیز بها النیات(۲۴)و السلام عند اللّه،و هو الذی یهدی الی الصراط المستقیم(۲۵)و سلام اللّه انما هو للذین أحسنوا،اما المجرمون فلهم النار(۲۷/۲۶).

و هکذا یأمرنا بالکفر بالشرکاء،لأنهم یتبرءون من اتباعهم،و عند اللّه الجزاء (۳۰/۲۸)و یستمر السیاق القرآنی فی بیان حقیقه الشرکاء و انهم تافهون و ان اتباعهم لیس الا اتباعا للظن(۳۶) و یعود الی بیان:ان القرآن لا-ریب فیه و ان جهلهم به هو الذی دعاهم الی التکذیب به(۴۰)و یأمرنا بتحدی المشرکین و البراءه منهم و یبین ضلاله الذین یکفرون بالقرآن،و انهم هم عمی و ان عماهم و صممهم منهم لان اللّه لا یظلمهم (۴۴).

ثم یعود و یبین ان اللّه هو الذی یملک الضر و النفع فلا-بد ان نتوکل علیه،و نترک الشرکاء(۵۲)و یؤکد أن القرآن و ما فیه حق،و ان الجزاء واقع،و ان وعد اللّه حق، و ان اللّه یحی و یمیت و ان القرآن موعظه و شفاء(۵۸).

کل ذلک یثبت فؤاد المؤمنین تمهیدا للبراءه من الشرکاء.

و يبين القرآن ان التشريع انما هو للّه وحده و ليس للشركاء،و ينذر الذين يفترون على اللّه الكذب و أن اللّه شاهد على كل كلام،و أنه مسجل عنده صغيرا و كبيرا(۶۱).

و أولياء اللّه لا خوف عليهم(بعكس أولياء الشركاء)و ان لهم البشرى،و ان للّه العزه(و ليس للمشركين)و أن له ما فى السماوات و الأرض(و ليس للطغاه)و انه هو الذى جعل الليل ليسكن و النهار مبصرا(و ليس الشركاء)(۶۲/۶۷).

اما قولهم بان اللّه قد ولد(و هو أحد سخافات المشركين)فانه ضلال لان اللّه غنى فلما ذا الولد،و انه ليس الا افتراء لا يفلح صاحبه و ان هدف الافتراء،متاع الدنيا،و هو قليل و نهايه المشركين العذاب الشديد بكفرهم(۷۰).

كل تلك الآيات تمهد لاعلان البراءه من المشركين،كما فعل نوح شيخ المرسلين(عليه السلام)فأغرق اللّه قومه و خسر المشركون(۷۳).

و لعل هذه الآيات(۹۳/۷۰)هى غرر هذه السوره الكريمه،حيث تفصل القول عن تحدى الرسل لطغاه عصرهم و كفار الناس من قومهم و كيف انهم أمروا اتباعهم بالتوكل على اللّه،و بالتالى كيف نصرهم اللّه سبحانه.

ثم بعد بيان قصص الأنبياء عليهم السلام،يأمر اللّه بطرد الشك،فى القرآن، و الابتعاد عن التكذيب بآيات اللّه،و ان الكفار لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم (۹۷)و لكن هل ينفع الايمان ذلك اليوم،لا،انما قريه واحده نفعها ايمانها حين آمنت باللّه،و هى قريه يونس(۹۸).

و لكن هل الايمان من العبد أو من الرب؟ لا ريب ان اللّه لا يكره الناس على الايمان و هكذا على كل نفس تحدى أمواج

الکفر للوصول الی شاطئ الایمان،حیث یأذن من اللّه له بالایمان(١٠٠).

و یعود القرآن لیسفه حاله الانتظار فی النفس بل علی الإنسان أن یبادر للایمان، حتی یکون من الذین ینجیهم اللّه عند العذاب(١٠٣).

و یعلن القرآن علی لسان النبی صلی الله علیه و آله البراءه من الشرکاء،و انه یخلص العبودیه للّه(و بذلک یتحدی المشرکین) (١٠۴).

و یأمره بإقامه وجهه للّه حنیفا و رفض الشرکاء،لأنه سیصبح ظالما لنفسه (١٠۶)و الاعتقاد بأن الذی یرفع الضر هو اللّه و أنه إذا تفضل علی عبده بخیر فلا راد لفضله إلا هو.

و هکذا علی المؤمن أن یتحدی الشرکاء و المشرکین و التمسک بهدی اللّه لأنه آنئذ ینفعه کما أن ضلالته عن القرآن تضره هو و لیس غیره.و أن علی المؤمن اتباع ما یوحی الی الرسول و الصبر حتی یحکم اللّه و هو خیر الحاکمین(١٠٩).

و بهذا نستطیع أن نستفید من سوره یونس روح التوکل علی اللّه،و تحدی الطبیعه،و الطغاه،و مقاومه ضعف النفس أمام المشاکل و الاخطار.

ص:٣٢٢

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۱ الی ۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الر تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْحَكِيمِ (۱) أَ كٰانَ لِلنّٰاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ اَلنّٰاسَ وَ بَشِّرِ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قٰالَ اَلْكٰافِرُونَ إِنَّ هٰذٰا لَسٰاحِرٌ مُبِينٌ (۲)

ص:۳۲۳

لماذا كذّبوا برسل اللّه؟

هدى من الآيات:

تلك آيات القرآن الحكيم،التى ركّبت من ألفاظ و أصوات معروفه كالألف، و اللام،و الراء،و لكنها اتّسمت بالحكمه البالغه،فهى تكشف الحق و تهدى البشر اليه و الناس لا يصدقون بهذه الحقيقه،أن يكون رجل منهم يوحى اليه القرآن، بينما لا عجب فى ذلك خاصه و ان هدف نزول الوحى إنذار الناس جميعا،و تبشير المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند اللّه،فمقامهم عند ربهم ثابت لا يتزلزل،و بالتالى فالله ينصرهم و يجزيهم الحسنى.

و لكن الكافرين قالوا:ان هذا لساحر مبين،فهو ساحر لأنه جاء بشىء غريب لا يقدر عليه الآخرون،و هو واضح الحجه،قوى البيّنه.

و قد لخّصت هاتان الآيتان كثيرا من توجّهات السياق القرآنى فى هذه السوره، و التى سوف يفصلها فيما يلى تفصيلا.

بينات من الآيات:

معنى الحروف القرآنيه المقطعه:

[١] «الر» تلك هى المقاطع الحرفيه التى نجدها فى كثير من سور القرآن، و الرأى الذى ذكرناه عده مرات حولها هو:انها إشاره الى ذات الحروف،و هى بالتالى تشبه كلمه«هذا»و الجمله التاليه هى خبر لها،و هناك تفسيرات أخرى لهذه المقاطع و الله أعلم. (١)

و هذه الأحرف هى آيات و علامات تشير الى مجموعه متكامله و ثابته من العلوم التى تنفع الإنسان فى حياته،فهى آيات الكتاب الثابت و المشتمل على الحكمه.

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ إن كتاب الله ثابت يكشف الحق،فهو متين لا تجد فيه عوجا و لا أمتا،كما لا تجد فيه تناقضا و لا اختلافا فهو محكم الأطراف.

[٢]و مشكله البشر مع القرآن مشكله نفسيه،حيث أنهم لم يرتفعوا الى مستوى الكتاب،بل تراهم يستغربون منه و يقولون:كيف يصبح رجل منّا حاملا لرساله الله العظيم التى تحمل الإنذار و البشاره؟! أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ و لكن بما أن الهدف من القرآن هو إنذار الناس،فلذلك كان من الحكمه أن يكون واحد منهم حاملا للرساله فلما ذا التعجّب و الاستغراب؟!

١- ١) سبق الحديث فى سوره البقره عن مثل هذه الحروف المقطعه/و كذلك فى أوائل كثير من سور القرآن.

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ القدم الصادقه التی وضعت فی مقامها الصحیح و بوعی،ذلک لأن المؤمن یعرف أین یـذهب،و هو حین یسـعی لتحقیق هـدفه هـذا و هو الوصول الی مرضاه الله یبلغه، فقـدمه عند اللّه قدم صادقه،هذا هو محتوی الکتـاب الحکیم،و لکن قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ تفسـیر الکافرین بالرساله لها أنها سـحر،دلیل علی أنهم لم یسـتوعبوا واقعها بسـبب مشـکله فیهم لا مشـکله مستوی الرساله،و الاهتداء الی ما فیها من خیر و منافع و لو أن الإنسان اجتاز حاجزه النفسی لوجد أن الرساله حق لا ریب فیه،و لکن ذلک الحاجز النفسـی یجعله یفتش عن تفسـیرات بعیده لظاهره الرساله،حتی أنه یفسّرها بأنها سحر مبین،و بتعبیر آخر لا یفسّرها بشیء إذ السحر هو کل ظاهره غریبه لا تفسیر لها.

ص:۳۲۶

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۳ الی ۶]

اشاره

إِنَّ رَبَّکُمُ اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ یُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ مٰا مِنْ شَفِیعٍ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِکُمُ اَللّٰهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ (٣) إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً وَعْدَ اَللّٰهِ حَقًّا إِنَّهُ یَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ بِالْقِسْطِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَ عَذٰابٌ أَلِیمٌ بِمٰا کٰانُوا یَکْفُرُونَ (۴) هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ اَلشَّمْسَ ضِیٰاءً وَ اَلْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنٰازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اَلسِّنِینَ وَ اَلْحِسٰابَ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ ذٰلِکَ إِلاّٰ بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ اَلْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۵) إِنَّ فِی اِخْتِلاٰفِ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ (۶)

آيات لقوم يتّقون

هدى من الآيات:

فی الدرس الاول من هذه السوره،و بعد اشاره خاطفه الی السیاق العام لها، یبیّن القرآن الکریم صفه الربوبیه اللازمه علی الخلق،و التی تتجلّی فی خلق السموات و الأرض عبر أیام متتالیه،مما یحتاج الی العنایه الدائمه،ثم استواء ربّنا علی عرش التدبیر و قیامه بتدبیر شؤون الکون،دون أن یکون له منافس قادر علی التدخل فی شؤون مملکته الواسعه الاّ حسب اذنه و بعد السماح له بذلک.

فهذا هو الرب الذی یأمرنا القرآن بعبادته،و تلک أیضا وصیه عقولنا لو نتذکر قلیلا. لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ بِالْقِسْطِ و التقدیر الدقیق،بینما الذین کفروا یجازیهم بشراب حار،و عذاب مؤلم بسبب کفرهم.

و تتجلی مره أخری فی تقدیره الهادف،و أنه کیف جعل من الشمس ضیاء للناس یتوهج،بینما جعل القمر نورا هادئا،و قدره حسب منازله المختلفه بهدف معرفه الحساب،و لیعلم الإنسان عدد الأیام و ینظم حیاته وفقها.کل شیء خلق

بهدف و ضمن خطه حكيمه، و لم يخلق شىء عبثا،و أن القرآن يفصل الحديث، و يوضحه تفصيليا لقوم يعلمون.

و تتجلى مره أخرى فى اختلاف الليل و النهار،و كيف نجد كل شىء فى الليل و النهار وضع موضعه،و لتحقيق هدف خاص به.

بينات من الآيات:

الربوبيه صفه ذاتيه:

[۳]اللّه هو الرب العظيم،و الربوبيه ليست صفه اعتباريه طارئه على ربنا سبحانه،بل هى صفه ذاتيه تتجلى فى الحاجه الدائمه للكون اليه،إنه خلق السماوات و الأرض فى سته أيام،و هكذا أركز فيها الحاجه الماسه الى تقديره و قيمومته،ذلك لأنه أعطاها فى كل يوم شيئا جديدا فى الخلق،و بعدئذ لم يتركها لشأنها،بل استوى على عرش القدره مهيمنا على أمور الحياه،مدبرا لها بلا منازع و لا شريك،الاّ من يأذن له و بقدر القدره المخوله له.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فأمور الخلق بيده المقتدره يدبرها بها،و يخطّط لكل مرحله من مراحلها،و يجرى خطته سبحانه،أما الخلق فهم مخولون للقيام ببعض التدبير فى حدود سماحه لهم بذلك،و لأمد معدود.

فالبشر مثلا قد زوّده الله بالإراده،و سخّر له الأشياء،و خوله بعضا من سلطاته سبحانه،و سمح له بالاستفاده منها،دون أن يفقد هو شيئا من سلطاته الذاتيه.

مٰا مِنْ شَفِيعٍ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ

ص:۳۲۹

فليس له شفيع أو منافس أو منازع لقدرته،بل قد يكون غيره قادر ضمن قدرته و فى مجرى قدرته تعالى،و بعد اذنه سبحانه.

ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ ذلک لأن قليلا من التذکر و العوده الى المقاييس العقليه يکفينا معرفه بأن الرب الحقيقى هو اللّه،و ليست السلطات الجائره التى تفرض نفسها على الشعوب بالقوه.

[۴]و من مظاهر ربوبيته و آياته الواضحه:أن الله سبحانه هو مرجعنا الأخير، و غدا سوف نجد أنفسنا أمامه ليحاسبنا حسابا دقيقا.

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ بِالْقِسْطِ أى بالدقه دون أن ينقصهم من عملهم شيئا.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ

من أهداف الخلق:

[۵]و من آيات تدبير الله للكون،و هيمنته المطلقه عليه،ذلک التقدير الحکيم، الذى نجده فى كل أرجاء العالم الرحيب،ألا تجد الشمس کيف جعلها اللّه سبحانه ضياء؟و ضياؤها بقدر محدد صيفا و شتاء،ضحى و ظهرا،لو زادت اشعاعاتها لاحترقت الأرض،و لو نقصت لتجمدت بردا و ماتت الحياه فيها؟و القمر بدوره يسيل منه ذلک النور الهادىء،و هو يتحول عبر منازل،ابتداء من المحاق، فالهلال ثم البدر،ثم يتناقص حتى يعرف کل واحد من الناس ان الزمن يمر عنه، و أن عليه أن ينظّم أوقاته و يعمل بجد ليوم حاجته،إنک تجد کل يوم يشبه اليوم

ص:۳۳۰

الماضی تقریبا،لأن الشمس هی الشمس کل یوم،أما القمر فیتحول عبر منازل لیهدیک الی التحولات الیومیه التی تحصل فی ذاتک ربما دون أن تشعر بها.

هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِکَ إِلاّ بِالْحَقِّ و لأجل تحقیق هدف محدد.

یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ [۶]و اختلاف اللیل و النهار دلیل آخر علی ربوبیه الله سبحانه،ذلک لأن الاختلاف دلیل الهدفیه و التدبیر.

إِنَّ فِی اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ من مختلف أنواع الخلق مما لا تحصی کثره و تنوعا،و کل واحد منها یحقق هدفا خاصا.

لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ و لأنهم یتّقون اللّه و یخشونه،فان حجب الغفله و الجهاله لا تؤثر علی قلوبهم، فتکتشف هدفیه الحیاه، و ان کل شیء قدّر لهدف محدد سلفا.

العلاقه بین هدفیه الحیاه و التقوی:

ان هدفیه الحیاه التی تتجلی فی النظام المتین فی کل أبعاد الکون،إنها تدعونا الی التقوی لماذا؟و کیف؟

و الی هذه الحقیقه یشیر الامام الصادق(علیه السلام)حین یوضح للمفضّل

بن عمر کیف أن التدبیر فی الکون یدلّنا علی ربنا العزیز فیقول:

(یا مفضل أول العبر و الأدله علی الباری جل قدره تهیئه هذا العالم و تألیف أجزائه،و نظمها علی ما هی علیه،فانک إذا تأمّلت العالم بفکرک و میّزته بعقلک وجدته کالبیت المبنی المعد فیه جمیع ما یحتاج الیه عباده،فالسماء مرفوعه کالسقف،و الأرض ممدوده کالبساط،و النجوم منضوده کالمصابیح،و الجواهر مخزونه کالذخائر،و کل شیء فیها شأنه معد،و الإنسان کالمملّک ذلک البیت و المخوّل جمیع ما فیه،و ضروب النبات مهیّأه لمآربه،و صنوف الحیوان مصروفه فی مصالحه و منافعه،ففی هذا دلاله واضحه علی أن العالم مخلوق بتقدیر و حکمه، و نظام و ملاءمه،و أن الخالق لهو واحد،و هو الذی ألّفه و نظّمه بعضا الی بعض جلّ قدسه،و تعالی جده و کرم وجهه و لا اله غیره تعالی عما یقول الجاحدون و جلّ و عظم عمّا ینتحله الملحدون. (۱)

ذلک لأنک حین تری کل شیء فی الدنیا یحقق هدفا،و یسعی فی سبیل بلوغ غایه محدده،فتتذکّر حقیقه هامه فی ذاتک،هی أنک بدورک خلقت لهدف و من أجل بلوغ غایه،و هذه التذکره تصبح حجر الزاویه فی بناء کیانک الفکری،إذا تتساءل ما هو الهدف؟و کیف أحقّقه؟و ما هی الغایه و کیف الوصول إلیها؟و عبر سلسله من التساؤلات التی تؤدی بک الی التدبّر العمیق فی نفسک،و فی آفاق الکون حولک، تصل الی الهدف الأساسی من خلقک،ذلک هو العروج الی مقامک الأسمی عند الله، و تبحث عن الوسیله التی تساعدک علی الوصول الی مقامک المنشود عند الله،الی مرضاه ربک العزیز المقتدر،فلا تجدها الاّ فی التقوی،لذلک جاء فیما بعد الآیه «إِنَّ فِی اخْتِلاٰفِ اللَّیْلِ وَ النَّهٰارِ... لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ» و جاء فی آیه أخری:

۱- ۱) بح ج ۳ ص ۶۰

«وَ يَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَکَ فَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ» (آل عمران ۱۹۱/) حین نجد کیف یتـدرج المتفکّر فی خلق السـموات و الأرض من معرفه هـدفیّه الخلق،و أنه لم یخلق باطلا،حتی یصل الی التقوی من الله و الحذر من عذابه.

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۷ الی ۱۰]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا وَ رَضُوا بِالْحَیٰاهِ اَلـدُّنْیٰا وَ اِطْمَأَنُّوا بِهٰا وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ آیٰاتِنٰا غٰافِلُونَ (۷) أُولٰئِکَ مَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (۸) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ یَهْدِیهِمْ رَبُّهُمْ بِإِیمٰانِهِمْ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ اَلْأَنْهٰارُ فِی جَنّٰاتِ اَلنَّعِیمِ (۹) دَعْوٰاهُمْ فِیهٰا سُبْحٰانَکَ اَللّٰهُمَّ وَ تَحِیَّتُهُمْ فِیهٰا سَلاٰمٌ وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۱۰)

ص:۳۳۴

هدی من الآیات:

مع هذه الآیات الواضحه المبثوثه فی آفاق الأرض،و التی نبهت إلیها آیات الدرس السابق،لماذا یکفر فریق من الناس؟ باختصار:لأنهم لا یحبون لقاء الله،و رضوا بالحیاه الدنیا،و اطمأنت نفوسهم بما فیها من زخرفه و متع زائله،و زعموا بأنها باقیه لهم أبدا،و لأنهم بالتالی غفلوا عن آیات اللّه التی تدلّهم علی ان للدنیا نهایه،و أنهم خلقوا للبقاء فی عالم آخر.

و ما هی عاقبه هذا الفریق الکافر؟.

أولئک مأواهم النار،ذلک لأن هذه النظره الضیقه الی حیاتهم،تجعلهم یقترفون ذنوبا و یحترفون آثاما تستوجب لهم النار.

بینما الذین آمنوا بالله،و بأن وراء حیاتهم هذه حیاه أخری یهدیهم الله،لذلک عملوا صالحا لحصول مرضاه الله و نعیم الآخره،لذلک تراهم مهتدین لأن الله یجعل

من ایمانهم ضیاء یهدیهم به الی حقائق الأشیاء،و عند الله یجزون بجنات النعیم التی تجری من تحتها الأنهار.

إنهم یزدادون ایمانا باللّه لذلک فدعاؤهم عند الله «سُبْحانَکَ اللّٰهُمَّ» و تحیتهم فیما بینهم«السلام»،فعلاقتهم بالله و هکذا بإخوانهم تزداد متانه،و نفوسهم راضیه مرضیه و لذلک یقولون «الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ» .

بینات من الآیات:

هل ترجو لقاء الله؟

[۷]اللقاء مع الله خالق السموات و الأرض،الرحمن الرحیم،هدف سام یرجی بلوغه لما فیه من مصالح هامه،و لکن بعض الناس لا یرجون لقاء الله،فهم غیر مرتبطین بهدف أسمی فی حیاتهم،لذلک تجدهم یهتمون بعاجل الدنیا،یحسبون ما فیها من لذائذ و متع هی کل شیء.

إِنَّ الَّذِینَ لاٰ یَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا وَ رَضُوا بِالْحَیٰاةِ الدُّنْیٰا بینما هم غافلون عما حولهم من آیات بیّنات،تدل علی أن الإنسان أرفع درجه من سائر الأحیاء،و أنه قادر علی بلوغ مراتب عالیه،لذلک لا یعیشون قلق المؤمنین النفسی الذی یبعثهم الی النشاط من أجل بلوغ تلک المراتب،بل تجدهم یطمئنون بالحیاه الدنیا،یرضون بما فیها من متع و لذات،کالبهیمه السائبه همّها علفها!! وَ اطْمَأَنُّوا بِهٰا وَ الَّذِینَ هُمْ عَنْ آیٰاتِنٰا غٰافِلُونَ و قلیل من التفکر فی آیات الله،یبعث الفرد الی الایمان بأن الدنیا هذه الحلقه الفارغه التی لا تعنی شیئا،انها أتفه من أن تکون هدف البشر،عمل و أکل و نوم،

ص:۳۳۶

ثم تكرار ذات الاسطوانه،أعمل لتأكل،و كل لتنام،و نم لتعمل غدا..و هكذا!! [۸]لأن هؤلاء الناس اطمأنوا بالدنيا،فأن الدنيا سلّمتهم الى النار،لأن الذى يحسب الدنيا نهايه مطافه،يجترح السيئات و يكتسب شرا،و ذلك الشر يتحول فى القيامه الى عذاب اليم.

أُولٰئِکَ مَأْوٰاهُمُ النّٰارُ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ فاکتسابهم الشر هو الذى سبّب لهم النار،و لكن هذا الكسب كان بسبب سوء عقائدهم..

النموذج المعاكس:

[۹]و فى مقابل هذا الفريق نجد الذين آمنوا بالله و باليوم الآخر،فأصبح ايمانهم هذا سببا لتطلعهم الأسمى نحو مرضاه الله،فكانت حياتهم ذات مغزى و هدف، فلم يأكلوا ليعملوا،ثم ليأكلوا ثم ليعملوا و هكذا بل أكلوا للعمل و عملوا لله،و ليس للأكل المجرد،و هكذا عملوا الصالحات،فلم يعملوا لكى يصلوا الى الشهوات العاجله،بل فقط العمل الصالح ذا النهج السليم الذى لم يضر بهم.

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ إن انتزاع واقع الهدفيه من الحياه،كما فعل الكفار يخرب المعادله فى فهم اهداف الكون،و يحدث الحلقه المفقوده التى تجعل فهمنا لسائر القضايا فهما محدودا، بل ناقصا،بل متناقضا،ما هذه الدنيا و لماذا خلق فيها الشقاء و العذاب؟و لماذا أعطى الجبابره و الطغاه فرصه الاعتداء على الناس و هل الموت تلك النهايه البارده لحراره الحياه؟ و هذا ما يجعلنا نرى ظواهر الكون بعين واحده،و من بعد واحد،و حين يؤمن

الإنسان بـالغيب و بالآخره يجـد تلك الحلقه المفقوده،و يكتشف السـر الخفى، و بالتالى تكتمل عنـده أجزاء المعادله،فيفهم كل شيء لذلك قال ربنا:

يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمٰانِهِمْ هذا فى الدنيا..أما فى الآخره فهم فى جنات.

تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰارُ فِى جَنّٰاتِ النَّعِيمِ

متعه المؤمنين:

[۱۰]كـل مـا فى الجنه بعـد الموت يمكن أن نوجـد منهـا صوره مصـغّره فى الـدنيا قبـل الموت،بـل هو انعكـاس لما فى الـدنيا،و المؤمنون فى الآخره يتمتعون بما يلى:

ألـف:انهم ينزهـون الله عمـا يتصـل بخلـق الله،و كلمـا وجـدوا جمالاـ و قوه و نظامـا نسـبوه الى مصـدره،و هو جمـال الله و قوته و حكمته،و كلما وجدوا ضعفا عرفوا بأن رب الخلق منزه عنه،و لذلك فيمكن أن يرفع بعض النقص عن خلقه مستقبلا، لذلك فهم يتحركون فى سلم التكامل،لذلك تجد الكلمه المفضّله،عندهم هى «سبحان الله»و تلك دعواهم.

دَعْوٰاهُمْ فِيهٰا سُبْحٰانَکَ اللّٰهُمَّ باء:ان علاقتهم ببعضهم علاقه سلميه.

وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهٰا سَلاٰمٌ جيم:و علاقتهم بالأشياء حسنه،فهم أبدا راضون عمّا أنعم الله عليهم.

وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

ص:۳۳۸

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۱۱ الى ۱۴]

اشاره

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اَللّٰهُ لِلنّٰاسِ اَلشَّرَّ اِسْتِعْجٰالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ اَلَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۱) وَ إِذٰا مَسَّ اَلْإِنْسٰانَ اَلضُّرُّ دَعٰانٰا لِجَنْبِهِ أَوْ قٰاعِداً أَوْ قٰائِماً فَلَمّٰا كَشَفْنٰا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنٰا إِلىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا اَلْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمّٰا ظَلَمُوا وَ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ وَ مٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْقَوْمَ اَلْمُجْرِمِينَ (۱۳) ثُمَّ جَعَلْنٰاكُمْ خَلاٰئِفَ فِي اَلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۴)

ص:۳۳۹

هدی من الآیات:

لکی یستفیق البشر من غفوتهم،یذکرهم القرآن الحکیم بما ینتظرهم من العذاب بسبب أعمالهم،الذی لو عجّله الله لهم لما بقوا أحیاء،إذ أن الأعمال السیئه کثیره و عظیمه العقاب،و لکن البشر یطالب أبدا بالجزاء العاجل،دون أن یعرف أن جزاء الخیر خیر و جزاء الشر شر،بید أن الله یؤخر جزاء الشر،لأمها لهم فی طغیانهم.

فطره الإنسان تدعوه الی نسیان کل عاداته و أفکاره و ثقافته الباطله،و العوده الی فطرته النقیه،فاذا مسّ الإنسان الضر،دعا ربه فی أیّه حاله کان،نائما علی جنبیه أو قاعدا أو قائما،و لکن لما کشف الله عنه الضر مشی فی حیاته دون أن یتذکر أن هناک ضرا مسّه،و ذلک بسبب زینه الدنیا فی نفسه، خصوصا فیما أسرف فیه،و تعود علیه.

و الله یستجیب للإنسان الذی یدعو لدفع الضر عنه،الی فتره محدوده،فاذا انقضت مهلته أخذه کما أخذ القرون الماضیه لما ظلموا،و أتم الله حجته علیهم

بإرسال الرسل،و لكن لم يستغلوا فرصه الايمان و كانوا مجرمين.

ثم جعل الله الآخرين مكانهم،لا لأنه ملّكهم ما فى الأرض،بل لمجرد امتحانهم.

بينات من الآيات:

العجله من الشيطان:

[۱۱]لقد فطر البشر على البحث عن الخير العاجل،و إذا قام بعمل حسن انتظر جزاءه فورا،و قليل من الناس أولئك الذين يعملون الآن ليحقّقوا مكاسب فى المستقبل البعيد.

و لكن الحياه ليست بأمانى الأحياء،لذلك تجد الجزاء قد يتأخر سنين عديده، و لو أن ربنا سبحانه خلق الحياه بحيث يجازى العاملين فيها فورا،إذا انتهت فرصه اختبار الإنسان فى هذه الحياه الدنيا.

إن جزاء من يرتكب المعاصى الكبيره أن يهلك هلاكا،فهل ترضى ان يحيط بك جزاء معاصيك فور ما تقوم بها،و دون إعطائك فرصه للمراجعه و الإصلاح؟!كلّا..

و هكذا عليك أن ترضى بهذا الوضع عموما،و هو تأخر الجزاء خيرا كان أو شرا، و ليس من الصحيح أن تطالب بتأخير جزاء الشر،و تستعجل الله فى جزاء الخير، فالحياه واحده،و السنن الحاكمه عليها واحده،فى حقلى الخير و الشر معا.

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ لِلنّٰاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجٰالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ لقد أعطى الله للناس فرصا محدوده،و لهم أن يختاروا خلالها طريقهم،و فى نهايه المطاف سوف يأخذون جزاءهم الأوفى.

فَنَذَرُ الَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ أي يترك الله الذين لا يؤمنون به و باليوم الآخر حيث يلاقون فيه ربهم ليجازيهم بتركهم فاقدى الرؤيه بسبب ظلام الطغيان الذى يحيط بهم.

الطغيان عمى البصيره:

[۱۲]الطغيان يفقد الرؤيه،و الإسراف ينسى النعم و يبطر أصحابها،ان المسرف يزعم أن النعم ملك موروث له،و لذلك فهو لا ينتبه الى حقيقه عبوديته و ضعفه و صغاره الاّ بعد أن يفقد النعم،فتراه يتضرع الى الله حتى يعيدها عليه،فاذا انتهت محنته يعود الى سابق غروره،كل ذلك بسبب الإسراف،و بسبب الأعمال السيئه التى كان يقوم بها بدافع الإسراف،فتطبع بها و أعتاد عليها.

وَ إِذٰا مَسَّ الْإِنْسٰانَ الضُّرُّ دَعٰانٰا لِجَنْبِهِ أَوْ قٰاعِداً أَوْ قٰائِماً اى دعا ربه فى كل الحالات،أو فى مختلف حالاته الصعبه.

فَلَمّٰا كَشَفْنٰا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنٰا إِلىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ فبدل الوقوف للشكر تراه يمشى من دون اعتناء،و كأنه لم يصب أبدا بمصاب و لم يدع دعاء؟! كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ و على الإنسان أن يتحرر من سلبيات النعم التى ينزلها الله له،و من أخطرها حبه لنوع حياته،و استئنافه بنمط معيشته،اللذان قد يدفعانه الى الغرور و الى ارتكاب معاصى كبيره.

الهلاک مصیر المجرمین و سنه الحیاه:

[۱۳]الجزاء یتأخر و قد تطول المسافه بین العمل و الجزاء،بید أن ذلک لا یعنی أبدا أن الجزاء لا یأتی،و علی البشر أن یفهم هذه الحقیقه جیّدا:أن الجزاء حق لا ریب فیه،و أن یذکر نفسه بمصیر الهالکین من قبله،الذین أخذهم الله بشده بعد أن توافرت عوامل هلاکهم و التی تتلخص فی ثلاث فلقد ظلموا،فبعث الله لهم رسلا بالبیّنات فما آمنوا هنا لک أهلکهم الله.

وَ لَقَدْ أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَمّٰا ظَلَمُوا وَ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ وَ مٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا کَذٰلِکَ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِینَ إنها سنّه عامه تختص بالقرون السابقه،فعلینا جمیعا انتظار ذات المصیر إذا أجرمنا.

[۱۴]و بالذات علی المجتمعات أن تدرک هذه الحقیقه الهامه ان وجود نسبه عالیه من الفساد الخلقی أو الاقتصادی أو السیاسی،سوف تقضی علیها قضاء تاما و لو بعد حین،لذلک ینبغی أن ینشط الجمیع من أجل تقلیل هذه النسبه حتی لا تنطبق علیهم صفه القوم المجرمین.لذلک تری القرآن یذکّرنا بأننا خلائف أولئک الهالکین،و تنطبق علینا ذات القوانین الفطریه.

ثُمَّ جَعَلْنٰاکُمْ خَلاٰئِفَ فِی الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ فنحن خلفاء أولئک،و الهدف من إعطاء الفرصه لنا دونهم أن الله یرید أن یبتلینا،فهل نعقل تجاربهم و لا نکرر اخطاءهم أم ماذا؟!

[سوره يونس (١٠): الآيات ١۵ الى ١٧]

اشاره

وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالَ اَلَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنَا اِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذٰا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مٰا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخٰافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١۵) قُلْ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مٰا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لاٰ أَدْرٰاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (١۶) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيٰاتِهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلْمُجْرِمُونَ (١٧)

ص:٣۴۴

الكافر بالآخره لا يفقه بآيات اللّه

هدى من الآيات:

حين يعيش البشر فى حدود لحظته الحاضره،و لا ينظر بعيدا فى مستقبله،و لا يرجو لقاء الله فى الآخره،فسوف يتّخذ من آيات اللّه موقفا خاطئا،حيث تراه حين تتلى عليه آيات الله الواضحه يطالب الرسول بتغيير القرآن،أو تبديل آياته،و كأن الرّسول هو صاحب القرآن،أو كأنّ الحقيقه تتبدّل و تتغيّر حسب أهواءه،و لا يعلم أن الرسول نفسه يخشى ربّه،فلو عصى ربه و لم يبلّغ رسالته،أو لم يطبّقها فيكون جزاؤه عذابا فى يوم القيامه ذلك اليوم العظيم.و من هنا لم تكن الرساله من صنع الرسول،بل لو لم يشأ الله ما تلاها على الناس و لم يعلمهم،و الشاهد على هذه الحقيقه أن الرسول كان يعيش بين أظهرهم فتره طويله و لم يبلّغهم شيئا من الرساله،و الرسول يعرف أن افتراء الرساله على الله جريمه كبيره،و أنه لا يفلح المجرمون،فهو لا يقوم على هذا العمل بدافع الغفله أو التهاون،إذا فرسالته انما هى من الله سبحانه.

بينات من الآيات:

الأيمان طريق المعرفه:

[۱۵]الايمان بالآخره يؤثر بصوره مباشره فى فهم الحقائق،إذ أن الغرور و الاستكبار و دواعى الشهوه و الغضب قد يكون كل أولئك سببا فى نكران الحقيقه، أو عدم الانتباه إليها،و التهاون بشأنها،فاذا آمن البشر باليوم الآخر و عرف ما فيه من أهوال و عذاب أليم،عاد الى رشده و أخذ يفكر فى الحياه بواقعيه لكى ينقذ نفسه من شرور ذلك اليوم.

من هنا تجد الذين لا يؤمنون و لا يرجون لقاء الله،يستهينون بآيات الله الواضحه،و يطالبون الرسول بتغيير القرآن جمله واحده،أو لا أقل تبديل تلك الآيات التى تمس مصالحهم و تخالف ثقافتهم،فالمستكبرون مثلا يطالبون بقرآن يؤيد تسلطهم اللامشروع على المستضعفين،و المسرفون يطالبون بقرآن يبرّر استغلال المحرومين..

و هكذا.

و لكن هل القرآن كتاب الرسول أم كتاب اللّه؟و كيف يغيّر الرسول كتاب ربه،و هو يؤمن بيوم القيامه،ذلك اليوم العظيم الذى يجعل الولدان شيبا؟إن ايمان الرسول بلقاء الله يمنعه من تبديل رساله الله،أو الخضوع لضغوط البشر الهادفه تغيير بنود القرآن.

وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذٰا أَوْ بَدِّلْهُ يبدو أن المعنى غيّره كله أو بعضه.

قُلْ مٰا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسِي

فالكتاب كتاب حق و علم و عقل،و لا يداخله هوى النفس و شهواتها و مصالحها.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخٰافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فالرسول يتبع الوحى و يدعو الناس الى إتباعه،و هو يخشى ما ينبغى أن تخشاه، و هو عذاب يوم القيامه ذا الأهوال.

دلائل إلهيه الرساله:

[۱۶]و لو شاء الله سبحانه لمنع الوحى عن رسوله،فلم يستطع تلاوته على الناس و اعلامهم بما يحتويه،و الشاهد على ذلک أن الرسول بقى فى قومه عمرا طويلا- و زمنا ممتدا،و لكنه لم يبيّن لنا شيئا من ذلك الشلاّل الهادر من الهدى و البينات،و لو كان الكتاب من نفسه و أفكاره و ملاحظاته و تجاربه،إذا لنشره فى كل مناسبه خلال هذ الفتره الطويله.

قُلْ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ كما أن ربنا قادر على توقيف الوحى فلا يقدر الرسول على تلاوته.

وَ لاٰ أَدْرٰاكُمْ بِهِ أى لم أكن أكثركم درايه و علما بالكتاب،بل كنت كأحدكم،أفكارى تشبه أفكار المجتمع الذى أعيش فيه،و الوسط الحضارى الذى ترعرعت فيه،بينما لم تكن هذه الأفكار و تلك البينات و البصائر شبيهه أبدا بما كان فى الجاهليه لا من قريب و لا من بعيد.

ان أعداء الرساله حاولوا ربط أفكارها الجديده بما لدى الفرس و الروم،أو

بالسحر و القوى الغيبيه الأخرى،لأنهم وجدوا تناقضا حادا بينها و بين الأفكار الشائعه فى وسطهم الثقافى،كما أن فريقا من المستشرقين و أدعياء علم التاريخ يحالون ربط بينات القرآن بما كان عند الأحبار و الرهبان من أفكار.

بيد أننا نرى تناقضا واضحا بين هدى و بينات و بصائر القرآن،و بين الثقافه المسيحيه الخليطه بالوثنيه المانويه،أو النيو أفلاطونيه التى كانت شائعه آنئذ فى عالم اليهود و النصارى.

من هنا كان واضحا أن ما جاء على لسان الرسول كان وحيا خارقا للعادات و القوانين السائده،طاهرا نقيا عن مؤثّرات الوسط الاجتماعى أو الثقافى للرسول، و لذلك أكّد القرآن على هذه الحقيقه قائلا:

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ خلال ذلك العمر الذى بلغ الأربعين عاما تبلورت شخصيه الرسول و أفكاره، و كانت بمستوى الوحى الذى بدأ ينزل عليه متتاليا بنسق واحد و بأسلوب مختلف جدا.

ان المهندس يتعلم القراءه و الكتابه ثم يعطى معلومات موجزه عن الرياضيات، و من ثم يتدرج فى تعلم أوّليات الهندسه،و كل يوم يزداد علمه حتى يتخرج من الكليه بصفته مهندسا،لأنه قبلئذ كان يعلم كثيرا من المعلومات الهندسيه،و لكن إذا نام هذا الرجل و استيقظ مهندسا،و كانت معلوماته كلها جديده بالنسبه اليه،أو ليس فى ذلك دليل واضح على ان علمه كان غيبيا؟! [۱۷]و الرسول كان يؤكد على هذه الحقيقه و هى أن نسبه فكره أو رؤيه الى الله جريمه نكراء،و أن جزاءها العاجل هو عدم وصول صاحبها الى هدفه الذى رسمه

لنفسه،و بتعبير أوضح أنه لا يفلح،من هنا لم يكن يقدم على هذه الجريمه،و لم يكن ينسب الوحی الی اللّه لو لم يكن من عنده فعلا.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيٰاتِهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ و عاده ما يكون المفترى على الله كذبا هو ذاته الذى يكذب بآيات الله،لأن البشر ينتمى الى مبدأ معين و ذلك المبدء قد يكون رساليا،و قد يكون جاهليا،فاذا انتمى الى المبدء الجاهلى لا بد أن يبرر انتماءه فيفترى على الله كذبا،ليدعى ان مبدءه حق و ان المبادئ الأخرى باطله.

و كلمه اخيره:ان بعض الناس لا يفترون على الله الكذب بصوره مباشره، و لكنهم يعتبرون نيّات فكرهم و تخرصات أهوائهم هى الحق الذى لا ريب فيه، و هذا بدون شك نوع من الاجرام بحق أنفسهم و بحق الفكر السليم،و هو يؤدى حتما الى الفشل و عدم الفلاح.

ص:٣۴٩

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۱۸ الی ۲۰]

اشاره

وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ یَضُرُّهُمْ وَ لاٰ یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اَللّٰهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اَللّٰهَ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی اَلْأَرْضِ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۱۸) وَ مٰا کٰانَ اَلنّٰاسُ إِلاّٰ أُمَّةً وٰاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لاٰ کَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ فِیمٰا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۱۹) وَ یَقُولُونَ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا اَلْغَیْبُ لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ اَلْمُنْتَظِرِینَ (۲۰)

ص:۳۵۰

وحدانیه الله سبحانه

هدی من الآیات:

عـدم الایمان بالآخره یجعل البشـر یتخبّط فی مواقفه،فتاره لا یؤمن بالرساله کما رأینا فی الـدرس السابق،و تاره یتخذ من دون الله شفعاء یزعم بأنهم شرکاء لله فی سلطانه،و لا یفقه هذه الحقیقه البسیطه و هی أن مقام الألوهیه لا یحتمل التعدد،فهو أرفع و أقدس من أن ینازعه شیء،و أن الله لا یعلم لنفسه شریکا فی عرض السموات و الأرض،و أن هذه العباده المزدوجه لا تجدیهم نفعا،و أن هؤلاء الشرکاء أو الشفعاء لا یقدرون علی الحاق ضرر بهم لو ترکوا عبادتهم.

و الله سـبحانه لم یخلق بعض النـاس کفـارا و البعض مسـلمین بـل خلقهم أمه واحـده،الاّـ انهم کـانوا مختارین،فاختار طائفه منهم الهدی،بینما ضلّ الآخرون.

و لقد سبقت کلمه الله بتأجیل قضاء الحق بینهم الی أجل محدود و لولاها لقضی بینهم فیما اختلفوا فیه.

و یطالب البعض بان ینزّل الله آیه علی رسوله،آیه معینه حتی یضطروا للایمان

بالرساله،بینما جعل الله الدنیا دار اختبار و هو یعلم بالحکمه،و النهایه سوف تکون للرساله باذنه.

بینات من الآیات:

بمن نتشفع؟

[۱۸]لماذا یعبد البشر غیر الله؟و لماذا یستسلم للأصنام کرمز للطبیعه أو للطاغوت،کرمز للقوه أو للمستکبرین کرموز للقیم الزائفه؟إنه یخضع لکل أولئک و یطیعها،لزعمه أنها تضر و تنفع،فیستسلم لها رهبا و رغبا،و لکنها فی الواقع لا تضر و لا تنفع،الاّ أن یشاء الله،فهی محکومه بقدره اللّه،و القوه التی تملکها الطبیعه أو البشر انما هی مخوله إلیها من قبل الله سبحانه و لیست شریکه لله حتی یتخذها البشر شفعاء عند الله،إذ أن الله لا یحتم علیه شیء،و الشفیع یجب أن یکون بحیث یستطیع الضغط علی الله تعالی أو یکون قد اذن له الرب فی الشفاعه.

وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ یَضُرُّهُمْ وَ لاٰ یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اللّٰهِ بلی..لو أمر الله بطاعه أحد مثل الرسل و أولی الأمر الذین تتمثل فیهم القیاده الرسالیه، إذا لم تکن الطاعه من دون الله بل کانت بإذن الله و بأمره،و لذلک تصبح طاعه الرسول و أولی الأمر من بعده شفیعه عند الله،لأنها باذنه الله و لتحقیق مرضاته.

و السؤال الذی یطرحه القرآن علی هؤلاء هو:هل هناک شریک لله أو شفیع عنده لا یعلم به الله؟! قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ

ص:۳۵۲

لو کـانت هنـاک قوه غیر الله حـاکمه فی السـموات و الأـرض لعلم بهـا الله حتما، و لکانت رسالته تکشف عنها و تأمرنا بالتقریب إلیها.

سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یُشْـرِکُونَ فالله قدوس و منزه عن أن یجد سـلطانه الواسع شـریک،و هو أعلی من أن یصل الی مقامه الأسمی شریک.

سبب الاختلاف:

[۱۹]هل أن ایمان طائفه من الناس و کفر أخری مرتبطه بطینه الناس و فطرتهم؟أو أن الله خلق هؤلاء کفارا و أولئک مسـلمین؟أم ماذا؟ یقول القرآن:

وَ ما کانَ النّاسُ إِلاّ أُمَّهً واحِدَهً خلقهم الله بصوره واحده،و أعطاهم جمیعا قدرا من العقل یکفیهم لهدایتهم الی الله،و لکن بعضهم استفاد من عقله بینما غفل عنه الآخر،و کان الاختلاف بفعلهم هم لا بسبب خلقتهم.

فَاخْتَلَفُوا و أمهلهم الله حتی یتم اختبارهم.

وَ لَوْ لا کَلِمَهٌ سَـبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ فِیما فِیهِ یَخْتَلِفُونَ تلک الکلمه-حسبما یبدو لی-هی أن الله جعل الدنیا دار ابتلاء و لم یجعلها دار جزاء.

لا للجبر..نعم للاختيار:

[۲۰]و لجهل النـاس بحقيقه الـدنيا،فهم يزعمون انّ على الله أن يجبرهم على الهـدى جبرا،و لا يعلمون ان على أنفسـهم مسئوليه الاهتداء الى الحق،و ذلك بتشغيل عقولهم بحثا عن الحقيقه.

وَ يَقُولُونَ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ان الله يعلم الغيب،و من الغيب الحكمه البالغه التى يعلم بها،أن أى قـدر من الآيات يكفى الإنسان فى بحثه عن الحقيقه لو اسـتخدم عقله،أما أن يريد تدخل الله فى أمور الحياه مباشره فذلك أمر يحتاج الى وقت،حيث أنه بعد انقضاء مهله هؤلاء سوف يأخذهم الله بعذاب عظيم.

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۲۱ الی ۲۳]

اشاره

وَ إِذا أَذَقْنَا اَلنّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَکْرٌ فِی آیاتِنا قُلِ اَللّهُ أَسْرَعُ مَکْراً إِنَّ رُسُلَنا یَکْتُبُونَ ما تَمْکُرُونَ (۲۱) هُوَ اَلَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی اَلْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ اَلْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اَللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ اَلشّاکِرِینَ (۲۲) فَلَمّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ یَبْغُونَ فِی اَلْأَرْضِ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ یا أَیُّهَا اَلنّاسُ إِنَّما بَغْیُکُمْ عَلی أَنْفُسِکُمْ مَتاعَ اَلْحَیاةِ اَلدُّنْیا ثُمَّ إِلَیْنا مَرْجِعُکُمْ فَنُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲۳)

عند الخطر يجأر العبد الى اللّه

هدى من الآيات:

و فی سیاق الحدیث عن الذین یعبدون من دون الله ما لا یضرهم و لا ینفعهم، و للدلاله الفطریه علی واقع هذه العباده،یبیّن لنا الله سبحانه موقف الناس من آیات الله،و کیف یتبدل حسب اختلاف حالاتهم النفسیه،فاذا کانوا فی شدّه و ضرّاء ثم أسبغ الله علیهم نعمه،و جعلهم یتحسسون برحمته،تجدهم یحتالون علی آیات الله و یناقشون فیها حتی لا یؤمنوا بها بکل وسیله ممکنه،بینما الله سریع الجزاء لما یفعلون،و قد أوکل سبحانه أمر کتابه أعمالهم و مکرهم الی الملائکه المرسلین إلیهم.

و کمثل علی هذه الحاله أن الله یوفّر للإنسان أسباب السیر فی البر و البحر، و یرکب الناس السفن الشراعیه،و یهب علیها نسیم هادئ یفرحون به لأنه یؤنسهم و یسیّر سفینتهم،و لکن بعدئذ تأتیهم ریح عاصف یهیج بها أمواج البحر حتی تحیط بهم من کل جانب،و یظنّون أن الهلاک قد اقترب منهم هنالک ینسون الشرکاء و یخلصون العباده لله،و یدعونه و یتعهدون انه لو أنجاهم یصبحون من

الشاكرين.

بيد أنه حين يخلّصهم الله من ورطتهم تراهم يفسدون فى الأرض،و يرتكبون المعاصى،بينما تلك المعاصى موجهه ضدهم،لأنها بالتالى متاع الحياه الدنيا المحدوده،و بعدها ينتقل البشر الى ربه ليجازيه.

بينات من الآيات:

المكر بعد الرحمه:

[۲۱]الرحمه بعد الضرّاء ليست كالرحمه من دونها،فحين تكون مريضا يستبد بك الألم و الخوف،فتنزل عليك رحمه السلامه و العافيه،و حين تكون فقيرا يضيق بك رحب الدنيا و تلاحقك أعين الناس ازدراء،فتهبط عليك رحمه الغنى و العزه،آنئذ تشعر عمق لذّه النعمه،بذات الحساسيه التى شعرت بألم الضّراء.

و الإنسان الذى تذوق الرحمه و أحس بمس الضراء،عليه أن يعترف بأن الله هو مدبر الخير و الشر،و أنه لا يملك من ذاته شيئا،و لكنه لا يفعل ذلك.

وَ إِذٰا أَذَقْنَا النّٰاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُمْ إِذٰا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيٰاتِنٰا يحاولون تفسير الآيات بما يتناسب و غرورهم،أو يسعون فى طمس معالم الحقيقه التى تخالف مصالحهم و أهواءهم،أو حتى أنهم يتصرفون فى نعم الله،بغير الوجه السليم الذى يضمن استمرارها،و آنئذ يأخذهم الله بعملهم السىء.

قُلِ اللّٰهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ ان مكر الله هو تقليب الأمور وفق السنن التى يجريها فى الحياه، و التى تقضى بزوال النعم التى لا يشكرها الناس،و لا يحافظون على عواملها السلوكيه و النفسيه.

ان ملائكه الله يحصون على الإنسان كل صغيره و كبيره حتى لا يقدر على التحايل عليهم،و الادعاء بأنه قد عمل صالحا.

و يبدو أن هذه الآيه تصدق على الحضارات البشريه التى تبدء بصعوبات كبيره حتى تبلغ مرحله النضج و يعم الرخاء،ثم يمكر البشر فى آيات الله فتنحدر الى الحضيض،كما تنطبق على حياه كل واحد من البشر،تحمل الصعاب حتى بلغ منيته،و لكنه أغتّر بعئذ بنعم الله عليه فكفر بها،فأزالها الله عنه.

[۲۲]و كمثل على هذه الحقيقه يبيّن ربنا سبحانه قصه راكبى البحر بالسفينه الشراعيه التى وقفت فى عرض البحر بسبب ركود الهواء،ثم تهب عليها ريح طيبه فيستبشرون بها،و لكنهم فى ذات الوقت يفرحون بها ممّا ينسيهم شكر الله.

و بعد فتره من الوقت يحيط بهم الخطر بسبب تحول الريح الطيبه الى ريح عاصف تثير الأمواج العاتيه حول السفينه،فلما رأوا ذلك تضرعوا الى الله سبحانه لينقذهم من الخطر،فلما نجاهم إذا هم يكفرون.

هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتّٰی إِذٰا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ وَ فَرِحُوا بِهٰا جٰاءَتْهٰا رِیحٌ عٰاصِفٌ وَ جٰاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکٰانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ أى أحاط بهم الخطر بحيث أصبحوا محاصرين من كل مكان دون قدره على الفرار،و ربما الظن هنا-كما فى سائر الآيات-بمعنى التصور فهو أشد وقعا فى النفس و تأثيرا.

دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ أى كان ادعاؤهم مختلفا عن دعائهم السابق،ففى السابق كانوا يدعون الله

و الشركاء معا،و كانت قلوبهم منقسمه بين الله و الشركاء،و لكن الآن أخلصوا التزامهم بالله،و صفّوا قلوبهم من رجس الشرك.

لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ ماذا كانوا يعنون بالشكر؟هل هو مجرد ترداد كلمه شكرا لله؟أم فوق ذلك الالتزام بكل ما أمر الله من واجبات؟من الواضح أن الشكر بالمفهوم الأول كان بسيطا و كانوا مستعدين له أبدا،أما الذى لم يفعلوه فهو الشكر بالمعنى الثانى.

الكفر بعد الشكر:

[۲۳]و هكذا مكروا فى آيات الله،و أخذوا يظلمون بعضهم و يستغلون رحمه الله أداه للباطل،و أخذوا يسرفون فى نعم الله كما فعل قوم لوط،و كانوا يفسدون فى الأرض كما فعل فرعون و قومه،و أخذوا يستكبرون فى الأرض بالباطل كما فعل عاد و ثمود و هكذا.

فَلَمّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ أى ان هذا الظلم،و هذا التحويل فى طريقه الانتفاع من آيات الله،ان ذلك سوف ينعكس عليكم،ذلك لأنه مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

ص:۳۵۹

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۲۴ الى ۲۷]

اشاره

إِنَّمٰا مَثَلُ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ اَلْأَرْضِ مِمّٰا يَأْكُلُ اَلنّٰاسُ وَ اَلْأَنْعٰامُ حَتّٰى إِذٰا أَخَذَتِ اَلْأَرْضُ زُخْرُفَهٰا وَ اِزَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهٰا أَنَّهُمْ قٰادِرُونَ عَلَيْهٰا أَتٰاهٰا أَمْرُنٰا لَيْلاً أَوْ نَهٰاراً فَجَعَلْنٰاهٰا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۴) وَ اَللّٰهُ يَدْعُوا إِلىٰ دٰارِ اَلسَّلاٰمِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۲۵) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا اَلْحُسْنىٰ وَ زِيٰادَةٌ وَ لاٰ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لاٰ ذِلَّةٌ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۲۶) وَ اَلَّذِينَ كَسَبُوا اَلسَّيِّئٰاتِ جَزٰاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهٰا وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مٰا لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ عٰاصِمٍ كَأَنَّمٰا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اَللَّيْلِ مُظْلِماً أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۲۷)

اللغه

۲۴[تغن]:غنى بالمكان اقام به و المغانى المنازل.

۲۶[يرهق]:الرهق اسم من الارهاق و هو ان يحمل الإنسان على مالا يطيقه و منه سأرهقه صعودا.

[قتر]:القتر الغبار و القتار الدخان.

ص:۳۶۰

دار الفناء أم دار السلام

هدى من الآيات:

فی الدرس السابق بیّن الله لنا أن الذین یمکرون فی آیات الله بغیهم علی أنفسهم،لأن متاع الحیاه الدنیا قلیل.

و فی هذا الدرس یعطینا السیاق رؤیه عامه تجاه الحیاه الدنیا،و یضرب لنا مثلا ببعض ما نراه ظاهرا من تحولات طبیعیه،کالماء ینزل من السماء و یختلط به نبات الأرض من فواکه تأکلها الناس،و أعشاب تأکلها الأنعام،و تزدهر الأرض و تصبح بهیجه و مزینه،حتی تصوّر أهل الأرض أنها أصبحت محکومه لهم،و أنهم قادرون علیها،و علی أنواع التصرف فیها،و لکن لا تبقی هذه الحاله إذ سرعان ما یأتیها أمر الله لیلا-أو نهارا بعاصفه ثلجیه،أو سیول هادره،فاذا بها تحصد حصدا و کأنها لم تقم هکذا سابقا.هکذا یضرب الله لنا مثلا،من ظواهر الدنیا التی هی آیات الله التی ینبغی أن نتفکر فیها.

و ما دامت الحیاه غیر مأمونه العواقب،فعلینا أن نفتش عن أمان،و الله یدعو الی

ذلک و یهدی من یشاء الی صراط مستقیم،یبلّغهم دار السلامه و الأمن فی الدنیا، و فی الآخره حیث یضمن للذین أحسنوا الفکر و العمل الحیاه الحسنی و زیاده علی فعلهم الحسن،تلک الزیاده قد تکون فی غناهم الروحی و المادی،و أنهم أصحاب الجنه هم فیها خالدون.

بینما الذین عملوا السیئات یجازیهم الله بمثل ما فعلوا،و تحلق بهم الذله،و لا یستطیع شیء أن یمنع عنهم عذاب الله، و وجوههم مسوده کأنما قد أحاط بها الظلام، و هم أصحاب النار فیها خالدون.

بینات من الآیات:

وحدانیه الخلق و التدبیر:

[۲۴]الذی خلق الطبیعه خلق الإنسان،و الذی یقلب ظواهر الطبیعه من حال لحال،هو الذی یقلب حیاه البشر،و لو تفکر الإنسان فی خلق الطبیعه لعرف الکثیر من خلق البشر.

و المنهج القرآنی الفرید یذکرنا بهذه الحقیقه من خلال الأمثال التی یضربها من واقع الطبیعه و یطبقها علی واقع الإنسان،فمثل حیاتک فی الدنیا و ما فیها من طفوله و شباب و کهوله،انما هو مثل الأرض شتاء و ربیعا ثم خریفا فصیفا.

انک تری الأرض هامده فینزل الله علیها ماء من السماء،و یکون الماء عاملا مساعدا لتفاعل ذرّات الأرض مع بعضها،فالأملاح تدخل فی قلب البذره الحیه، فتنمو هذه الاخیره و تصبح فاکهه لذیذه یتمتع بها الناس،و عشبا غنیا یأکله الانعام، و تفترش الأرض بساطا مزروعا فیه منافع الأرض و زینتها،و یتصور الناس ان هذه الحاله دائمه لهم و أنه المسیطرون علی خیرات الأرض،و لکن سرعان ما یعصف

بالزرع أمر الله فی صوره عاصفه ثلجیه فتصبح الأرض بلقعا،و کأنه لم یکن علیها شیء قائم بالأمس.

و هکذا حیاتک تبدء بالنشاط و الزهو،و یبارک الله فیها بالغنی و القدره حتی تغتر بنفسک،و تزعم أنک قادر علی ما تشاء،فاذا بک تحاصر من حولک بالمرض، و العجز و الفقر،و لا تقدر علی شیء،إن علینا ان نتفکر ملیّا فی آیات الله فی الحیاه.

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَیَاهِ الدُّنْیَا کَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا یَأْکُلُ النّٰاسُ وَ الْأَنْعَامُ أی اختلط بسبب الماء نبات الأرض ببعضه،و أنتج ما یأکله الناس و ما یستفید منه الأنعام.

حَتّٰی إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ ازَّیَّنَتْ یبدو أن الزخرف هی منافع الأرض،و تزیین الأرض مباهجها الظاهره.

وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَیْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَیْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِیداً کَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ کَذٰلِکَ نُفَصِّلُ الْآیَاتِ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ فالآیات الالهیه سواء تلک التی یراها الإنسان علی شاشه الطبیعه،أو التی یسمعها من فم الرساله،انها واضحه المعالم لمن تفکّر فیها و اعتبر بها.

إلی دار السلام:

[۲۵]و هکذا الحیاه تتقلب حتی تبلغ نهایتها الصاعقه،و الله یدعو عباده الی دار السلام التی تصونهم من العواقب الوخیمه،و ذلک عن طریق هدایتهم الی صراط مستقیم یصلون عبره الی أهدافهم الصالحه.

وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلىٰ دٰارِ السَّلاٰمِ وَ يَهْدِی مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ [۲۶]کیف یکون عند الله دار السلام التی یدعوا إلیها ربنا عبر صراط مستقیم؟ إن دار السلام تعنی فی الدنیا تلک المناهج الالهیه للأعمال الحسنه،و التی تؤدی الی الحیاه الحسنی.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيٰادَةٌ الله یضاعف لمن یفعل الحسنات،لأن ربنا سبقت رحمته غضبه،و هو أرحم الراحمین قبل أن یکون شدید العقاب،و من مظاهر الحیاه الحسنی أن ظلام الشهوات و الأهواء لا یحجب عقولهم،و أن ذلّه السیئات لا تحیط بشخصیاتهم،فرؤیتهم واضحه،و نفوسهم عزیزه.

وَ لاٰ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لاٰ ذِلَّةٌ أی لا یلحق وجوههم غبار و لا صغار.

أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ و الشهوات فی الدنیا ظلام فی الآخره،کما أن الغرور و الاستکبار ذلّه و صغار فی الآخره،و لذلک

جاء فی الحدیث المروی عن رسول اللّه :

«ما من عین ترقرقت بمائها الاّ حرم الله ذلک الجسد علی النار،فان فاضت من خشیه الله لم یرهق ذلک الوجه قتر و لا ذله » (۱)

۱- ۱) مجمع البیان ج ۱۰۴/۵

جزاء السيئات:

[٢٧]أما الذين عملوا السيئات فأصبحت ثقلا على ظهورهم،فان جزاء كل سيئه تكون بقدرها تماما دون أن ينقص منها شيء،و تلحقهم ذله و صغار بسبب تلك السيئه،و تحيط بهم ظلمات السيئات فتحجب عنهم الرؤيه السليمه و كأنها قطع من الليل.

وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ فلا يفكر أحدهم أنه قادر على الخلاص من جزاء سيئاته من دون اللّه و عن طريق الشركاء كلا..

كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أى كأنّ الله قد أغشى و ستر وجوههم بقطع من الليل المظلم،هكذا يحيط بهم السواد،و هكذا تسبب الشهوات افتقاد النور و الرؤيه.

أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ان كل واحد منا معرض لان يكون من مصاديق هذه الآيه،الا أن يوفقه الله للتوبه من سيئاته و العمل بمناهج الله سبحانه.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٢٨ الى ٣٠]

اشاره

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيّانا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ (٢٩) هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اَللّهِ مَوْلاهُمُ اَلْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

اللغه

٢٨[فزيّلنا]:التنزيل التفريق مأخوذه من قولهم زلت الشىء عن مكانه أزيله و زيلته للكثره و زايلت فلانا إذا فارقته هنا لك اى فى ذلك المكان.

ص:٣٦٧

هل ينفع الشركاء فی اليوم الاخر؟

هدی من الآيات:

فی الـدروس السابقه ذكّرنا القرآن بأن الشـركاء من دون الله لا يضـرون و لا ينفعون،ثم أعطانا رؤيه متكامله تجاه الحياه الـدنيا،و التی ينبغی أن تكون كافيه للإنسان فی توحيد الله و نبذ الشركاء.

و عاد السياق ليحدّثنا عن قضيه الشركاء بتصوير مشهد من مشاهد يوم الحشر، حيث يجمع الله الشركاء و المشركين جميعا،و يفرز بينهمـا و ينكر الشـركاء أساسا أنهم كانوا يعبـدون من دون الله،و يشـهدون الله أنهم كانوا غافلين عن عباده المشـركين لهم،فما ذا ينتفع البشـر من عبـاده من هو غافـل عن عبـادته؟! و هنالـك تكشف لكل نفس ما أسـلفت فی الـدنيا،و يردون الی الله قائـدهم و مولاهم الحقيقی،بينما يتلاشی الشركاء الذين كانوا يجعلونهم شفعاء عند الله افتراء علی الله و الحق.

ص:۳۶۸

بینات من الآیات:

و کشف الحجاب:

[۲۸]و فی یوم القیامه تتوضح الحقائق بحیث لا یقدر أحد علی إنکارها،و حین نتصور-و نحن فی الدنیا-مشاهد ذلک الیوم، یکفینا هذا التصور،توضیحا للحقیقه،و کشفا لمعالمها،لماذا؟ لأن الذی یحول بیننا و بین فهم الحقیقه هو الغفله،أو الغرور و الاستکبار،و تصور مشاهد یوم الحشر یذوّب حجب الغفله و الغرور عن أنفسنا،و یجعلنا نری الحقیقه بلا حجاب،و لذلک یرفع القرآن الستار لنری مشهد الحوار بین المشرکین و بین آلهتهم التی عبدوها دهرا زاعمین بأنها تنفعهم یوم القیامه.

وَ یَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً الشرکاء المزعومین و من عبدوهم.

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِینَ أَشْرَکُوا مَکٰانَکُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَکٰاؤُکُمْ أی انتظروا جمیعا لکی تسألوا،ثم فرّق الله بین الفریقین.

فَزَیَّلْنٰا بَیْنَهُمْ وَ قٰالَ شُرَکٰاؤُهُمْ مٰا کُنْتُمْ إِیّٰانٰا تَعْبُدُونَ لقد أنکر الشرکاء أنهم کانوا یعبدونهم إنکارا کاملا،کما أنکرت الملائکه ذلک فی آیه أخری،و فی الواقع انهم أنکروا علمهم بهذه العباده بدلیل ما جاء فی الآیه القادمه.

التبری من المسؤولیه:

[۲۹]و اشهد الشرکاء الله سبحانه علی أنهم کانوا غافلین عن هذه العباده.

فَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنّٰا عَنْ عِبٰادَتِكُمْ لَغٰافِلِينَ و سواء كان الشركاء الأصنام الحجريه،أو الجن و الملائكه،أو حتى الأصنام البشريه،فهى غافله عن طاعه المشركين لها و غير مهتمه بذلك،لأنها مشغوله عنها بقضاياها الخاصه.

[٣٠]و عند الله فى يوم القيامه تظهر حقائق كل نفس و أعمالها التى أسلفتها فى الدنيا،و تقف أمام الله المولى الحق البشريه لتجيب عن تلك الأعمال.

هُنٰالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مٰا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ لقد افتروا على الله بأنه تعالى يخضع لضغط الشركاء،و افتروا على الله بأنه سبحانه يسمع كلامهم،أما الآن فليس بشىء من ذلك موجودا أمامهم،لقد ابتعد عنهم و تلاشى كما يتلاشى السراب.

ص:٣٧٠

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۳۱ الی ۳۳]

اشاره

قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ أَمَّنْ یَمْلِکُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ مَنْ یُخْرِجُ اَلْحَیَّ مِنَ اَلْمَیِّتِ وَ یُخْرِجُ اَلْمَیِّتَ مِنَ اَلْحَیِّ وَ مَنْ یُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ فَسَیَقُولُونَ اَللّٰهُ فَقُلْ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ (۳۱) فَذٰلِکُمُ اَللّٰهُ رَبُّکُمُ اَلْحَقُّ فَمٰا ذٰا بَعْدَ اَلْحَقِّ إِلاَّ اَلضَّلاٰلُ فَأَنّٰی تُصْرَفُونَ (۳۲) کَذٰلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی اَلَّذِینَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۳۳)

ص:۳۷۱

التدبير آيه الرب

اشاره

و الفسق حجاب البصيره

هدى من الآيات:

من أجل اقتلاع جـذر الشـرك من قلب الإنسان الـذى خلق ضـعيفا،يتابع السـياق لحـديث عن التوحيد،و يتساءل عن الرزاق الذى ينزل الرزق من السـماء ماءا و أشـعه،و يفجّر الأرض رزقا و رحمه،أو ليس اللّه؟ و من يعطينا أداه الرؤيه و السـماع أو ليس اللّه؟ و يخرج الميت من الحى و بالتالى من يدبّر أمر الكون،و يسـتوى على عرش السموات و الأرض و بيده ملكوتها؟إذا سألتهم فسوف يقولون جميعـا أنه اللّه،و هنـا يبرز السؤال التـالى:إذا لماذا لا تتقون ربكم؟و لماذا لا تخشونه؟ انه اللّه ربنا جميعا الحق الـذى ليس بعـده الاّـ الضـلال،فأين مكان الشـركاء؟ و أين تصـرفون أيها المشـركون فى أى واد و اى سبيل منحرف؟! و سؤال أخير:لماذا لا يؤمن هؤلاء جميعا برغم وضوح الآيات و الجواب:هو أن

ص:۳۷۲

هؤلاء قد فسقوا و الفسق يحجب البصيره.

بينات من الآيات:

رزق الأرض و السماء:

[۳۱]يهبط من السماء الماء،و لكن ليس بطريقه عشوائيه،بل بحكمه بالغه، فالماء لا يسيل كما تنفتح القربه،حتى يفسد الأرض و يخرب البيوت،و يأتى مشفوعا بالمواد الضروريه للزرع،و ينزل معه فراتا سائغا،و يأتى بقدر نافع لا يزيد و لا ينفص و بالتالى فهو رزق للإنسان متناسب مع حاجات البشر حجما و نوعا،مما يدلنا على أن خالق الإنسان هو رازقه الماء من السماء،و الشمس تشع على الأرض، فتغنى التربه موادا نافعه لرزق الإنسان كميه و كيفيه،مما يدلنا أيضا أن خالق الشمس هو خالق البشر و هكذا يرزق اللّه عباده من السماء.

و مخازن الرزق متواجده فى الأرض،فالأحواض الطبيعيه الضخمه داخل الأرض تستقبل مياه المطر لتخرجها فى صوره ينابيع،و قمم الجبال تجمد الماء من الشتاء الى الصيف،و التربه تختزن المواد المفيده،و هكذا يرزق اللّه عباده من الأرض.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ أو ليس هو ذلك القادر الحكيم الرحيم بالناس،أو ليس هو اللّه؟!

من الخالق؟

و نتساءل:من الذى يوفّر للإنسان فرصه الاتصال بالحياه رؤيه أو سماعا،بما يستلزم من أنظمه معقده فى مخ البشر و أعصابه،و الياف عينه،و عظام أذنه،و بما يحتاج من ضياء و هواء يحمل الى عيوننا و أسماعنا تموّجات النور على الأشياء

و ذبـذبات الصوت على الهواء؟أو ليس هو ذلـك الخبير اللطيف،أو ليس هو اللّه؟! أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ و أكثر من هـذه جميعا هو التطور الهائل الـذى يحدث فى الأشـياء صـعودا من الموت الى الحياه،و نزولا من الحياه الى الموت،من الذى يدبر هذا التطور أو ليس مالك الموت و الحياه؟! وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ و يبـدو من هـذه الكلمه أن الحياه هبه الهيه تعطى لشـىء فيصـبح حيا،و ينفصل من واقع الأشياء الميّته بعد أن يكتسب منها مواد ميّته،فالبشر-مثلا-كان نطفه أعطاها اللّه الحياه،ثم تتغذى النطفه من المواد الميته،فتضاف إليها و تصبح تلك الميته بدورها ذات حياه،و العكس يحدث هكذا!! وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ان قياده الكون منظمه،و هى توحى إلينا بضـروره من يشـرف عليها و يدبرها،لا يكون غير اللّه،و هذه الأسئله لو وجهتها الى اى واحد من المشركين..

فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ

لماذا الانحراف؟

فما دام اللّه هو فاعل كل ذلك فلما ذا لا نخشاه و نتقه؟و نعمل بمناهجه؟إن القرآن الحكيم يربط بين النظره الشامله الى الكون و بين البصـيره السـلوكيه الخاصه، و هذا الربط هو الذى ينقص كثيرا من الناس،حيث يجهلون أن سلوكهم يجب أن يكون منسجما مع مسيره الكون كلها،و مع الحقائق التى يهتدى إليها الإنسان من

خلال تفکره فی هذه المسیره.

[۳۲]و إذا شذّ البشر عن المسیره العامه للوجود فالی أین یشذ؟أو لیس الی الضلال؟هل هناک حقائق فی هذه الحیاه؟هناک حق واحد یجب أن نفتش عنه، و نطبقه علی واقعنا.

فَذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبُّکُمُ الْحَقُّ فَمٰا ذٰا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاٰلُ فَأَنّٰی تُصْرَفُونَ أی الی أی جهه تعدلون بعبادتکم،الی الباطل أم أنکم تعملون من دون تفکر؟! [۳۳]و یبقی تساؤل إذا کانت القضیه بهذا الوضوح، فلما ذا یتعمد البعض بتجاهلها و إهلاک أنفسهم؟ و یجیب القرآن الحکیم:إن السبب هو فسق هؤلاء الذی یمنعهم من الایمان، هذه سنه اللّه فی الحیاه:أن الفاسق لا یؤمن.

کَذٰلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ و لا یدل ذلک علی أن اللّه یمنعهم عن الایمان منعا،بل علی أنهم عاده لا یؤمنون، و ذلک بسبب تکاثف حجب الفسق علی أعینهم و بصائرهم.

ص:۳۷۵

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۳۴ الى ۳۶]

اشاره

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اَللّٰهُ يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ (۳۴) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى اَلْحَقِّ قُلِ اَللّٰهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى اَلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاّٰ أَنْ يُهْدىٰ فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۵) وَ مٰا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّٰ ظَنًّا إِنَّ اَلظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ بِمٰا يَفْعَلُونَ (۳۶)

ص:۳۷۶

البشر بين الظن و الحق

هدى من الآيات:

يتساءل السياق القرآنى:هل بمقدور أحد الشركاء أن يبدأ الخلق،ثم يفنيه ثم يعيده،كما يفعل اللّه؟و يعلم المشركون أن الخلق بيد اللّه وحده،فلما ذا يصرفون الى الافك؟ و يتساءل مره أخرى من الذى يهدى الأحياء بعد أن يعطيهم خلقهم الى ما فيه صلاحهم و دوام حياتهم؟اللّه أم الشركاء؟ و يجيب:أن اللّه هو الذى يهدينا،فهو الذى وفّر لنا العقل و السمع و الأبصار، و زوّد الأحياء بالغرائز التى اهتدوا بها الى صلاحهم،إذا فهل من الصحيح التسليم للّه أم للشركاء الذين لا يهتدون الا بقدر ما يهديهم اللّه؟فكيف يحكم المشركون باتباع من لا يهدى،بل و لا يهتدى الاّ بصعوبه؟! نعم..إن سبب ضلاله هؤلاء و حكمهم الفاسد هو أنهم يتبعون الظن

و التصورات النابعه من خيالهم،و الظن لا يغنى عن الحق شيئا،و اللّه عليم بما يفعلون،نتيجه اتباعهم للظن من الأعمال السيئه.

بينات من الآيات:

الكفر بعد المعرفه

[۳۴]الـذى يتبع السلطان الجـائر،و الـذى يخضع للغنى المسـتغل،أو لصـاحب الشـهره و النفوذ،يعلم أن قائـده لا يسـتطيع أن يهب الحيـاه،أو يعيـدها بعـد أن يسـلبها اللّه،و هـو يعلم يقينـا أن موهب الخلق و معيـده بعـد الفنـاء هو اللّه،الواسع القـدره و العلم،و هنا يتساءل القرآن إذا لماذا الخضوع للشركاء من دون اللّه؟! قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ و يأتى الجواب:كلاّ..

قُلِ اللّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ انه يبدأ الخلق من غير مثال سبقه اليه أحد،و لا معالجه و لا لغوب،فليس ربنا كما البشر يحتاج الى تجربه حتى يخلق الخلق بهـذه الـدقه المتنـاهيه،و لـو احتـاج الى التجربه لاحتـاج الى بلايين التجـارب من أجـل خلق خليه حيه واحـده،كما يؤكـد على ذلك العلم الحـديث و اللّه يعيـد الخلق حتى يسوى بنان الإنسان بـذلك الشـكل الذى لا يتشابه مع بنان أحـد فى العـالم!! فَأَنّى تُؤْفَكُونَ أى أين تصـرف بكم الأهواء،و تتحرك بكم الشـهوات؟و لماذا تتركون الخالق العظيم الى بعض المخلوقين الضعفاء؟!

ص:۳۷۸

الصلاح من اللّه:

[۳۵]و اللّه یعطی کل شیء خلقه و یهدیه الی ما فیه صلاحه،إنک تجد النمله کیف تفتش عن رزقها حتی تلتقطه و تحافظ علیه من الصیف للشتاء،و تبنی بیتها بطریقه هندسیه غریبه،و کما النمله تفعل النحله ببیتها،و تفتش عن رحیق الزهور، و تنظم نفسها فی خلایاها بأفضل تنظیم،ثم تصنع عسلا و تحافظ علیه لرزقها أیام السنه، فمن الذی أوحی إلیها بذلک و هداها لصلاحها غیر اللّه؟ و کما النمل و النحل فکذلک سائر الأحیاء،و النباتات تنشط باتجاه مصالحها فی سبل متعدده و بأسالیب شتی،أو لیس اللّه الذی هداها الی ذلک،کما هدی الإنسان طبیعیا و حضاریا؟! قُلْ هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ مَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ قُلِ اللّهُ یَهْدِی لِلْحَقِّ فهو الذی خلق البشر و الطبیعه وفق الأنظمه الفطریه،و هو الذی علم الإنسان کیف یستفید من الطبیعه وفق تلک الأنظمه دون أن یصطدم بها.

أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی الشرکاء لا یهتدون الاّ إذا هداهم اللّه،فهذا الطاغوت الذی یعبد من دون اللّه لو سلب اللّه منه هداه،و سلب منه عقله و علمه،أو لا یصبح مجنونا یطرده أهله؟! و هذا الثری الموغل فی الفخر و الغرور،لو سلب اللّه منه عقله و علمه،أو لا یصبح مثارا للسخریه؟!و هذا الصنم الحجری الذی یعبده الجاهلون هل یهدی أحدا؟! فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ و لماذا تقیسون الشرکاء بربّ العالمین؟و یبدو لی أن الآیه الکریمه تشیر الی أولئک

الشركاء الذين يتخذهم الناس أربابا فكريين،و يأخذون منهم علومهم و ثقافتهم من دون اللّه،و من دون تمحيص،

فقد جاء فی حدیث شریف:

«من استمع الی ناطق فقد عبده فان کان الناطق عن اللّه فقد عبد اللّه،و ان کان الناطق ینطق عن إبلیس فقد عبد إبلیس » (۱)

و جاء فی حدیث آخر فی تفسیر الآیه الکریمه:

«اتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ» قال:«و اللّه ما صلّوا لهم و لا صاموا و لکن أطاعوهم فی معصیه اللّه » (۲)

و جاء فی حدیث ثالث:

«من دان اللّه بغیر سماع من عالم صادق ألزمه اللّه التیه الی الفناء،و من ادّعی سماعا من غیر الباب الذی فتحه اللّه لخلقه فهو مشرک،و ذلک الباب هو الأمین المأمون علی سر اللّه المکنون » (۳)

و فی حدیث آخر :

«من دان اللّه بغیر سماع عن صادق ألزمه اللّه التیه الی یوم القیامه » (۴)و

جاء فی تفسیر قول اللّه عز و جل:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اللّٰهِ قال:عنّی اللّه بها من اتخذ دینه

۱- ۱) بحار الأنوار للعلامه المجلسی ص ۹۴ الجزء الثانی.

۲- ۲) المصدر ص ۹۷

۳- ۳) المصدر ص ۱۰۰

۴- ۴) المصدر ص ۹۳

رأيه من غير امـام من أئمه الهـدى » (۱)ان اتبـاع أحـد بصوره مطلقه و من دون الانتفـاع بعقولنا،إنه نوع ظاهر من أنواع الشـرك بالله،لأن أهم أضرار الشرك هو إضلال الإنسان فی الحیاه.

بین الظن و الحق:

[۳۶]و لاـن الشـرك و الطـاعه العمیـاء للأصـنام و كهنتها،و رموز السـلطه و الثروه و الرجعیه-لأنه یسـلب العقل و یلغی دوره-فان المشـركین یتبعون التصورات و الظنون و هی لا تجـدیهم شـیئا،ذلك لأن الظن یعكس حاله صاحبه النفسـیه،و لا یعكس الحقیقه الخـارجیه،و الإنسـان زوّد بالعقل من أجل أن ینسّق بین واقعه و بین الحقائق الخارجیه،و یـدرأ عن نفسه أخطار هـذا الواقع،و مثل هؤلاء كمن یرسم خریطه وهمیه عن منطقه ثم یسیر علیها دون أن یعتمد علی عینه و أحاسیسه.

وَ مٰا یَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّٰ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاٰ یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئاً و السـؤال:لمـاذا یتبـع هؤلاـء الظـن بینمـا زودوا بالعقـل و البصـیره؟ الجواب:إن المشـركین یتبعون أهواءهم،و یجعلون هوی الـذات و حب النفس محورا لتحركهم،فهم لا یهـدفون أبدا الوصول الی الحق حتی یبحثون عن السبیل الذی یوصلهم الیه،و هو العلم و لذلك فهم یرتكبون الجرائم بوعی و إصرار.

إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ

ص:۳۸۱

۱- ۱) المصدر ص ۹۳

و اللّه يجـازيهم على أفعـالهم،و لكن يـذكرهم أيضـا بأن اتباع الظن هو طريق الخطايا،لكى يتجنب المؤمنون ذلك،و يبحثوا أبـدا عن المعرفه التى توصل الى الحقيقه.

ص:٣٨٢

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۳۷ الی ۴۰]

اشاره

وَ مٰا کٰانَ هٰذَا اَلْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَریٰ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لٰکِنْ تَصْدِیقَ اَلَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ اَلْکِتٰابِ لاٰ رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۳۷) أَمْ یَقُولُونَ اِفْتَرٰاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ اُدْعُوا مَنِ اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۳۸) بَلْ کَذَّبُوا بِمٰا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ کَذٰلِکَ کَذَّبَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَةُ اَلظّٰالِمِینَ (۳۹) وَ مِنْهُمْ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لاٰ یُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِینَ (۴۰)

ص:۳۸۳

القرآن يتحدى بنفسه الكفار

هدى من الآيات:

و فى سياق الحديث عن الظن الذى يتبعه الجاهليون المشركون،يذكّرنا القرآن الحكيم،بالطريق المؤدى الى الحق و هو العلم،و أحد مصدرى المعرفه هو القرآن الذى لا يكون افتراء لوضوح آياته و تطابقه مع العقل،و لأنه جاء مصدّقا لرسالات السماء السابقه،و موضحا الكثير ممّا كان غامضا فى تلك الرسالات،و بذلك لا يرقى شك الى أنه نازل من ربّ العالمين الذى وسعت حرمته كل شيء،فربّى كل شيء و أعطاه التكامل،و أعطى الإنسان تكامله بالقرآن.

و هم يزعمون أن الرسول قد افتراه،إذا ليأتوا بسوره واحده مثل القرآن، و ليستعينوا بمن شاؤوا الصنع هذه السوره المفتراه إن كانوا صادقين؟! كلاّ..إن السبب فى كفرهم أنهم لم يبلغوا علم القرآن،و لم يحيطوا بكل أبعاده،فكذّبوا به لنقص فيهم،و لأن الحقائق التى بشّر بها القرآن لم تتحول الى

واقعيات أمامهم،و حين تصبح الحقيقه واقعا خارجيا لا تنفع التوبه كما كانت عاقبه الظالمين من قبل،و الذى لا يؤمن بالقرآن مفسد فى الأرض،و اللّه عليم به،أما المصلحون فان قلوبهم نظيفه و أعينهم مفتوحه و لذلك يؤمنون به.

بينات من الآيات:

استحاله افتراء القرآن:

[٣٧]ان لكل حق حقيقه،و على كل صواب نورا،و من يرى الحقائق بعين بصيره و قلب نظيف بعيدا عن الحجب و النظارات السوداء،و بعيدا عن العقد النفسيه فانه لا يخطأ،و القرآن ذاته دليل صحته و أنه من اللّه،فهو لا يمكن افتراءه إذ هو أسمى من أن يقدر أحد على صنعه،انه صنع اللّه الذى لا يقدر على مثله البشر، هل يستطيع أحد أن يخلق طيرا كما خلق اللّه؟كلاّ..كذلك لا يقدر أحد على افتراء القرآن.

وَ مٰا كٰانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرىٰ مِنْ دُونِ اللّٰهِ و لكن القرآن حلقه فى سلسله رسالات سماويه تصدّق بعضها بعضا،و هو خط ممتد يؤمن الناس به مجملا،بالرغم من أن شهواتهم تدعوهم الى الكفر بالرساله الجديده لنقص فى ذاتهم.

وَ لٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتٰابِ لاٰ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ فالقرآن يصدّق الرسالات السابقه،مما يدل على أنه فى خطها،و من يؤمن بها لا بد أن يؤمن به أيضا،و هو لا يرقى اليه ريب،لأنه من وحى اللّه الذى لا يرقى اليه ريب أو نقص سبحانه.و اللّه رب العالمين الذى أعطى كل شيء خلقه و تصاعده،

فخلق السموات و الأرض فی سته أيام،و فی كل يوم يضيف خلقا جديدا و نعمه جديده إليها، و هو رب الإنسان الذی يعطيه تكامله بطرق شتی و منها الوحی، فواهب العقل هو منزل القرآن،و الإنسان غير المعقد يفهم هذه الحقيقه بوضوح.

[۳۸]و لكنهم يصرون علی اتهام الرسول بأنه قد افتری القرآن كله،إذا قل لهم ليفتروا هم بدورهم قرآنا،و ليأتوا و لو بسوره واحده مثل القرآن فی علمه و بلاغته، و ليستعينوا بمن شاؤا من الجن و الأنس من أجل صنع سوره واحده! أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ و كما لا يستطيع أحد أن يخلق نمله واحده فهو لا يقدر علی أن يأتی بجزء بسيط من القرآن،لأن خالق النمله هو موحی القرآن،و القرآن بذلک المستوی الأرفع الذی لا يحيط به علم البشر و قدراته.

دوافع الفكر:

[۳۹]و أحد العوامل النفسيه التی تقف أمام ايمان هؤلاء هو جهلهم،و ضيق صدورهم،و قلّه استعدادهم،لذلک تراهم يكذّبون بأی شیء لا-يعرفون كل أبعاده و خصائصه،و لا يفكرون أن الحقيقه التی يرونها و يعرفون صحتها جديره بالايمان، و لا يجوز لهم إنكارها بمجرد أنهم لا يعرفون كل أبعادها.

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ و هذه صفه عامه للبشر،

و قد عبّر عنها الامام علی عليه السلام بقوله :

«الناس أعداء ما جهلوا »

و هذه من أسوأ الصفات الجاهليه و المتخلفه التى تقف عقبه فى طريق تقدم البشريه،و على الإنسان أن يربى نفسه و مجتمعه على استقبال كل جديد بروح ايجابيه،و لا يرفض أى شىء جديد بمجرد أنه لا يعرف عنه شيئا.

و من الصفات الجاهليه هى انتظار تحوّل الحقيقه الى واقع،فاذا أنذر الجاهلى و المتخلف حضاريا بالمجاعه بسبب التكاسل أو الاختلاف لم يؤمن بالحقيقه،و انتظر قدوم المجاعه فعلا حتى يؤمن بها،و لكن ما فائده الايمان آنئذ.

إننا نريد العلم لنستبق به الأحداث،و نمنع عن أنفسنا الأخطار،أما بعد مجيئه فان الايمان لا يجدى شيئا،بل سوف يحيط الواقع السىء بالإنسان و يقضى عليه كما دلّت على ذلك أحداث التاريخ.

وَ لَمّٰا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذٰلِكَ كَذَّبَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلظّٰالِمِينَ [۴۰]و مره أخرى يؤكد القرآن أن أحد العوامل الأساسيه للكفر بالقرآن الحكيم هو العمل السىء الذى ران على قلوب الكافرين،فلم يدعهم يؤمنون بالرساله،ذلك العمل هو الفساد فى الأرض.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ فى المستقبل إذا كان مصلحا طيب القلب،ينتظر المزيد من الآيات،أو بعض الحالات النفسيه التى يتغلب بها على ضغوط المجتمع الفاسد أو الشهوات العاجله.

وَ مِنْهُمْ مَنْ لاٰ يُؤْمِنُ بِهِ و هذا الفريق لا يؤمن بالرساله بسبب توغله فى الفساد،و بناء حياته على أساس

منحرف و شاذ.

وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِینَ

ص:۳۸۸

[سوره يونس (١٠): الآيات ۴١ الى ۴۶]

اشاره

وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ (۴١) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ (۴٢) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ (۴٣) إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۴) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاّ ساعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۴۵) وَ إِمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ (۴۶)

البراءه

اشاره

من أصحاب القلوب المريضه

هدى من الآيات:

و فی سیاق البیان الالهی للقرآن،و کیف أنه معجز لا یقدر علی مثله بشر، یبیّن ربنا سبحانه الحل الحاسم الأخیر،و الذی یتسم بصرامه الحق و صراحته،فان کذّبوا الرسول برغم وضوح رسالته،فلیقل أنه منفصل عنهم بریء من عملهم،کما هم بریؤون من عمله،فکل یتحمل مسئولیه عمله،و لذلک فهو و المؤمنون به أمه،و هم أمه.

و منهم من یزعم أن تقرّبه الی الرسول و من دون الایمان برسالته تنفعه شیئا، و لکن هل یقدر الرسول اسماع من به صمم؟کلّا..لأن النقص فیه و فی قدرته علی الاستجابه للرساله.

کما أن بعضهم ینظر الی الرسول عسی أن یریه سبیل الهدی دون أن یؤمن برسالته التی هی الضیاء و الهدی،و لکن حین تکون العین عمیاء هل تنفعه أشعه الشمس القویه شیئا؟!إن الصمم و العمی لیسا من اللّه بل من اراده الناس

أنفسهم،لأن اللّه لا يظلم أحدا فيخلقه-سبحانه-أعمى أو أصمّ،كلا بل الناس يظلمون أنفسهم بعدم محاوله الرؤيه و الاستماع.

و هكذا يعطى هذا الدرس رؤيه واضحه تجاه كفر الناس و ايمانهم،و أنه من أنفسهم و بسبب سوء اختيارهم.

بينات من الآيات:

مبدئيه العلاقات:

[۴۱]يبـدو أن بعض الناس يريـدون الإبقاء على علاقتهم مع رسل اللّه بعـد قطع علاقتهم مع رسالاتهم،فيكـذّبون الرسول و لكنهم يريـدون أن يكونوا هم و الرسول من قوم واحـد،و هكذا الأمر بالنسـبه الى علاقه الناس بأصـحاب المبادئ،بيد أن اللّه يأمر رسوله بقطع العلاقه مع من يكذّب بالرساله.

وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّٰا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِىءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ فالكل يعمل حسب وجهته و يتحمل وحـده مسئوليه عمله،و المبـدأ هو الـذى يفصـل هـذه الجماعه عن تلك،و ليس أى شـىء آخر،و حين يفصل المبـدأ بين قوم و آخرين لا ينفع وحده الأرض و اللغه،أو حتى القرابه فى ربط بعضهم ببعض.

الذات منطلق الاهتداء:

[۴۲]و من الناس من يزعم ان الرسول هو الـذى يعطيهم الرؤيه من دون أن يسـعى هو من أجل ذلك،و هذا غلط فظيع،ذلك لأن الهدايه أو الضلاله بقدر من الإنسان نفسه،و الذى لا يبدأ الخطوه الأولى فى هذا الطريق لا يجديه شىء آخر، و يكون مثله كمثل أصم يطلب من الآخرين أن يسمعوه شيئا بينما النقص من

ذاته،و أنه مهما كانت قوه الصوت فانه لا يسمع!! وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ فالأصم لا يستجيب عقله لحديث،لأن سمعه مسدود،و هؤلاء لا ينتفعون بسمعهم و لا يعقلون ما يدخل سمعهم من أحاديث،و السمع أرفع جهاز إدراك عند البشر،باعتباره الأداه الأوسع انتشارا و الأكثر فائده فى نقل التجارب و الخبرات من جيل لآخر،و بالتالى فهو الواسطه الفضلى للحضاره البشريه،التى هى تراكمات الخبرات عبر العصور المتماديه،و ربما لذلك عقّب القرآن على الصمم بعدم العقل.

[۴۳]و كذلك هناك بعض من لم يعرف هذه الحقيقه،أن الهدايه هى أولى مسئوليّات البشر،و إنّ من لا يعمل من أجلها لا يبلغها أبدا.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ و كأن الرسول هو المسؤول عن هدايته و عن توجيهه.

أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ فالأعمى لا يرى،لا لأن الضوء قليل،بل لأن جهاز الاستقبال معطب، و التحرك يجب أن يكون ابتداء من الفرد نفسه.

[۴۴]و لا يجوز ان يزعم الإنسان أن اللّه هو الذى سلب الفرد سمعه و بصره،بل الإنسان هو نفسه الذى لا ينتفع بسمعه و بصره.

إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فالناس هم الذين لا يستفيدون من أدوات التوجيه عندهم،و ربما عبّر القرآن

بکلمه الناس لسبب هو أن بعض الناس یضلّل بعضهم بعضا،و أنهم مسئولون عن هدایه بعضهم،کما أن التعبیر القرآنی فی السمع جاء بصفه جماعیه،بینما جاء عند التعبیر عن البصر بصفه فردیه،ربما لأن السمع عملیه حضاریه یکلف بها الناس جمیعا،بینما البصر یغلب علیه الجانب الفردی.

[۴۵]للإنسان الجاهلی غلطتان کبیرتان.

الغلطه الاولی:

عدم فهم طبیعه الجزاء و أنه لیس من الضروری أن یکون بعد العمل مباشره.

الجزاء یأتی و کل آت قریب لذلک لا یجوز للإنسان من أن یکفر بالجزاء لأنه قد تأخر قلیلا عنه ثم الجزاء الموعود فی القرآن لیس جزاء بسیطا لأنه یتسم بصفتین أساسیتین:

الاولی:أنه جزاء خالد.

الثانی:أنه لا یمکن للإنسان أن یهرب منه أو یطلب الاذن من ربه فی العوده الی الدنیا لتجربه إرادته مره اخری.

و بالقیاس الی الخلود الذی یتسم به الجزاء الالهی علی الأعمال فإن الفتره التی یقضیها الإنسان فی الدنیا بسیطه و بسیطه جدا.

وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ کَأَنْ لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّ سٰاعَهً مِنَ النَّهٰارِ الفتره التی کانوا خلالها فی الدنیا تعتبر بالقیاس الی زمن الآخره ساعه واحده و یکفیک للقیاس أن تعلم بأنک قصاری ما تعیش فی الدنیا سبعین عاما أو ثمانین أو أکثر أو أقل بینما تعیش فی یوم القیامه فی یوم واحد فقط خمسین ألف عام.هل بإمکانک أن تقیس هذه الفتره المحدوده بذلک الزمن الممتد إلا أن تقول أن هذه ساعه من ذاک.

يَتَعٰارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضـهم بعضا و يتذكر بعضـهم بعضا و كأنهم فى هذه الدنيا و هنالك تكون الخساره لمن؟لأولئك الذين كذبوا بذلك اليوم أما الرابحون فهم الذين آمنوا بذلك اليوم و استعدوا له سلفا.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقٰاءِ اللّٰهِ وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ [۴۶]أما الغلطه الثانيه:

فهو الاعتقـاد بـأن الجزاء الـذى يعـدهم الرسول ناطقـا عبر اللّه إن هـذا الجزاء انمـا هو من الرسول نفسه.فمثلا ـ ينتظر بعضـهم وفاه الرسول أو يدبرون المؤامرات ضده زاعمين أن تصفيه الرسول يعنى خلاصهم مما ينذرهم به.

الرسول مجرد منـذر و مبشـر أمـا العـذاب فهو من اللّه فسواء كـان الرسول أو لـم يكن بين أظهرهم فـإن جزاء أعمـالهم لا ـ بـد أن يلحقهم.

وَ إِمّٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنٰا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّٰهُ شَـهِيدٌ عَلىٰ مٰا يَفْعَلُونَ اللّه قبل الرسول هو شـهيد على أعمالهم فأين يهربون.

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۴۷ الى ۵۲]

اشاره

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۴۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۸) قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلاّ ما شاءَ اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۴۹) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (۵۰) أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۵۱) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۵۲)

اللغه

۴۸[الوعد]:خبر بما يعطى من الخير و الوعيد خبر بما يعطى منه الشر.

۴۹[نفعا]:اللذه و السرور.

۵۰[أقم]:الاقامه نصب الشىء و نقيضه الاضطجاع و اقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام فى وجهه الانتصاب.

ص:۳۹۵

لكل امه أجل

هدى من الآيات:

فى سياق الدرس السابق حدّثنا القارن الحكيم عن مسئوليه الإنسان المباشره عن الهدايه،حيث تنتهى عاقبه الضلاله بالخساره الكبرى التى تلحق المكذّبين بآيات اللّه و لقائه،و حين يحشرهم اللّه للجزاء فى ذلك اليوم الرهيب يعرف الناس بعضهم بعضا،و يزعمون أنهم لم يلبثوا فى الدنيا الاّ برهه قصيره من الوقت،و ليس المهم ان يرى صاحب الرساله ما يعدهم اللّه من العذاب فى الدنيا،أو يتوفاه اللّه و لكنهم بالتالى يعودون الى ربهم،و اللّه شهيد على مواقفهم و أفعالهم.

و لكل أمه رسول،فاذا جاء الرسول و بلغ الرساله و أتم الحجه عليهم،قضى اللّه بينهم بالقسط و هم لا يظلمون،بل يجازون بما فعلوا.

و يستعجل الناس العذاب،و يقولون متى هذا الوعد؟!و يجيب ربنا قائلا:ان هناك أجلا محددا لكل أمه يستنفذون قبله كل فرصه لهم فى الدنيا، إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَلاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ .

ص:۳۹۶

و إذا وافاهم أجلهم سواء بالليل أو بالنهار،فهل يسبقوه،أو هل هو مما يستعجله البشر،و هل يطالب المجرم بسرعه الجزاء؟! بل أنهم سوف يؤمنون بعد انتهاء الفرصه،ذلك لأنه أصبح حقيقه واقعيه أمامهم،و يعرفون أن استعجالهم كان خاطئا.

بينات من الآيات:

مجيء الرسول شرط التوقيت:

[۴۷]قبل أن يتم اللّه حجته على خلقه لا يأخذهم بذنوبهم،لذلك فأنه تعالى يبعث لكل أمه رسولا، و يحدد لهم أجلا،فاذا جاء إليهم رسولهم و بلّغهم رسالات ربه،فاذا كذّبوه قضى اللّه بينهم بالقسط،فمن آمن و اتبع هدى ربّه نجى و أفلح، و من كفر أحاط به البلاء،و اللّه لا يظلم أحدا، وَ لٰكِنَّ النّٰاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذٰا جٰاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ و السؤال:هل أن هذا الرسول يجب أن يكون رسولا يوحى اليه مباشره من اللّه، أو قد يكون وليا من أولياء اللّه تابعا لرسول من قبل اللّه،يقوم بتبليغ رسالات اللّه بمثل ما كان يفعل الأنبياء؟ يبدو لى أن عموم الكلمه تشمل القسم الثانى.

[۴۸]و لكن متى يقضى اللّه على الأمم؟و كم هى الفتره بين بعث الرسول، و بالتالى كفر الناس بها،و بين العذاب؟ وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ فقد تمتد الفتره و يتأخر العذاب حتى يتساءل الكفار بأسلوب المنكر المستهزئ

متى العذاب؟و لماذا لم يأت الدمار الموعود؟! [۴۹]و هذا السؤال يكشف عن خطأين أساسيين عند البشر:

الخطأ الأول:أن الناس يزعمون أن مبلّغ الرساله هو الـذى ينزل العـذاب، و بالتالى يحـدد موعـده،بينما اللّه هو الـذى يحـدد موعد العذاب لا الرسول،أما الرسول فلا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا،و لهذا فهو لا يدعى أنه الذى يبعث العذاب.

أمـا الخطـأ الثـانى:أن الإنسـان يحسب أن العقاب يجب أن يكون مباشـره وراء العمل و كأنه النار و الحراره،و لا يعرف أن العمل السـيء فى المجتمع مثل الميكروب فى الجسد يتكاثر و ينتشر،ثم تظهر عوارضه فتحيط بالجسد و قد تقضى عليه،و أن بين العمل السيء و الجزاء فتره معلومه عند اللّه،إذا انقضت فسوف لا تمدد،و بالتالى لا يزيد و لا ينقص.

قُلْ لاٰ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ فاذا شاء اللّه أعطى بقدر ما تقتضيه حكمته،أعطى فى صـلاحيه العمل و قدرته ضرا أو نفعا.

لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَلاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَهً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ

سنن الحق فى الحياه:

ان الحياه قائمه على موازين حق لا تتبدل بأهواء الناس،فهناك عوامل السقوط و عوامل النهوض،و هناك آثار ايجابيه للإخلاص و التضـحيه،و النشاط و الوحـده، و نظافه القلب و الجسـد،و سـلامه العمل و إتقانه،كما ان هناك آثارا سـلبيه للغل، و الاستئثار،و الكسل و التفرقه،و العقد النفسيه،و الأوساخ الماديه،فإذا تفاعلت

هـذه الآثـار،و رجحت كفّه الآثار السـلبيه انهارت الأمه،بينما تتقـدم إذا انعكست الحاله،المهم أن الإنسان قادر على إنقاذ الموقف قبل أن يتردّى الى نهايته،فهناك لا فرصه للخلاص أبدا.

[۵٠]و من هنا فان الذين يستعجلون العذاب و يتساءلون بضجر متى هذا الوعد؟لا يعرفون أن العذاب ليس مما يستعجله الإنسان،و أنه إذا جاءهم لم يجدوا مهربا منه-فكيف يستعجلونه؟!! قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً حينما اتخذتم النوم لأنفسكم لباسا للراحه و الأمن،فاذا بالعذاب يباغتكم.

أَوْ نَهاراً و أنتم على كامل الاستعداد لمواجهه الأخطار،و لكن من دون أن تكون لديكم القدره على مواجهه عذاب اللّه.

ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ هل يستعجلون آلامه الشديده،أم يستعجلون تحطيم أمانيهم و قهر كبريائهم، و مفارقه أحبّتهم،هل هى أشياء يطالب بها الإنسان،أم أنه الغرور و النزق؟ [۵١]نعم..إذا وقع العذاب و أصبح حقيقه ملموسه بأيديهم ماثله أمام أعينهم،آنئذ فقط يؤمنون به و لكن عبثا! أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ و كان استعجالهم السابق دليلا على عدم ايمانهم به و عدم توقعهم لحدوثه.

[۵۲]و أخطر شیء فی القضیه هو أن العذاب لا ینتهی بل یبقی خالدا.

ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ بِما کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ فالجزاء هو ذاته الأعمال التی اکتسبتموها،و التی تحولت الی عذاب دائم، أعاذنا اللّه منه.

ص:۴۰۰

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۵۳ الى ۵۸]

اشاره

وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۵۳) وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مٰا فِي اَلْأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا اَلنَّدٰامَةَ لَمّٰا رَأَوُا اَلْعَذٰابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (۵۴) أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ أَلاٰ إِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۵۵) هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۵۶) يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفٰاءٌ لِمٰا فِي اَلصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (۵۷) قُلْ بِفَضْلِ اَللّٰهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّٰا يَجْمَعُونَ (۵۸)

اللغه

۵۳[يستنبئونك]:الاستنباء طلب النبأ الذى هو الخبر.

[لافتدت]:الافتداء إيقاع الشىء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فديه.

ص:۴۰۱

القرآن يحطّم حواجز الأيمان

هدى من الآيات:

فى سياق الدروس السابقه التى كانت آيات القرآن تهدينا الى أنّها وحى من عند اللّه،تحطّم هذه الآيات الحواجز النفسيه التى تمنع الايمان،ثم تذكر بأن القرآن شفاء و موعظه،و أنه فضل و رحمه و خير مما يجمع الناس،فتبدء الآيه الأولى بالسؤال الذى يوجهه الكفار الى الرسول عن أن القرآن حق؟و يجيب الرسول و يحلف بربه الكريم أنه لحق،أما حاجز الغرور و العزه بالإثم فانه و هم باطل،إذ أن الكفار ليسوا بقادرين على تعجيز أقدار اللّه و تفشيل خطط الرسول،ثم لا ينفع المال و البنون،لأنه حين يأتى العذاب و يراه الظالمون يتمنون لو قبل اللّه منهم أن يفتدوا عن عذاب ذلك اليوم بكل ما فى الأرض لو كانوا يملكونها، و قد بلغت الندامه أعمق أعماقهم و قضى بينهم بالقسط،و جوزوا على أعمالهم و هم لا يظلمون.و الحاجز الآخر الذى يحول بين الإنسان و الايمان بيوم الجزاء هو تردده فى قدره اللّه أو صدق وعده سبحانه،و لكن أ ليس لله ما فى السموات و الأرض،و أن وعده حق كما يدل عليه ما يجرى فى السموات و الأرض؟و لكن جهل هؤلاء بالدنيا و سننها هو السبب المباشر لضلالتهم،

ص:۴۰۲

ثم أو ليس اللّه يحيى و يميت؟أو ليس قادرا على بعث الناس من جديد؟! و هكذا ينادى القرآن الناس بأنه جاء موعظه من ربهم،و انه يشفى صدورهم من عقد الجهل و العصبيه و الانغلاق،و انه يهدى الناس،و إذا آمن به الناس و طبقوه فهو رحمه لهم و رفاه،و هذا الرفاه يجمعه الناس من وسائل ماديه بحته لا تعطيهم رفاه و لا رحمه.

بينات من الآيات:

فى رحاب الحقائق:

[۵۳]و يتساءل الكفار هل يؤمن الرسول بما يقول و يقولون له:أحق هو؟ فيجيب الرسول بحسم و بالضروره:إنه لحق.

وَ يَسْتَنْبِئُونَکَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ و بين السؤال و الجواب نستنبط عده حقائق:

اولا:بالرغم من أن الحقائق الفلسفيه العامه ليست قابله للتقليد و الطاعه العمياء الاّ أن السؤال عنها مفيد،إذ قد تحمل الاجابه إشارات هاديه لك لو فكّرت فيها لعرفت الحقيقه مباشره،فيكون السؤال مثل أن يسأل أحد عن مكان الماء، فحين يشير الآخر اليه و يلتفت السائل يرى الماء مباشره.

ثانيا:ان احدى المشاكل الرئيسيه التى تعترض طريق الناس عن الايمان هو تهيّب الايمان،و الاعتقاد بأن المؤمنين ليسوا فى الواقع مؤمنين بصدق،و لذلك إذا عرفوا صدق ايمان المؤمنين بالرساله،زال حاجز الهيبه و تشجعوا على الايمان،و من هنا كان تأكيد المؤمنين ايمانهم قوليا و عمليا أو بسبب تضحياتهم الرساليه كان ذلك ذا أثر فعّال فى روحيه المترددين و الشاكين.

ثالثـا:أن الرسول أجـابهم بصوره مؤكـده،و حلف بربه حلفـا يؤثر فی وجـدان السـامعين،لأنه يتصل بمن ربّاه و أنعم عليه،و عموما القسم بالرب قسم وجدانی عميق الأثر.

و بعـد الحـوار أكّد الرسـول علی أن حـاجز الغرور هـو الـذی يفصـلهم عن الايمـان، فيزعمـون أنهم قـادرون علی مقـاومه نفـوذ الرساله،أو الإتيان بأفضل منها حتی يسبقوها!!كلا.

وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

التذكير بالآخره نقطه الانطلاق:

[۵۴]الإنسـان بفطرته مؤمن،و لكن دواعی الشـهوه و الطيش و الغرور، و الجهـل تمنعه عـاده عن الارتفـاع الی مسـتوی الايمـان،و يهـدم القرآن جـدار الغرور بتـذكير البشـر بيوم فاقته،حين يحين ميعاد جزائه علی ظلمه لنفسه،عنـد ما يتمنی لو كان يملك ما فی الأرض جميعا ليفتدی بها عن نفسه،فيخلّصها من العذاب،و لكن هيهات!! و هنا لا بد أن يتذكر الإنسان بأن المهم ليس ما يملك لأنه يزول عنه،و لكن نفسه و عمله هما الباقيان.

وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ظلمـا ذاتيا بارتكاب المعاصـی،أو ظلما اجتماعيا باغتصاب حقوق الآخرين،لو أنها كانت تملك مٰا فِی الْأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النَّدٰامَةَ لَمّٰا رَأَوُا الْعَذٰابَ

و ربما كان معنى أسرار النـدامه الشعور بها عميقا في سرهم،و ليس بمعنى اخفائها،لأنه لا أحد يقدر على كتمان حالته يوم القيامه،و لكن من المسؤول عن ندامتهم أو ليست أنفسهم!! وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أي بالدقه التامه دون أي زياده أو نقيصه.

وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

الوعد الحق:

[۵۵]و لو زعم الكفار أن اعاده بعث الناس مستحيل،أو زعموا أن جزاءهم في الدنيا غير وارد،فليعلموا أن اللّه هو مالك ما في السموات و الأرض و أن وعده حق.

أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَلاٰ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و لو كان لهؤلاء العلم بالكون بقوانينه و سنن اللّه الحاكمه فيه لعرفوا أن كل عمل يتحول الى جزاء عاجلا أو آجلا.خيرا أو شرا،تلك هي أبسط قاعده حياتيه، فكيف لا تنتهي حياه الناس بالجزاء الشامل يوم القيامه؟ [۵۶]و اللّه يحي و يميت،فهو قادر على احياء الناس بعد موتهم،و لذلك فنحن نرجع اليه للحساب.

هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [۵۷]و اللّه الذي يذكرنا بنفسه ينزل القرآن الذي يتفجر من خلاله التذكره

ص:۴۰۵

بـالله،و هو موعظه من رب العالمين،فالـذى وفّر للعالمين أسـباب معيشـتهم،و هـداهم إليها بالغريزه و العقل،هو الـذى أنزل القرآن ليكون جسـرا بين الحقيقه و السـلوك، و يوجه البشـر الى الإصـلاح،و يحـذرهم من الفساد،و السبيل الـذى يتبعه الذكر لبلوغ هذا الهدف هو:تزكيه النفوس و تهيئتها لقبول الحقائق فهو شفاء لما فى الصدور، و النتيجه التى يحصل عليها الناس بعدئذ هى:

أولا:الهدايه و معرفه ما ينبغى عمله و ما يجب تركه.

ثانيا:الرحمه التى هى الرخاء و الرفاه و السعاده،و هى خاصه بالمؤمنين المنفذين لتعاليم القرآن.

يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

السعاده الحقيقيه:

[۵۸]و على الناس أن يفرحوا عنـد ما يطبقون مناهـج اللّه،و يحصـلون من ورائها على السـعاده و الفلاح،لأنها سـعاده حقيقيه لكل الناس و فى كل زمان،و حتى فى الآخره.

قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ربمـا يكون فضل اللّه هو القرآن و العتره و أئمه الهـدى،بينما رحمه اللّه ما ينتهى اليه العمل بالرساله.

هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ من حطام الدنيا الذى أمده قصير،و خيره محدود فى طائفه دون طائفه،و هو بالتالى يختص بالدنيا فقط.

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۵۹ الى ۶۱]

اشاره

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرٰاماً وَ حَلاٰلاً قُلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اَللّٰهِ تَفْتَرُونَ (۵۹) وَ مٰا ظَنُّ اَلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ إِنَّ اَللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى اَلنّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَشْكُرُونَ (۶۰) وَ مٰا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مٰا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لاٰ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّٰ كُنّٰا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ مٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْبَرَ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ (۶۱)

اللغه

۶۱[شأن]:الشأن اسم يقع على الأمر و الحال تقول ما شأنك و ما بالك و ما حالك.

[تفيضون]:الافاضه الدخول فى العمل على جهه الأنصاب اليه مأخوذه من فيض الإناء إذا انصب الماء من جوانبه.

[يعزب]:العزوب الذهاب عن المعلوم و ضده حضور المعنى للنفس.

ص:۴۰۷

حرمه التشريع من دون اذن اللّه

هدى من الآيات:

الهدف من الوحی الالهی هو موعظه الإنسان،و شفاء صدره و هدایته،و بالتالی إنزال الرحمه علیه،و یتجسد هذا الهدف عملیا فی التشریعات الصائبه التی تتجاوز الهوی و الشهوات،و من لا یتبع هدی القرآن یبدأ بتشریعات شاذه فی رزق اللّه و فی نعمه السابغه،فتراه یجعل بعض النعم حلالا و بعضها حراما افتراء علی اللّه،و بعیدا عن اذن اللّه،و ماذا ینتظر هؤلاء یوم القیامه،بعد أن کفروا بنعم اللّه و حرموها علی أنفسهم؟أو لیس ذلک خلاف العقل و الفطره أن یتفضل اللّه علی الناس فلا یشکرونه،بل و یفترون علیه الکذب و یحرمون رزق اللّه علی أنفسهم؟ ان أعمال البشر کلها تجری بعلم اللّه و بشهادته،ففی أیه حاله یکون البشر، و أی عقیده ینتمی إلیها،و أی عمل یقوم به،فان اللّه شاهد علیه حین تحرکه دون أن یعیب عنه شیء بوزن الذره أو أکبر أو أصغر،و هو بالاضافه انَّ شهاده اللّه یسجّل فی کتاب مبین،فعلی البشر أن یتبع فی کل عمل من أعماله حدود اللّه و هداه،و لا

يعمل حسب اهوائه.

بينات من الآيات:

الوحى هدى الطريق:

[۵۹]لقـد جـاء الوحى ليملأ فراغا حقيقيا فى الحياه،ذلك لأن الحياه نعمه واسعه من اللّه علينا فلا يحق لنا بل لا ينبغى أن نتحرك فيها من دون هدى اللّه الذى يرسم لنا خريطه التحرك،و يحدد لنا معالم العمل.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرٰاماً وَ حَلاٰلاً و هل يحق لنا أن نتصـرف فى رزق اللّه،و نقول:هـذا حرام و هذا حلال؟كلا..

بل علينا أن نتقيد وفق اذن اللّه.

قُـلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ انهـا قضـيه فطريه،ان التصـرف فى نعم اللّه لاـ ينبغى أن يكون من دون اذنه، و هل اذن اللّه للنـاس إذنـا مطلقـا بالتصـرف فى ملكوته،من دون عقـل كاف و علم،أم انه كـذب و افتراء؟أجل ان علينا أن نبحث عن وحى اللّه ليحدّد لنا خريطه الحياه.

[۶۰]و ماذا يتصور الذين يفترون على اللّه الكذب،و يشرعون من دون اذن اللّه؟و كيف يمكن أن يعاملهم اللّه هناك.و قد كفروا بأنعم اللّه،فحرموها على أنفسـهم و على الناس من دون اذن اللّه،هل يعذبهم أم يغفر لهم؟! ان مجرد التفكير فى أن المشرع سوف يسأل أمام اللّه يوم القيامه يكفيه رادعا عن التشريع بالهوى.

وَ مٰا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

ص:۴۰۹

لقد منّ اللّه بمختلف النعم على البشر و سخّر للإنسان ما فى السموات و ما فى الأرض،و زوّده بقدره الاراده و نور العقل و سلامه الجسد،و لكن الناس ضيّقوا على أنفسهم و حدّدوا طاقاتهم بلا سبب،فرسموا لبعضهم البعض الحدود الزائفه فى الأرض،قائلين هذه أرضك و هذه أرضى،ثم وضعوا أنظمه للتجاره و الصناعه،و من ثم صنعوا الأغلال الفكريه و الأثقال الثقافيه و وضعوها حول نفسيات البشر،من خوف الطبيعه الى خشيه الابتكار،الى المحرّمات الكثيره التى ما أنزل اللّه بها من سلطان،الى الرسوم و العادات الباطله،و كل ذلك منعهم من الانتفاع بنعم اللّه و كان بمثابه الكفر بتلك النعم.

إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَشْكُرُونَ و هل هذا شكر لفضل اللّه على الناس،أن يحرموه على أنفسهم؟!من هنا ينبغى أن يسارع البشر الى وحى اللّه، و يؤمن به و يتخذ منه تشريعاته دون أن يحيد عنه قيد شعره،لا زياده و لا نقيصه،حتى ينتفع بالنعم.

الرقابه الالهيه:

[۶۱]البشر محاط برقابه اللّه عليه،فلا يكون فى وضع و لا ينتمى الى فكره و لا يعمل عملا الاّ و يشهد اللّه عليه،لأنه حاضر عنده و ليس بغائب عنه،إذا فعلى البشر أن يجعل أوضاعه و أفكاره و أعماله فى أطار الوحى،و وفق تشريعات اللّه،و لا يسترسل فى قراراته حسب اهوائه.

وَ مٰا تَكُونُ فِي شَأْنٍ أى فى حال من الأحوال.

وَ مٰا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ

أی ما تقرأ من القرآن-حول ذلک الشأن-هـذا عن الرسول و المؤمن الـذی یتبع فی شؤونه هدی القرآن،أما بالنسـبه الی غیره فما یتلوه هو أفکاره النابعه من اهوائه، و اللّه سبحانه شاهد علیها کما هو شاهد علی شأنه و عمله.

وَ لاٰ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ تحوّل الخطاب الی الجماعه بعد أن کـان فردیا،و السـبب قـد یکون أن لکل إنسان شأنه و فکره،و لکن العمل عاده ما یکون جماعیا یقوم به أولا أقل یرضـی به مجموعه من الناس فیشترکون فی مسـئولیته،و لو بقـدر الرضا عنه و عدم ردع عامله.

إِلاّٰ کُنّٰا عَلَیْکُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِیضُونَ فِیهِ أی حین تخوضون فیه و کأنکم منفلتون عن القیود،أحرار فی التصرف لکم مطلق القرار فی العمل،بینما الواقع غیر ذلک و هو أنکم محدودون فی أطار شهاده اللّه علیکم،لذلک اتبعوا هدی اللّه.

وَ مٰا یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فِی السَّمٰاءِ وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْبَرَ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ إن کل شیء له وزنه الخفیف أو الثقیل،ابتداء من وزن الذره الصغیره و حتی وزن المجرّه الکبیره،انها جمیعا محسوبه عند اللّه،و مسجّله فی کتاب واضـح لا تختلط أوراقه،أو تضـیع معلوماته،من هنا ینبغی أن یتصـرف البشـر بعقل و بحذر،یضع کل شـیء موضـعه المناسب و لا یرفع قـدما و لا یضع خطوه و لا یتحرک قلیلا أو کثیرا،الاّ وفق برنامـج معـد سـلفا،مطابق للوحی،حتی لا تسـجل ضـده نقطه فی کتاب اللّه،و فی الدرس القادم یبیّن القرآن کیف یتجنب الفرد هذه المشکله،مشکله الاسترسال فی الحیاه.

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۶۲ الی ۶۵]

اشاره

أَلاٰ إِنَّ أَوْلِيٰاءَ اَللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ (۶۳) لَهُمُ اَلْبُشْرىٰ فِی اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِی اَلْآخِرَهِ لاٰ تَبْدِيلَ لِكَلِمٰاتِ اَللّٰهِ ذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (۶۴) وَ لاٰ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ اَلْعِزَّهَ لِلّٰهِ جَمِيعاً هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۶۵)

ص:۴۱۲

أولياء اللّه البشرى و العزه

هدى من الآيات:

مـا دامت حياه الفرد محاطه بشـهاده اللّه و تسـجل عليه كل حاله و فكره و جوله، فان البشـر فى خطر عظيم،و يطرح السؤال:كيف الخلاص؟ الجواب:عن طريق الايمان و التقوى،الذى يجعل الفرد وليا لله،قريبا منه، و يبعد عنه الخوف و الحزن،و يوفّر له البشـرى فى الحياه الـدنيا و فى الآخره،و اللّه حكم بألاّ يبدل سـنته و كلماته،بل يعطى للمؤمن المتقى أفضل النعم فى الدنيا و الآخره،و من تلك النعم العزه،لأن العزه لله جميعا،و هو الذى يعطيها للمؤمنين المتقين،و هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

بينات من الآيات:

هل نحن أولياء اللّه؟

[۶۲]من هو الولى الحقيقى لله؟

ص:۴۱۳

إنه المؤمن المتقی الـذی لاـ یجعل بینه و بین ربه حاجبا من غفله أو شـهوه أو ضـلاله،و لان هـذا الفرد قریب من مصـدر الأمن و البشری،فلا خوف علیه من المستقبل،و لا حزن علی الماضی.

أَلاـ إِنَّ أَوْلِیاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ [۶۳]و کیف یمکن أن یبلغ البشـر درجه ولایه اللّه؟ بالایمان بالله و برسالاته،و بالتالی بالحق الذی قد یخالف أهواءه،ثم التقوی بتطبیق برامج الرساله فی حیاته عملیا بالتزام صارم و تعهد مسئول.

اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ و یبـدو من الآـیه ضـروره اسـتمرار الایمـان و التقوی فی حیاه الفرد،بـدلاله صـیغه الماضـی المؤکـده بکلمه«کان»ذلک لأن أکثر الناس یؤمنون و یتقون و لکن قبل أن یتعرّضوا لامتحانات عسیره.

لمن البشری؟

[۶۴]و لهؤلاء المؤمنین البشری بحیاه آمنه کریمه فی الدنیا،و أفضل منها فی الآخره.

لَهُمُ الْبُشْریٰ فِی الْحَیٰاهِ الـدُّنْیٰا وَ فِی الْآخِرَهِ و البشـری هی التطلع الی هـذه الحیـاه الآـنیه،ذلک التطلع الـذی یحققه الفرد بعمله و جهاده.

لاٰ تَبْدِیلَ لِکَلِمٰاتِ اللّٰهِ

ص:۴۱۴

فالله قـد أجرى فى الكون سـننا حكيمه،و جعل منها إعطاء الحياه الآمنه السـعيده للمؤمن،و انه لا يبدلها لأنه قوى عزيز،و الواقع ان الايمان بالله و برسالاته،و التقوى بتطبيقها عمليا يعنى تسخير أفضل ما فى الكون من أجل سعاده البشر،و الاجتناب عن كل شيء.

ذٰلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

لمن العزه؟

[۶۵]و بمـا ان عـاقبه الأمر للتقوى،فان الوصول الى هـذه العاقبه يمر عبر صـعوبات كبيره و منها الحرب الاعلاميه التى تحاول بعث اليأس فى قلوب المؤمنين عن طريق تسـفيه آمالهم و طموحاتهم المسـتقبليه،و توجيه نظرهم الى واقعهم الفاسـد الـذى يعيشونه،و الـذى يتسم بتسـلط الظـالمين عليهم،و لكن القرآن يؤكـد مره أخرى أن هـذا الواقع سوف ينتهى و يأتى مكانه واقع أفضل،حيث العزه و الكرامه.

وَ لاٰ يَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّهَ لِلّٰهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فربنا المهيمن على حياتنا لا يدع المؤمنين فى هذه الحاله الاستثنائيه،حتى يكرمهم بالنصـر و الكرامه،و لكن بعد أن يوفروا فى أنفسـهم صـفات أولياء اللّه التى جاءت فى النصوص الاسـلاميه و التى نذكر بعضها فيما يلى:

-۱

سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام عن قوله تعالى «أَلاٰ إِنَّ أَوْلِيٰاءَ اللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ» فقيل له:من هؤلاء الأولياء؟فقال أمير المؤمنين:

«قـوم أخلصـوا لله فى عبـادته،و نظروا الى بـاطن الـدنيا،حيـن نظر النـاس الى ظاهرهـا،فعرفـوا أجلهـا حيـن غرت الخلـق-سـواهم-بعاجلها،فتركوا ما علموا انه

سیترکهم،و أماتوا منها ما علموا أنه سیمیتهم » (۱)۲-

و عن أبی جعفر(علیه السلام)قال :«وجدنا فی کتاب علی بن الحسین علیه السلام » «أَلاٰ إِنَّ أَوْلِیٰاءَ اللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ» قال:

«إذا أدّوا فرائض اللّه،و أخذوا بسنن رسول اللّه،و تورّعوا عن محارم اللّه، و زهدوا فی عاجل زهره الدنیا،و رغبوا فیما عند اللّه،و اکتسبوا الطیب من رزق اللّه،و لا یریدون هذا التفاخر و التکاثر،ثم أنفقوا فیما یلزمهم من حقوق واجبه، فأولئک الذین بارک اللّه لهم فیما اکتسبوا،و یثابون علی ما قدموا لآخرتهم » ۲

۱- ۱،۲) تفسیر المیزان ص ۹۸،الجزء الحادی عشر

[سوره يونس (١٠): الآيات ۶۶ الى ٧٠]

اشاره

أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا یَتَّبِعُ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ شُرَکٰاءَ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ یَخْرُصُونَ (۶۶) هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ اَلنَّهٰارَ مُبْصِراً إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ (۶٧) قٰالُوا اِتَّخَذَ اَللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ هُوَ اَلْغَنِیُّ لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ إِنْ عِنْدَکُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بِهٰذٰا أَ تَقُولُونَ عَلَی اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۶٨) قُلْ إِنَّ اَلَّذِینَ یَفْتَرُونَ عَلَی اَللّٰهِ اَلْکَذِبَ لاٰ یُفْلِحُونَ (۶٩) مَتٰاعٌ فِی اَلدُّنْیٰا ثُمَّ إِلَیْنٰا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِیقُهُمُ اَلْعَذٰابَ اَلشَّدِیدَ بِمٰا کٰانُوا یَکْفُرُونَ (٧٠)

ص:۴۱٧

الشرک بین الظن و الخرص

هدی من الآیات:

خلفیه الخوف من الجبت و الطاغوت هو الشرک بالله.و فی هذا الدرس یذکّر ربنا عباده بحقیقه الشرک الذی لیس هو سوی الظن و الوهم(تصورات و خیالات)بینما اللّه وحده مالک کل من فی السموات و الأرض،و من بینها أولئک المعبودون من دون اللّه باسم الشرکاء،و أنظمه الحیاه التی تساعد الأحیاء علی البقاء،أنها بدورها من اللّه،فهو الذی جعل اللیل لیسکن فیه الأحیاء،و جعل النهار مضیئا،کل ذلک آیات لمن یفتح أذنه للسماع.

و لیس من قوه فی الأرض و فی السماء الاّ و هی خاضعه للّه،و لیست أداه و آله بید اللّه،لأن اللّه غنی و هو أرفع من أن یتخذ مساعدا أو ولدا،ان هذا الکلام نابع من الجهل الذی لا برهان علیه.

و الذین یفترون علی اللّه الکذب،و یدعون شرکاء للّه أو أولاد،لا یفلحون و لا ینالون السعاده،إذ أن بعض المتعه یصیبهم فی الدنیا،و بعدها یذوقون عذاب النار

الشديد بسبب كفرهم بالله.

بينات من الآيات:

اشاره

الملک لله:

[۶۶]لا خوف على المؤمنين بل لهم النصر و العزه،و أن أصحاب السلطه،أنهم ليسوا فى الواقع سوى مملوكين لله،كما أن الملائكه و الجن من سكان السموات الذين يعبدون من دون اللّه،و يزعم البسطاء أن لهم تأثيرا حاسما على أحداث الحياه و يعيشون الرعب من تأثيراتهم،كل أولئک مملوكين لله!! أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ مٰا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُرَكٰاءَ انهم ليسوا شركاء للّه،بل عباد مربوبون،كأى شخص أو شيء آخر،و فى الواقع اتباعهم لهؤلاء نابع من التصور و الوهم.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَخْرُصُونَ فخلفيه الشرک باللّه العظيم،هى اتباع الخيال و الاحتمال،فمن يتبع العقل يتخلص من التصورات النابعه من قوه الخيال،أو من ضغوط الشهوات،لأن العقل يميّز بين الخيال النابع من الحب و الغضب(الهوى)و بين الرؤيه الصافيه للحقائق، كما أن من يتبع العلم يتخلص من سلطان الاحتمالات التى لا مرجح لأحدها على الآخر،أما الجاهلى فانه يتبع الظن و الخرص،و هما يدعوانه الى الخضوع للشركاء.

تدبير اللّه:

[۶۷]و اللّه هو المهيمن على الكائنات،فهو الذى قدّر الليل و النهار،فجعل

اللیـل ساکنـا هادئـا یـأوی فیه کـل حیّ الی فراش النوم،و الراحه،أمـا النهـار فانه جعله مضـیئا یساعـد الأحیاء علی الأبصار و رؤیه الأشیاء،مما یدفعهم الی النشاط و الحرکه.

هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْـکُنُوا فِیهِ وَ النَّهٰارَ مُبْصِراً فهو الذی یملک أمر الناس،و یدبّر شئونهم،و علینا الاّ نخضع للناس من دون اللّه مالک شئونهم،و لکن هذه الحقیقه البسیطه قد یغفل عنها بعض الناس بسبب افتقادهم لأبسط شروط القیم و هو السماع.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَسْـمَعُونَ أما الـذین یتّبعون الظن و الخرص فلا یدعوهم احساسـهم بالحاجه الی العلم،و لا یدعوهم الی السماع،و بالتالی الفهم.

لا والد و لا ولد!!

[۶۸]لیس هناک ما یوازی سـلطان اللّه لا فی العرض و لا فی الطول،أی لا یوجد هناک شـریک لله یکون بمستوی علمه و قدرته سبحانه،کما لا یوجد هناک ولد لله یستمد منه صفاته الألوهیه سبحانه.

قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُـبْحٰانَهُ هُوَ الْغَنِیُّ و لماذا یتخذ اللّه ولدا؟هل لأنه سوف یموت فیسـتخلفه الولد؟أم لأنه عاجز عن اداره أموره فیساعده الولد؟أم لأنه فقیر فیعطیه الولد شـیئا؟کلا..إن ربنا غنی بذاته..و سـبب غناه انه یملک کلما یوجد فی السموات و الأرض من قوه و امکانیه.

لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ أما الذین یزعمون أن لربنا ولدا فهم لا یعلمون شیئا من مقام الألوهیه المقدس

عن النقص،و يشبّهون خالق السموات و الأرض بالمخلوقات العاجزه،دون أن يكون لهم دليل الّا جهلهم بالحقيقه.

و لو سألتهم كيف تتصوروا بأن لله ولدا؟!الأجابوا إذا كيف يدبّر السموات و الأرض؟!و لا يعلموا ان تدبير اللّه ليس كتدبير البشر بالأداه و الوسيله و الوسائط، بل انما أمره أن يقول:«كن»فيكون.

إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهٰذا أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لاٰ تَعْلَمُونَ

عاقبه الافتراء:

[۶۹]و إذا عرف البشر ان الكلام من مسئوليته،و أنه لو قال كلاما من دون دليل خصوصا فيما يرتبط برب العالمين فانه مسئول عنه،و أنه يسبّب له الشقاء إذا ما بادر بالافتراء على ربه العظيم.

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لاٰ يُفْلِحُونَ و السبب ان الكذب على اللّه يسبب انحرافا عقائديا و سلوكيا كبيرا.يجرّه الى انحرافات لا تحصى،و تجعل حياته جحيما لا يطاق.

[۷۰]ثم ان الآخره تنتظرهم بعذاب شديد.

مَتٰاعٌ فِي الدُّنْيٰا ثُمَّ إِلَيْنٰا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذٰابَ الشَّدِيدَ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ و لا يسع البشر أن يقول لم أعرف،إذ يقال له لماذا اتبعت جهلك و هواك،و لم تسمع كلام الحق؟!أو لم تبحث عنه بصدق!من هنا نعرف ان الهدى و الضلاله من مسئوليات الإنسان،و لو عرف البشر هذه الحقيقه،إذا ما ضلّ كثير منهم

بالاسترسال و اللامبالاه.و القول بغير الحق،و القرآن الحكيم فی هـذا الـدرس و فی دروس أخری یـذکّر البشـر بهـذه الحقیقه لأن ذلک طریق قریب لهدایه الإنسان.

ص:۴۲۲

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۷۱ الی ۷۳]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ إِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقٰامِي وَ تَذْكِيرِي بِآيٰاتِ اَللّٰهِ فَعَلَى اَللّٰهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكٰاءَكُمْ ثُمَّ لاٰ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اُقْضُوا إِلَيَّ وَ لاٰ تُنْظِرُونِ (۷۱) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمٰا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلَى اَللّٰهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۷۲) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي اَلْفُلْكِ وَ جَعَلْنٰاهُمْ خَلاٰئِفَ وَ أَغْرَقْنَا اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلْمُنْذَرِينَ (۷۳)

اللغه

۷۱[كبر]:عظم و شق.

[غمه]:الغمه ضيق الأمر يوجب الحزن.

ص:۴۲۳

نوح يتحدى بالرساله الكافرين

هدى من الآيات:

تلك كانت محتويات الرساله الالهيه:التذكره بالعقل،و التوجيه الى اللّه و مقاومه الجاهليه التى هى اتباع الظن و الخرص،و هناك محتوى آخر للرساله الالهيه يشهد على أنها حق من رب العالمين و هو توكل المؤمنين بها على اللّه،و استقامتهم أمام كل الضغوط،اعتمادا على الغيب كما فعل شيخ المرسلين نوح عليه السلام ،حيث تحدى قومه بكل وضوح فقال:ان كان تذكيرى بالله صعبا عليكم فانى قد توكلت على اللّه،فاجمعوا أمركم و لملموا قواكم أنتم و شركاؤكم،ثم لا يكن أمركم بينكم غمه،تحزنون على تفريطكم فى الاستعداد للمواجهه.ثم طالبهم نوح بالمواجهه الفعليه دون تعطيل.

أما إذا توليتم فلن أطالبكم بأجر،و هذا دليل آخر على صدق الرساله،و لن أطالبكم بأن تصبحوا مسلمين لى بل لله.بيد أن قوم نوح كذّبوه،فتدخّل الغيب الذى اعتمد عليه و نجّاه اللّه و من معه فى الفلك،و جعلهم اللّه ورثه لمن هلكوا

ص:۴۲۴

بالغرق،و هكذا كانت عاقبه الذين كذبوا-الهلاك.

بينات من الآيات:

التوكل سلاح المؤمن:

[۷۱]حين نتلو قصه الرسالات السماويه فی صراعها مع الجاهليه،نزداد وعيا بحقيقه هذه الرسالات و ايمانا بصدقها،و لهذا يكرّر القرآن بيان هذه القصه الواحده فی جوهرها،و المختلفه فی صورها،فهذا نوح شيخ المرسلين يتحدی قومه بسلاح الرساله وحدها،متوكلا علی اللّه.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ إِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقٰامِی وَ تَذْكِيرِی بِآيٰاتِ اللّٰهِ فان كان صعبا عليكم قيامی ضد أفكاركم و تقاليدكم،و خروجی عن أطار الرسوم و العادات،بالرغم من أنی واحد منكم،فأنتم قومی دون غيركم،و الأصعب من ذلك عليكم اننی أذكركم بآيات اللّه،و أحاول ردعكم عن الأفكار و التقاليد التی آمنتم بها،فان كان كل ذلك عظيما عندكم و لا يمكنكم احتماله.

فَعَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْتُ دون خوف منكم،و دون اعتماد علی قوه ماديه دونكم،بيد أن اللّه الذی أتوكل عليه قوی عزيز،لذلك لا أخشی منكم بل اننی أتحداكم بصلابه.

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكٰاءَكُمْ أی اجمعوا كل ما تملكون من قوه ماديه و معنويه،و أضيفوا إليها قوه شركائكم، دون أن تتركوا شيئا من الاستعداد حتی لا تحزنوا غدا.

ثُمَّ لاٰ يَكَنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكَمْ غُمَّةً باعثا للغم و الأسى.

ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لاٰ تُنْظِرُونِ

من حقائق الرساله:

أى رتّبوا أمركم فيما يخصنى،و ضعوا خططكم فى مقاومه رسالتى،و تفاصيل مكركم ضدى بمتانه و إحكام،و لا تعطونى مهله أبدا.

إنه تحداهم بقوه الرساله،و نابذهم العداء اعتمادا على اللّه،مما دلّ على الحقائق التاليه:

أولا:ان الرساله ليست ناشئه الوسط الثقافى و الاجتماعى حتى تكون متأثره به سلبيا،بل ثوره مباركه ضد سلبيات هذا الوسط.

ثانيا:ان الرسول مؤمن قبل أى أحد برسالته،و يضحّى من أجلها بكل ما يملك،و لو كان-حاشا لله-كاذبا أو ساحرا لما أقدم على التهلكه من أجلها.

ثالثا:أن الرساله ظاهره غيبيه تتحدى كل العوامل الماديه و تنتصر عليها، و الرسول عارف بذلك.

رابعا:انها لا تداهن السلبيات القائمه،و لا تجرى لاصلاحها سبيل التدرج المرحلى،أو الطرق السلميه،بل تتحداها جذريا،لأنها جاءت من عند اللّه خالق الناس و مالك السموات و الأرض،و لذلك لا معنى للمهادنه،أو تقديم التنازلات المرحليه،أو السكوت عن السلبيات.

صدق الرساله و الرسول:

[۷۲]و أخذ نوح علیه السلام ینصح قومه بأسلوب آخر،حیث أوضح لهم أن هدفه من تبلیغ الرساله لیس أبدا الحصول علی مکاسب مادیه،بل رضوان اللّه و أنه هو أول من یعمل بما یقول.

فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَمٰا سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ و هکذا سائر الرسالات السماویه لا یهدف العاملون علیها و المبشرون بها بلوغ مطامح مادیه مما یشهد علی صدقهم فیما یخبرون.

[۷۳]و الذی حدث فی نهایه المطاف دلّ علی صدق الرساله أیضا،حیث أهلک اللّه و بطریقه غیبیه قوم نوح و نجّاه هو و المؤمنین برساله اللّه.

فَکَذَّبُوهُ فَنَجَّیْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ وَ جَعَلْنٰاهُمْ خَلاٰئِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا فَانْظُرْ کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الْمُنْذَرِینَ الذین أنذرهم اللّه عن طریق رسوله نوح«علیه السلام»لقد انتهت عاقبتهم بالغرق بسبب تحدیهم للرساله و استکبارهم،أو لیس ذلک شاهد علی صدق الرساله الالهیه؟!

[سوره يونس (۱۰): الآيات ۷۴ الى ۷۸]

اشاره

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ اَلْمُعْتَدِينَ (۷۴) ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَ هارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۷۵) فَلَمّا جاءَهُمُ اَلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هٰذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (۷۶) قالَ مُوسى أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هٰذا وَ لا يُفْلِحُ اَلسّاحِرُونَ (۷۷) قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا اَلْكِبْرِياءُ فِي اَلْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ (۷۸)

اللغه

۷۸[لتلفتنا]:اللفت الصرف عن الأمر.

[الكبرياء]:السياده و السلطه.

ص:۴۲۸

هكذا يطبع اللّه على قلوب المعتدين

هدى من الآيات:

و مضت رسالات اللّه على ذات السنّه،حيث بعث اللّه أنبياءه الكرام الى قومهم،فجاء الرسل بالبينات لهدايه قومهم،و لكنهم رفضوا الايمان كما رفضه الأسبقون،و ذلک لتمرسهم بالاعتداء و الظلم.

و هکذا استمرت سلسله الرسالات حتى جاء دور موسى حيث بعثه اللّه تعالى و هارون الى فرعون و ملأه بآيات اللّه، فاستكبر فرعون و كبار المفسدين ممن حوله، و رفضوا الهدايه و مارسوا عمليا الجرائم بحق المستضعفين،و اتهموا موسى بأنه ساحر، كما اتهموا رسالته الحقه بأنها سحر واضح،و تميّز موسى غضبا كيف يقولون للحق انه سحر بينما الساحر لا يفلح و لا ينتصر،و لكنهم عاندوا بالرغم من دحض باطلهم، و قالوا المهم عندنا البقاء على دين آبائنا،و اننا لا نتنازل عنه،و لان هدفكم هو السلطه،و اننا لا نؤمن لكم أبدا.

و هكذا تكررت سيره نوح عند موسى و هارون باختلاف بعض التفاصيل،و لكن

بذات المحتوى.

بينات من الآيات:

خط الرساله:

[۷۴]رسالات اللّه تشكل خطا مستمرا عبر العصور،كما ان الجاهليه التى تقف أمام الرسالات تشكل خطا ثابتا فى جوهره،و علينا البحث عن خط الرسالات الذى يجسد اليوم واقع الرسالات السابقه بجوهرها فننتمى اليه.

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كما الرسالات خط،فالجاهليه خط مستمر معها،فان قوم نوح كذّبوا رسالته، و كذّب قوم إبراهيم برسالته لماذا؟ لاشتراكهم جميعا فى دوافع التكذيب و منها الاعتداء الذى هو تجاوز الحقوق، و الإسراف فى النعم،و الذى جاءت رسالات اللّه من أجل إنقاذ البشر منه، و كما جاء فى آيه قرآنيه أخرى حيث قال سبحانه: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّنٰاتِ* وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْمِيزٰانَ لِيَقُومَ النّٰاسُ بِالْقِسْطِ (۲۵/الحديد).

فاقامه القسط و العداله فى الأرض هدف الرسالات الالهيه،كما أن منع الإسراف فى الشهوات و توجيه الغرائز،و بالتالى مقاومه ما يسمى بالظلم الذاتى هدف آخر للرسالات،و طبيعى فى هذه الحاله أن يقف المعتدون الظالمون للناس أو لأنفسهم أمام الرساله،ذلك لأن الظلم ظلمان فظلم فى القلب،و ظلم فى السلوك السيء ينعكس سلبيا على النفس،و يحجب عنها نور العقل.

كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ

فالمعتدون تنغلق قلوبهم عن الاهتداء،و هذه سنه من سنن اللّه سبحانه.

موسى و فرعون النموذج البارز:

[۷۵]و كمثل على هذه الحقيقه يستشهد به القرآن الحكيم،ليعطينا رؤيه واضحه تجاه ما يمكن أن يكرر يوميا فى حياه الناس،كمثل عليها قصه موسى و هارون عليهما السلام الذين بعثهما اللّه برسالاته الى فرعون الطاغوت و ملأه،أى كبار معاونيه المفسدين فى الأرض،و لكن بسبب ممارستهم الجريمه،و الظلم،و الاعتداء،و بسبب انعكاس سلوكهم الفاسد على فكرهم،استكبروا عن قبول الرساله.

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ بِآيٰاتِنٰا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كٰانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ [۷۶]كيف استكبروا؟و هل اعترفوا بالحقيقه و هى أن ظلمهم للناس،هو سبب استكبارهم و ضلالتهم؟كلا..بل برّروا رفضهم للرساله بتبريرات باطله،مما يمكن أن يتكرر فى كل عصر.

فَلَمّٰا جٰاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا إِنَّ هٰذٰا لَسِحْرٌ مُبِينٌ إنهم رفضوا التسليم للحق الذى هو من عند اللّه خالقهم،و الذى كان واضحا لا ريب فيه،و نسبوا الحق الى السحر،و الناس البسطاء لا يميزون بين السحر و الرساله، إذ كلاهما خارق لعاداتهم و لا يعرف الناس مغزاهما،لذلك تلبّس الأمر على الناس، و هكذا أضلوا الناس،و كذلك يمكن أن يتكرر الأمر مع الناس فى كل عصر، فالطاغوت و ملأه حين يخالفون الحق لا يعترفون بالدوافع الحقيقه لمخالفتهم من استكبارهم،و تمرسهم بالجريمه و الظلم،بل يتهمون الحق ببعض التهم التى تضلل الناس البسطاء و تفتنهم،و تلبّس الحق بالباطل،و تشبه الرساله بالسحر،و الثوره

بالفوضى،و الإصلاح بتعكير صفو الأمن،و المطالبه بالحريه و المساواه بالهرطقه و التمرد على القيم هكذا.

فعلى الناس أن يتسلحوا بالوعى الكافى للتمييز بين الأقوال التى ينطق بها أصحاب الرساله،أو أنصار الطاغوت،و لا يرفضوا الرساله بالتأثر بالشبهات التى تثيرها أجهزه الطغاه ضدها،و هذا من عبر القصص القرآنيه حول الرسل.

الرد الرسالى:

[۷۷]و كما كانت شبهه الطغاه حول الرساله متناسبه مع بساطه الجماهير،فان رد هذه الشبهه من طرف الرسل كان بلغه مفهومه لدى الجماهير الساذجه أيضا،مما كشف زيف الشبهه لهم.

قَالَ مُوسَىٰ أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هٰذَا فلقد نفى موسى أن يكون كلامه سحرا،و أوضح أنه حق،و الحق واضح المعالم بعيدا عمن ينطق به،فاذا جاءكم الحق سواء عن طريقى أو بطريق آخر،لا بد لكم أن تقبلوه و تطيعوه،و ربما تشير الآيه الى أن الحق هذا كان مقبولا عندهم إذا بقى بعيدا عنهم،فكل الناس حتى الطغاه منهم يتفوهون بالحق و يعتقدون به،بل يطالبون الآخرين بتحقيقه،فمن الذى لا ينطق بالعداله و لا يطالب بالتقدم و التطوير؟! و لكن إذا جاءه الحق و عارض مصالحه،رفضه و نسبه الى السحر،بينما الحق نفسه لما كان عند غيره كان مقبولا و لا يسمى بالسحر،أو ليس هذا الدليل البسيط و المفهوم عند الناس كافيا لدحض شبهتهم؟ و لم يكتف موسى بهذا الدليل بل تابع مضيفا:

ص:۴۳۲

وَ لاٰ يُفْلِحُ السّٰاحِرُونَ مؤكدا انه يرفض مهنه السحر،بينما السحره يفتخرون بها،و هذا وحده كاف للدلاله على أنه غير ساحر،ثم أن الساحر لا يبلغ أهدافه لأنه لا يتبع الحق،بل يجرى وراء مصالحه و تراه فى صف الظالمين و الطغاه،و لا يتسم سلوكه الشخصى بالقيم الانسانيه،بل تجده عاده متوغلا فى الرذائل المنبوذه عند الناس،و بالتالى تجد الساحر بسبب مواقفه السياسيه و سلوكه الشخصى مكروها عند الناس،و لا يقدر على تحقيق أهدافه من أمامه الناس،و قياده المجتمع،بينما الرسول يدعو الى فطره الحق،و يقف الى جانب المستضعفين،و يطبّق تعاليم السماء فى توجيه الناس الى الخير،و سلوكه الشخصى سلوك مثالى،مما يجعله قريبا الى قلوب الناس،قريبا الى تحقيق أهدافه منتصرا سعيدا،و هذا واضح للناس جميعا،فالناس أنّى كانوا رأوا أو سمعوا المصلحين و فى طليعتهم الرسل،و عرفوا السحره انئذ يمكنهم أن يعرفوا الفرق بين هذين الطرازين من الناس،بأدنى توجيه و تذكره.

النخوه الجاهليه:

[۷۸]و حين زهق باطل الطغاه،عاند القوم و أثاروا فى الناس نخوه الجاهليه، و الخوف من الإصلاح.

قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا لِتَلْفِتَنٰا عَمّٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ آبٰاءَنٰا فنحن قوم متحضرون ذو و تقاليد قديمه كيف نؤمن بكم و أنتم ضدها؟! وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيٰاءُ فِي الْأَرْضِ فأنتما لستما من رسل الحق بل من طلاب المنصب،و هذه تهمه مباشره للشخص،بينما موسى كان يوجه الحديث الى محتوى الرساله،و هذا التغيير هو من

عاده الطغاه،حيث يحولون الصراع بينهم و بين أصحاب الدعوه الى صراع شخصى بينما هو صراع فكرى لذلك.

وَ مٰا نَحْنُ لَكُمٰا بِمُؤْمِنِينَ و كأن موسى و هارون دعوا قومهما بالايمان بهما دون الرساله.

و هكذا انتهت مرحله البلاغ،و جاء دور الصراع السياسى الذى نقرؤه فى الدرس القادم بأذن اللّه تعالى.

[سوره يونس (10): الآيات 79 الى 86]

اشاره

وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ اِئْتُونِي بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمّٰا جٰاءَ اَلسَّحَرَةُ قٰالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا مٰا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمّٰا أَلْقَوْا قٰالَ مُوسىٰ مٰا جِئْتُمْ بِهِ اَلسِّحْرُ إِنَّ اَللّٰهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُصْلِحُ عَمَلَ اَلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَ يُحِقُّ اَللّٰهُ اَلْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمٰا آمَنَ لِمُوسىٰ إِلاّٰ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعٰالٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ اَلْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَ قٰالَ مُوسىٰ يٰا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقٰالُوا عَلَى اَللّٰهِ تَوَكَّلْنٰا رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِينَ (٨٥) وَ نَجِّنٰا بِرَحْمَتِكَ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلْكٰافِرِينَ (٨٦)

اللغه

٨٣[ذريه]:الذريه جماعه من نسل القبيله.

ص:٤٣٥

الفشل عقبى المستكبرين

هدى من الآيات:

و جاء دور الصراع الثقافى و الاجتماعى،و جمع فرعون سحرته الماهرين فى السحر و طلب منهم موسى أن يلقوا سحرهم،فلما ألقوا قال موسى متحديا و متوكلا على اللّه ان اللّه سيبطل سحركم،لأن اللّه لا ينصر المفسدين،و هم السحره الذين يبتغون الفساد من سحرهم،و ان اللّه يحق الحق بكلماته،الغيبيه الحقه،و لو كره فرعون و أمثاله من المجرمين.

و آمن لموسى و رسالته ذريه من قومه من بنى إسرائيل،خائفين من فرعون و المفسدين من أعوانه لكى لا يكرههم على الكفر مره أخرى،لأن فرعون كان عاليا متجبرا و متسلطا على الناس،و كان من المسرفين الذين يستخدمون كل امكاناتهم فى لحظه واحده.

و لكن موسى الذى تحدى السحره بعزه اللّه،أمر قومه المؤمنين بتحدى فرعون بقوه الايمان،و سلاح التوكل على اللّه و التسليم لأوامره،و لما يستوجب أوامره من

تضحیات،و استجاب قومه لهذا الأمر فتوكلوا علی اللّه سبحانه و قالوا «رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ» تمتحنهم بنا،فیقتلوننا و یعذبوننا دون أن تردعهم غیبیا لكی تبتلیهم،و دعوا اللّه أن ینجیهم برحمته من القوم الكافرین.

بینات من الآیات:

و دقت ساعه الصفر:

[۷۹]و حانت لحظه المواجهه،التی كشفت الخلفیه الغیبیه للرسالات السماویه و التی تمیزها كلیا عن الدعوات الاصلاحیه أو الثورات الاجتماعیه أو الصراعات السیاسیه،تلك اللحظه التی وقف فیها موسی(رسول اللّه)یتحدی كل أسلحه الطاغوت بإیمان راسخ و عزم شدید.

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِی بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِیمٍ [۸۰] فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسیٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ لقد تحداهم موسی لأنه لا یرهب قوه سحرهم،لا لأنه كان یعرف ماذاً سیحدث إذا ألقوا سحرهم تفصیلیا،بل دون أن یعرف ما هو سحرهم بالضبط،و لكنه كان عالما بالنتیجه عن طریق ایمانه باللّه.

[۸۱] فَلَمّا أَلْقَوْا قالَ مُوسیٰ ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَیُبْطِلُهُ و علمه بأن اللّه سیبطل سحر السحره كان بدوره نابعا من معرفته بسنه اللّه فی الحیاه التی تقضی بابطال الفساد.

إِنَّ اللّهَ لا یُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِینَ و السحره مفسدون،لا یهدفون إصلاح المجتمع بعلمهم،و الفساد شذوذ ینتهی،

ص:۴۳۷

و انحراف يزهق،و باطل لا يدوم،و اللّه لا يصلحه،بعكس الرسول المصلح الذى ينشد اقامه الحق و العدل.

نصر اللّه:

[۸۲] وَ يُحِقُّ اللّٰهُ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فالحق ينصره اللّه،مره بكلماته الرساليه التى تفضح الباطل،و تعطى للمؤمنين بالحق سلاحا إيديولوجيا و برنامجا ثوريا متكاملا،و مره بكلماته الغيبيه التى إذا قال لشيء«كن»فيكون،أما الطاغوت فانه مجرم بحق الناس،و المجرم لا سلطه له على الحياه برغم التظاهر بذلك.

[۸۳]و هكذا استمر الصراع حتى تبلور فى ايمان طائفه من الناس بالرساله و تجسيدها لمفاهيمها و برامجها.

فَمٰا آمَنَ لِمُوسىٰ إِلاّٰ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِمْ لماذا خشوا من فرعون؟إنهم خافوه على دينهم حتى لا يفتنهم عن الدين بالضغط الشديد.

أَنْ يَفْتِنَهُمْ و لقد كان فرعون متسلطا على الناس،مسرفا فى استخدام موارد الطبيعه.

وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعٰالٍ فِى الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ

التوكل سلاح الحسم

[۸۴]و لكن بالرغم من علو فرعون و إسرافه،و بالرغم من قدرته و ثروته،فان

ص:۴۳۸

موسی أمر قومه بالتوکل علی اللّه.

وَ قٰالَ مُوسیٰ یٰا قَوْمِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَیْهِ تَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُسْلِمِینَ و هکذا أمرهم موسی بأن یکونوا مثله فی التوکل علی اللّه.

[۸۵] فَقٰالُوا عَلَی اللّٰهِ تَوَکَّلْنٰا رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّٰالِمِینَ انما قالوا هذه الکلمه الحاسمه بعد أمر موسی لهم،و تذکیرهم بأنها شرط الایمان باللّه،و شرط التسلیم لقضائه و قدره،و لکنهم بالرغم من توکلهم علی اللّه،کانوا یتطلعون الی النجاه من مأساتهم.

و لم یکونوا یهدفوا تعذیب أنفسهم مثلما تفعله(السادیه)أو توحی به بعض المذاهب الصوفیه،لذلک تراهم یدعون اللّه لکی لا یجعلهم ماده لاختبار الظالمین و ابتلائهم،مما یدل علی أن اللّه یقدّر لبعض المؤمنین الشهاده و لا یمنع عنهم ظلم الظالمین،امتحانا لأولئک الظالمین،بالرغم من أنه سبحانه ینصر عباده المؤمنین فی عاقبه الأمر،

جاء فی حدیث مأثور عن الامام الصادق علیه السلام ان معنی هذه الآیه:«لا تسلطهم علینا فتفتنهم بنا » (۱).

الرؤیه فی الصراع:

[۸۶]لذلک تضرّع المؤمنون من قوم موسی الی ربهم لکی ینجیهم قائلین:

وَ نَجِّنٰا بِرَحْمَتِکَ مِنَ الْقَوْمِ الْکٰافِرِینَ و هذه هی رؤیه المؤمنین الی الصراع،فلیست عاقبه الصراع مجهوله،و لا هی فی

۱- ۱) راجع مجمع البیان ج ۳/ص ۲۲۴

مصلحه الکفار،و لکن لا یعنی ذلک ان الصراع یکون سهلا و بلا تضحیات،أو بلا عمل و اجتهاد،و الدعاء الی اللّه هو نوع من العمل.

ص:۴۴۰

[سوره یونس (۱۰): الآيات ۸۷ الى ۹۳]

اشاره

وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءٰا لِقَوْمِكُمٰا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اِجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ (۸۷) وَ قٰالَ مُوسىٰ رَبَّنٰا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوٰالاً فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا رَبَّنٰا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اِطْمِسْ عَلىٰ أَمْوٰالِهِمْ وَ اُشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَلاٰ يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِيمَ (۸۸) قٰالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا فَاسْتَقِيمٰا وَ لاٰ تَتَّبِعٰانِّ سَبِيلَ اَلَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ (۸۹) وَ جٰاوَزْنٰا بِبَنِي إِسْرٰائِيلَ اَلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتّٰى إِذٰا أَدْرَكَهُ اَلْغَرَقُ قٰالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اَلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرٰائِيلَ وَ أَنَا مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۹۰) آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ اَلْمُفْسِدِينَ (۹۱) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ اَلنّٰاسِ عَنْ آيٰاتِنٰا لَغٰافِلُونَ (۹۲) وَ لَقَدْ بَوَّأْنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْنٰاهُمْ مِنَ اَلطَّيِّبٰاتِ فَمَا اِخْتَلَفُوا حَتّٰى جٰاءَهُمُ اَلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۹۳)

اللغه

۸۷[تبوّء]:تبؤا أى اتخذا يقال تبوأ لنفسه بيتا اى اتخذه و بوأت له بيتا اى اتخذته له.

۸۸[اطمس]:الطمس محو الأثر.

۹۰[و جاوزنا]:المجاوزه الخروج عن الحد من أحد الجهات الأربع.

[فأتبعهم]:الاتباع طلب اللحاق بالأول و أريد به انه اقتدى بهم و اتبع أثرهم.

[بغيا]:البغى طلب الاستعلاء بغير حق.

[عدوا]:العدو و العدوان الظلم.

هكذا نصر اللّه رسوله

هدى من الآيات:

و بعد أن آمنت ذريه من قوم موسى بالرساله،اتخذ الصراع شكلا اجتماعيا، و أمر اللّه رسوله أن يتخذ لقومه المؤمنين بيوتا متقاربه و متقابله،و أن يقيموا الصلاه، و يبشر المؤمنين،و هكذا انفصل المؤمنون عن الكفار،بيد أن زينه الدنيا و مباهجها و ثرواتها كانت بأيدى الكفار،فدعى موسى ربه الاّ يدع فرعون و زبانيته يضلون عن سبيل الحق بسبب تلك الزينه،و الأموال،بل يطمس على أموالهم،و يشدد على قلوبهم فيسلبهم علمهم و عقلهم،فلا يؤمنوا حتى يأتيهم العذاب،فلا ينفع الايمان.

فاستجاب اللّه لدعوه موسى و هارون،و لكنه أمرهما بالمقابل أن يستقيما و الاّ يخضعا للضغوط فيتبعان سبيل الجاهلين،و لكن كيف تحقق دعاء موسى و هارون؟ و متى؟ حينما هيأ اللّه لبنى إسرائيل البحر بطريقه غيبيه،فعبروه الى صحراء سيناء، فلحقهم فرعون و جنوده ليفتكوا بهم و لكنهم أغرقوا،و حين أحاط به الماء قال:آمنت

انه لا اله الا اللّه،بعد أن جاءه العذاب الأليم،و ناداه مناد هل تؤمن بعد أن عصيت اللّه و أفسدت فی الأرض؟ان الایمان لا ینفع الآن،و ان اللّه سوف ینجیک ببدنک لتکون لمن خلفک آیه و عبره،بید أن کثیرا من الناس عن آیات اللّه غافلون.

و لقد هیأ اللّه لبنی إسرائیل مقاما آمنا،و رزقهم من الطیبات،و ما اختلفوا الاّ من بعد أن جاءهم العلم،فلم یقصّر اللّه سبحانه بحقهم،و إن اللّه سوف یقضی بینهم یوم القیامه بالنسبه الی خلافاتهم.

بینات من الآیات:

ضروره التجمع:

[۸۷]فی بعض مراحل الصراع بین الإسلام و الجاهلیه،تحتاج الفئه المؤمنه الی تجمیع أفرادها فی کتله اجتماعیه رصینه،لکی یقاوموا الضغوط و لا یذوبوا فی تیار الجاهلیه الخادع،و من هنا أوحی اللّه الی موسی و هارون أن یبنیا لقومهما بیوتا مجتمعه الی بعضها و متقابله،لمقاومه احتمالات الاعتداء،و أن یقیموا الصلاه،و یعطوا أمل الانتصار للناس.

وَ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ مُوسیٰ وَ أَخِیهِ أَنْ تَبَوَّءٰا لِقَوْمِکُمٰا بِمِصْرَ بُیُوتاً وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَهً وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ و اقامه الصلاه تزید التلاحم الرسالی کما تزید روح المقاومه،کما أن روح الأمل و انتظار الفرج تحافظ علی مستوی النشاط و الحیویه فی الرسالیین،و فی تلک الأجواء المنغلقه کانت اقامه الصلاه و البشاره ضروره هامه،لکی لا یفقد المؤمنون روح النشاط و الترابط.

الدعوه علی الکافرین:

[۸۸]و بعد الفصل الاجتماعی بین الفئه المؤمنه و الأغلبیه الکافره،حانت المرحله الثانیه حیث دعا موسی ربه بأن یسلب من فرعون و ملأه المفسدین ما أعطاهم من الثروه و السلطه.

وَ قٰالَ مُوسیٰ رَبَّنٰا إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِینَةً وَ أَمْوٰالاً فِی الْحَیٰاةِ الدُّنْیٰا قیل بأن الزینه هی الحلی و الثیاب،و قال البعض انها الجمال و صحه البدن، و أعتقد أن الکلمه(الزینه)شامله أیضا لحسن الذکر و الهیبه الاجتماعیه،مما یکون جانبا من السلطه،إذ السلطه تعتمد علی عامل مادی هو المال،و عامل معنوی هو تسلیم الناس لها،و اعتبار المشرفین علیها أفضل من غیرهم.

رَبَّنٰا لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلِکَ فالسلطه یجب أن تکون سببا لسعاده الناس،و لیس طریقا لضلاله الناس عن سبیل اللّه،کما فعل فرعون و ملأه فاستحقوا العذاب،و یبدو لی أن لفظه(اللام)فی کلمه «لِیُضِلُّوا» لا تدل علی العاقبه،و لا علی الهدف و الغایه،بل بمعنی الاستفهام، ای هل کان المال و الزینه بهدف ضلاله الناس أم بهدف هدایتهم و اسعادهم؟! بالطبع الجواب أنه کان بهدف الهدایه،إذ ان فرعون و ملأه کفروا بنعمه السلطه و ینبغی أن یسلبها اللّه منهم.

رَبَّنَا اطْمِسْ عَلیٰ أَمْوٰالِهِمْ أی اجعلها بحیث لا ینتفعون منها،کما تطمس الدیار بالریاح فتمحوا آثارها،فمثلا مع انعدام الأرزاق،و قلّه السلع،و افتقاد الأمن فی سبل التجاره لا

ينفع المال شيئا،و مع انتشار الأوبئه و الأمراض الساريه،و الجفاف و سوء الطقس لا ينفع المال شيئا،و مع انتشار الإرهاب،و تسلط الديكتاتوريه،و الغلاء الفاحش لا ينفع المال شيئا،و هكذا يفعل اللّه بمن لا يشكر نعمه المال فيسلب فائدته.

وَ اشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أى انزع اللين و الانفتاح من قلوبهم حتى تصبح قلوبهم متحجره،و منغلقه، و التحجر يسبب فقدان العواطف و الاحاسيس،و بالتالى فقدان الترابط الاجتماعى بين أبناء الفئه الحاكمه،كما أن الانغلاق يمنع التطوير و التقدم،و يسبب الجمود على الأفكار السابقه،و هكذا يزول حكم هؤلاء بسبب الشد على قلوبهم،لأن السلطه التى عبّر عنها القرآن-فيما يبدو لى-بالزينه مستحيله مع التفتت و الجمود.

و من أبرز مظاهر الجمود أن صاحبه لا يؤمن بالحقائق إلّا بعد فوات الأوان.

فَلاٰ يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذٰابَ الْأَلِيمَ و السلطه المستمره هى التى تحس بالتطورات القائمه و تحاول احتوائها، و آل فرعون لم يؤمنوا بما حدث الّا بعد أن أدركهم الغرق.

استجابه الدعوه:

[۸۹]و كان ذلك بسبب دعاء موسى و هارون.

قٰالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا و لكن هل الدعاء وحده كاف للقضاء على الجاهليه؟

كلا..بل يجب أن يلتزم صاحب الدعاء بدوره بمحتوى دعائه،فحين يدعو المسلم على الطاغوت بزوال سلطانه،فعليه الاّ يخضع لهذا الطاغوت،لأن خضوعه له نوع من الدعم له،و بالتالى مخالف لوجهه دعائه،و حين يلعن الثائر سلطه جائره فان معنى اللعن ابتعادها عن رحمه اللّه، و هكذا يجب عليه الاّ يدعم هذه السلطه بل يحاربها أيضا،كما يطلب من اللّه أن يحاربها،لذلك أمر اللّه تعالى موسى و هارون فى مقابل استجابه دعائهما أن يستقيما.

فَاسْتَقِيمٰا وَ لاٰ تَتَّبِعٰانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ و الاستقامه تعنى مقاومه ضغوط الطاغوت قبل سقوطه،مثل:السجن، و التعذيب،و القتل،و التجويع،بيد أن محاربه الطاغوت بحاجه أيضا الى محاربه نهجه الفاسد،فالفئه المؤمنه يجب أن تغير ذاتها سلوكيا،ثم تتعهد بتطبيق برامج اللّه على نفسها فى علاقاتها مع بعضها،و فى اتباعها لقيادتها الرساليه،و فى سلوكيات أبنائها الشخصيه،و هذا بعض معانى الكلمه الأخيره فى الآيه.

[۹۰]و جاوز اللّه تعالى ببنى إسرائيل البحر بسبب استقامتهم،و اتباعهم نهج الرساله،و أغرق اللّه تعالى فرعون و جنوده استجابه لدعاء المؤمنين.

وَ جٰاوَزْنٰا بِبَنِی إِسْرٰائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً أى لحقهم فرعون استعلاء فى الأرض،و طلبا للسلطه،و ظلما للناس.

حَتّٰى إِذٰا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قٰالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرٰائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ و هكذا استمر فرعون كافرا حتى جاء العذاب الأليم،فآمن فى الوقت الذى لم ينفعه الايمان.

[۹۱]و لکن الایمان بعد حلول العذاب لا یجدی صاحبه شیئا،لذلک خاطبه الحق.

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ أی أ تؤمن الآن،بعد مشاهده العذاب بینما عصیت قبل ذلک و أفسدت فی الأرض؟ [۹۲]و التهمت الأمواج فرعون،و لکنها قذفت بدنه خارجا لیکون آیه لمن بعده، کیف انتهت عاقبه ذلک الطاغوت الذی ادّعی أنه الرب الأعلی لبنی إسرائیل؟و لا یزال فی متاحف مصر بعض أجساد فراعنتها.

فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَهً وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النّاسِ عَنْ آیاتِنا لَغافِلُونَ

الاختلاف بعد العلم:

[۹۳]و هکذا انتصرت الفئه المؤمنه بالرساله،المتوکله علی اللّه،و المتحدیه سلطان الجاهلیه،انتصرت بإذن اللّه علی کید الطاغوت،و لکن انتصارهم لم یکن بالمکر و الظلم بل بالعمل الصالح.

وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ أی مکّنهم اللّه مقاما آمنا بصدق.

وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ فاختلافهم اللاحق لم یکن بسبب الرساله،بل بسبب أهوائهم،و کان بعد

وضوح السبیل أمامهم.

إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إذ الحق عند اللّه،و غموضه عند طائفه من الناس انما هو بسبب اتباعهم للهوی و الشهوات.

ص:۴۴۹

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۹۴ الی ۹۸]

اشاره

فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ فَسْئَلِ اَلَّذِینَ یَقْرَؤُنَ اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکَ لَقَدْ جٰاءَکَ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِینَ (۹۴) وَ لاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ فَتَکُونَ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (۹۵) إِنَّ اَلَّذِینَ حَقَّتْ عَلَیْهِمْ کَلِمَتُ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۹۶) وَ لَوْ جٰاءَتْهُمْ کُلُّ آیَهٍ حَتّٰی یَرَوُا اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِیمَ (۹۷) فَلَوْ لاٰ کٰانَتْ قَرْیَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهٰا إِیمٰانُهٰا إِلاّٰ قَوْمَ یُونُسَ لَمّٰا آمَنُوا کَشَفْنٰا عَنْهُمْ عَذٰابَ اَلْخِزْیِ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ مَتَّعْنٰاهُمْ إِلیٰ حِینٍ (۹۸)

اللغه

۹۴[الممترین]:طلب الشک مع ظهور الدلیل.

ص:۴۵۰

قوم يونس تابوا فی الوقت المناسب

هدی من الآیات:

بعد أن استعرض السیاق قصص الرسالات السابقه،و کیف کفر بها الناس، فتوکل المؤمنون بها علی ربهم،حتی نصرهم،بیّن هذا الدرس عبره تلک القصص فیما یخص الرساله الخاتمه،و أمر رسوله و من ورائه کل من یقرأ الکتاب بأنه لو کان فی شک من الرساله أو من انتصارها،فلیسأل العارفین بالتاریخ،و ان هذا هو الحق من الله،و لا یکونن من الشاکین،و لا من الذین کذّبوا بآیات الله و خسروا،فیکون مثلهم خاسرا.

بلی أن الذین ظلموا أنفسهم و انحرفوا سلوکیا،إنهم حکموا من قبل الله بالضلاله،فحقت علیهم کلمه ربک،و لذلک فهم لا یؤمنون حتی و لو جاءتهم مختلف الآیات التی یطالبون بها،و التی یعتقد انها لو جاءتهم آمنوا بها،أجل انهم سوف یؤمنون فی لحظه مشاهده العذاب،حین لا ینفعهم ایمانهم،کما لم ینفع أیّه قریه من هذه القری الظالم أهلها الذین أهلکهم الله بکفرهم و بذنوبهم فلم یؤمنوا

ص:۴۵۱

الاّ فی لحظه الهلاک،إلاّ قوم یونس لما آمنوا کشف الله عنهم عذاب الخزی فی الحیاه الدنیا و أعطاهم مهله الی فتره محدده.

بینات من الآیات:

بین الشک و الیقین:

[۹۴]لم یشک الرسول فی صحه رساله الله التی أنزلت الیه،و لکن خشیه الرسول کانت من عدم تطبیق الرساله بسبب جحود الکفار،و بسبب حکمه الله البالغه التی قد تقتضی تأجیل نصر الله لرسالته،کما کانت خشیه موسی علیه السلام حین ألقی السحره حبالهم فسحرت أعین الناس،کانت خشیته آنئذ من أن تشاء حکمه الله الاّ ینصر رسالته فی تلک اللحظه فتنه للناس،و ابتلاء للرسول.

بید أن هذا الشک و هذا الخوف یقل حینما نراجع التاریخ،و نسأل الذین یقرءونه،حیث ینصر ربنا سبحانه رسالته فی لحظه الحرج و ساعه العسره.

فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکَ و لا یعنی السؤال هنا أن یذهب رسول الله أو المؤمنون به الی شخص مثل «عبد الله بن سلام»الذی آمن بالرساله،و کان عارفا بتاریخ الرسالات،إنما جری الحدیث مجری العموم،أی مراجعه الخبراء و العارفین بالتاریخ من جمیع الطوائف، و طبیعی أن سؤالهم یؤید الحقائق القرآنیه،و لکن بشرط أن یکونوا ثقاه- و الثقه- شرط فطری و عقلی للعالم الذی یسأله الناس.

لَقَدْ جٰاءَکَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ أی حین تراجع التاریخ و تری کیف نصر اللّه رسالاته آنئذ ابتعد عن الشک الی

اليقين،و هـذه الآـيه توحى ببعض الحقـائق التى نشـير إليهـا فيمـا يلى:- ألف:ان الخطابات القرآنيه لا يجب أن تكون موجهه الى شخص الرسول،لأـن القرآن كتـاب اللّه الى الناس جميعا،و بـذلك لا نحتاج الى التأويل كلما وجـدنا خطابا فى الآيات،و لـذلك قـال الزجـاج فى هـذه الآـيه كلامـا نراه فى كل الآيات المتشابهه تقريبا قال:«بأن هـذه الآيه قـد كثر سؤال الناس عنها و خوضـهم فيهـا،و فى السوره ما يـدل على بيانها،فان اللّه سبحانه يخاطب النبى و ذلك الخطاب شامل للخلق،فالمعنى: «فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ» و الدليل على قوله فى آخر السوره: «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ،وَ لكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِى يَتَوَفّاكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (1)فأعلم اللّه سبحانه أن نبيه ليس فى شك.

و يبقى أن نـذكر أن عـدم شـك الرسول و متـانه يقينه انما جاء بسـبب الوحى،فلو لا الوحى و لولا روح القـدس الـذى كان يأتيه بـالوحى،أذا كـان الرسول بشـرا كسائر الخلق،و لـذلك ينبغى الاّ نحاول فصل الرسول و عصـمته و رفعه درجته عن القرآن و أثره فيه.

بـاء:ان الانتفـاع بالعلم الحقيقى جزء من رساله الـدين،و لا يقتصـر هـذا العلم بالفيزياء و الكيمياء مما يتعلق بالعلوم التجريبيه،بل و أيضا التاريـخ و الاجتماع و التى تسـمى بالعلوم الانسانيه،و لكن بشـرط فصل الروايه عن الـدرايه،و فصل المعلومات الحقيقيه عن النظريات الاحتماليه.

جيم:ان الشك و اليقين عملان من عمل البشر الذى يختارهما اختيارا،ذلك

۱- ۱) .۱۰۴/يونس

لأن الشك قد يكون بسبب انعدام العلم،و هذا مفروض على البشر و موجود بسبب عجز البشر الطبيعى،و لكن قد يكون الشك نابعا من الهوى و اتباع الشهوات،فكثير أولئك الذين يشكون فى الحقائق،لأنّهم قرّروا سلفا البقاء فى شكهم،و لأنهم لا يفكرون منطقيا و لا يبحثون عن المصادر السليمه للمعرفه و لأنهم بالتالى يخافون من مسئوليات العلم التى لا بد أن يتحملها كل عالم،لذلك نهى ربنا عن أن يكون الفرد من الشاكين،لأن الشك من عمل الإنسان.

كيف تخسر نفسك؟

[۹۵]كما أن الكفر و الأيمان من عمل الإنسان،لذلك نهى القرآن من أن يكون الفرد مكذبا بآيات اللّه،بأن يتخذ موقفا سلبيا مسبقا من كل دليل علمى يدل على الحقيقه.

وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخٰاسِرِينَ و لماذا يكذب الفرد بالحق،أو ليس من أجل مصالحه و شهواته؟!و لكن عليه أن يعرف أن التكذيب بالحق يسبب له خساره نفسه و مصيره.

[۹۶]و السؤال الذى يفرض نفسه لماذا يسبب الفرد خساره نفسه عن طريق تكذيبه بآيات الحقيقه؟ الجواب:أن فريقا من الناس يكذّبون بالحق بسبب سوء أعمالهم و سلوكهم، فمن اعتاد الظلم،و مارس الجرائم يطبع اللّه على قلبه حتى لا يؤمن،الاّ فى وقت لا ينفعه ايمانه.

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ

ص:۴۵۴

[۹۷]و عدم ایمان هذا الفریق من الناس لیس بسبب نقص فی الآیات،بل بسبب انغلاق أنفسهم دون نور الایمان.

وَ لَوْ جٰاءَتْهُمْ کُلُّ آیَهٍ أجل انهم یؤمنون فقط حین یرون العذاب فلا ینفعهم ایمانهم.

حَتّٰی یَرَوُا الْعَذٰابَ الْأَلِیمَ

التکذیب سنه اجتماعیه:

[۹۸]یبقی أن نعرف أن ذلک لیس قدرا مقضیا علیهم بل سنه اجتماعیه، و الفرق بین القدر و السنه،أن القدر کطلوع الشمس من مشرقها فی وقتها لا یخضع أبدا لاراده البشر،بینما السنه کما الثوره ضد الظلم،و سقوط الطاغوت،قد یتقدم أو یتأخر،أو حتی لا یقع إذا أراد الإنسان،فقد لا یقرر الشعب المضطهد الثوره ضد جلادیه،و قد یغیر الطاغوت عاداته الظالمه فی الوقت المناسب فیمدد فی أجله،و هکذا جحود الظالمین و کفر المکذبین بآیات اللّه لیس قدرا،بل سنّه،فمن الممکن عقلا أن یدور المرء مائه و ثمانین درجه باتجاه الصلاح کما فعل قوم یونس،و لکن لا یقع ذلک عاده بسبب تکبر الفاسقین و تعالیهم عن التوبه الاّ بعد فوات الوقت.

فَلَوْ لاٰ کٰانَتْ قَرْیَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهٰا إِیمٰانُهٰا أی لماذا لم یقدم هؤلاء ایمانهم فی الوقت المناسب؟لماذا لم یتب الطاغوت حین رأی تململا اجتماعیا،بل أخذته العزه بالإثم،حتی أصبح التململ ثوره عارمه؟ و لماذا لم یتب الشعب المتوغل فی الفساد الخلقی،و فی ظلم بعضهم لبعض،حین رأوا قصا فی الثمرات،و تدهورا فی الاقتصاد،و فی الصحه العامه،بل استمروا فی غیّهم حتی أنهار اقتصادهم و صحتهم تماما؟!

أنّ هـذا التحريض القرآنى الشديـد يـدل أولا:على امكانيه تحول الفرد و المجتمع تحولا جـذريا قبل فوات الأوان،و ثانيا:أنه يدل على الصعوبه البالغه لهذا التحول، مما يقتضى التحريض بكلمه عنيفه و هى(لولا).

أجل ان قوم يونس ضربوا مثلا رائعا فى هذا التحول،الذى ينبغى أن يكون قدوه للمجتمعات الضاله التى يعبّر عنها القرآن الحكيم عاده بكلمه(قريه).

إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ الى أن انتهى أجلهم الطبيعى الذى حدّده اللّه لهم،فالأمم كما الأفراد ينتهون بطريقتين:اما بصوره طبيعيّه كحاله الشيخوخه،و أما بسوء أعمالهم كحاله القتل فى الفرد،و الاضطراب فى الأمه.

و قـد سـميت هـذه السوره بـاسم يونس لأهميه التحول الاجتماعى الـذى حـدث عنـد قومه،فليس من السـهل أن يستيقظ مجتمع مسترسل فى الفساد،سادر فى الميوعه و اللامبالاه مره واحده،و يعود الى رشده الأولى.

و جاء فى حديث الصادق عليه السلام عن قصه قوم يونس:

(أنه كان فيهم رجل اسـمه(مليخا)عابد،و آخر اسـمه(روبيل)عالم،و كان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم،و كان العالم ينهاه و يقول له لا تـدع عليهم، فان اللّه يستجيب لك و لا يحب هلاك عباده،فقبل يونس قول العابـد فدعا عليهم، فأوحى اللّه اليه أنه يأتيهم العـذاب فى شـهر كـذا..فى يوم كـذا..فلما قرب ذلك الوقت خرج يونس من بينهم مع العابـد،و بقى العالم فيهم فلما كان اليوم الذى نزل بهم العذاب فقال لهم العالم:أفزعوا الى اللّه فلعله يرحمكم و يرد العذاب

عنكم،فأخرجوا الى المغاره و فرّقوا بين النساء و الأولاد،و بين سائر الحيوان و أولادها،ثم أبكوا و أدعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب،و كان قد نزل بهم و قرب منهم) (۱).

و جاء فی بعض التفاسیر أن قوم یونس قد تابوا بعدئذ توبه نصوحا،حتی ردّ کل ظالم،حق المظلوم الیه،حتی أن الحجر کان فی أساس البناء و کان غصبا،کان الفرد یهدم بناءه و یرده الی صاحبه.

و فی هذا الحدیث اشاره واضحه الی السبب فی توبه قوم یونس و هو:تواجد العلماء بینهم،و احترامهم لمقام العلم.

ص:۴۵۷

۱- ۱) نور الثقلین ج ۲ ص ۳۲۸

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۹۹ الی ۱۰۳]

اشاره

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً أَ فَأَنْتَ تُکْرِهُ اَلنّٰاسَ حَتّٰی یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ (۹۹) وَ مٰا کٰانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ یَجْعَلُ اَلرِّجْسَ عَلَی اَلَّذِینَ لاٰ یَعْقِلُونَ (۱۰۰) قُلِ اُنْظُرُوا مٰا ذٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا تُغْنِی اَلْآیٰاتُ وَ اَلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۱۰۱) فَهَلْ یَنْتَظِرُونَ إِلاّٰ مِثْلَ أَیّٰامِ اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ اَلْمُنْتَظِرِینَ (۱۰۲) ثُمَّ نُنَجِّی رُسُلَنٰا وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا کَذٰلِکَ حَقًّا عَلَیْنٰا نُنْجِ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۰۳)

ص:۴۵۸

بصائر الاختیار السلیم

هدی من الآیات:

یتساءل القارئ للآیات السابقه:لماذا و کیف یختار البشر طریق الایمان أو الکفر؟!فیجیب هذا الدرس عن هذا السؤال بإعطاء بصیره ذات أبعاد أربع عن الایمان و الکفر و هی:

۱-لا یتحقق الایمان بالإکراه،لا من قبل اللّه،و لا من قبل الرسول،فلو شاء اللّه لآمن من فی الأرض جمیعا،و لکنه لا یکره الناس علی الایمان،فهل یحق لبشر أن یکره الناس علی الایمان و خالق البشر أحق بذلک،لو کانت المصلحه تقتضیه؟.

۲-ان الایمان نعمه کبیره یتفضّل بها اللّه علی الإنسان،بعد توفیر شرائطه من قبله و ان اللّه یجعل الرجس و هو الکفر و مفاسده المترتبه علیه علی أولئک الذین لا ینتفعون بنور عقولهم فلا یعقلون.

۳-إذا فتح الإنسان عینه،و نظر الی ما فی السموات و الأرض نظر اعتبار من

دون حجاب،فانه يوهب الايمان،و لكن إذا قرّر الفرد عدم الايمان سلفا فكل الآيات و النذر لا تغنيه و لا تنفعه شيئا.

۴-أن انتظار الكفار هو تحول الغيب الى شهود،و الحقيقه المبشر بها الى واقع قائم أمامهم،مثل أن ينزل عليهم فعلا العذاب الذى يتوعدهم به الرسل،و آنئذ لا ينفعهم الايمان كما لم ينفع الذين كذّبوا بالرسالات السابقه،و انما نفع المؤمنين من قومهم الذين نجاهم اللّه،و هذا وعد حق يقطعه اللّه على نفسه للمؤمنين عبر العصور أنه ينقذهم مما ينتظر الكفار من العذاب.

بينات من الآيات:

الأيمان ماده الاختبار:

[۹۹]لقد خلق اللّه الحياه ليختبر فيها الناس،و جعل ماده الاختبار الايمان،و قد منح ربنا للبشر حريه القرار فيما يخص الايمان،و كان بإمكان ربنا القدير أن يهب الإنسان نعمه الايمان بمثل ما وهب له نعمه العين،و أضاء له النهار،و لكنه لم يفعل، فعلينا الاّ نحاول إجبار الناس على الايمان.

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً أَ فَأَنْتَ تُکْرِهُ النّٰاسَ حَتّٰی یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ أى هل أنت تضغط عليهم باستمرار حتى يصبحوا مؤمنين،فهذا أمر يتنافى مع حكمه الاختبار فى الدنيا،و هو لا يمكن عمليا لأنه بعيد عن سنه الحريه التى قرّرها اللّه للبشريه.

الأيمان و مشيئه اللّه:

[۱۰۰]ثم ان الايمان ليس كأى عمل آخر يقوم به البشر،بل ان جانبا منه

متعلق بمشيئه اللّه،فهو كالنصر فی الحروب لا يمكن اليقين به مائه بالمائه.

وَ مٰا كٰانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ فاللّه يأذن للنفس البشريه أن تقتبس شعله من نور الايمان،بعد أن توفر النفس فی ذاتها كل العوامل الممكنه،و تتصل بربّها عن طريق الضراعه و التبتل، و إذا كانت النفس منطويه على غل أو فساد،فان اللّه العليم و المحيط بأبعاد النفس لا يأذن لها بالايمان،و هذه الحقيقه تدعونا أولا الی اعتبار الايمان مستوی رفيعا لا يبلغه الفرد الاّ بعد جهاد صعب،و بعدئذ فهو فضل من اللّه.

ثم ان الايمان حقيقه خارجيه،حيث أنه رؤيه واضحه،و عرفان شامل،و تطويع للشهوات،و ترويض للنفس الجموحه،فهو عموما رحمه من اللّه،ان الكفر نقمه ينزلها اللّه على من لا يعمل جاهدا من أجل الحصول على الايمان.

وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ و الذين لا يبلغون مستوی الايمان هم الذين لا ينتفعون بنور العقل الذی زودوا به من قبل اللّه،فوقعوا فی رجس الجهل و الشهوات.

هل نتفكر؟

[۱۰۱]ان الفرد الذی ينتفع بعقله يكفيه أن ينظر الی ملكوت السموات و الأرض،الی الجبال الراسيه التی تحفظ الأرض من أن تميد،و تترابط من داخلها بطبقات صخريه،و تحتفظ فی أجوافها بأحواض ماء عذب تتفجر عيونا و تجری أنهارا، كما تخزن المعادن الثمينه من الذی وضعها مواضعها،و ثبت بها الأرض التی انبسطت أمامها مهادا للناس،يتخذون من ترابها اللين فراشا،و مستقرا،و يزرعونها لمعاشهم؟

و إذا نظرت الى السماء،الى مواقع نجومها،و نظام مجراتها و منظوماتها الشمسيه، الى تعادل الجاذبيه فيها،الى سعتها و امتدادها بحيث لا يستطيع علم البشر أن يلاحقها،و لا تقدر الأجهزه التلسكوبيه المتطوره أن تبصرنا أبعادها، و تختفى المسافات العاديه لنتحدث عن المسافات النوريه فنقول:مليون عام ضوئى يفصل بيننا و بين المجره الكذائيه،أى أن النور الذى خرج من مصدره وصلنا بعد مليون عام،بينما يسير النور فى كل ثانيه مسافه مائه و ثمانين ألف ميل،و إذا أردنا أن نعد أجرامها فسوف يتجاوز الحساب رقم الملايين إلى البلايين،علما بأن بعض أجرام السماء أكبر من أرضنا ملايين المرات،حتى لتبدوا أرضنا كحبّه رمل فى صحراء مترامية،من الذى أنشأها و دبّر أمرها،و حافظ على أنظمتها الحكيمه،هل أنا و أنت أم هذا الطاغوت و ذلك الثرى و ذلك الكاهن،أم اللّه خالق السموات و الأرض سبحانه؟! و لكن حين لا يريد الفرد الايمان،أو بتعبير آخر حين يصمم على الاّ يؤمن باللّه مهما كانت آياته واضحه،فما ذا تغنيه الآيات؟!و ماذا تفيده كلمات التحذير و الإنذار؟! قُلِ انْظُرُوا مٰا ذٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا تُغْنِی الْآیٰاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ یُؤْمِنُونَ

عذاب اللّه متى؟و كيف؟

[۱۰۲]لماذا يصمم البشر على عدم الايمان؟أو ليس استجابه لشهواته العاجله، زاعما ان الكفر يوفر له المزيد من المتع الماديه؟و لكن الحقيقه غير ذلك إذ أن الكفر يسلب منه نعم اللّه،و يرديه فى واد سحيق.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاّ مِثْلَ أَيّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ الجميع ينتظر و لكن الرسول ينتظر الفرج بينما الكفار ينتظرون عذاب اللّه، الذى يحل بهم عاجلا أم آجلا.

[۱۰۳]و عذاب اللّه ليس أعمى يصيب الجميع،بل يبتعد عن رسول اللّه و المؤمنين،لأن اللّه هو الذى يرسل عذابه و هو الحكيم العليم.

ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ و نجاه الرسول و المؤمنين دليل واضح على أن العذاب ليس بسبب عوامل طبيعيه، كالشتاء و الصيف،لأنه ان كان كذلك شمل الجميع،بل بإراده غيبيه،كما ان ذلك دليل على أن الناس لو آمنوا لتجنّبوا العذاب بايمانهم،و ربما تشير نهايه الآيه الى هذه الفكره.

ص:۴۶۳

[سوره یونس (۱۰): الآیات ۱۰۴ الی ۱۰۹]

اشاره

قُلْ يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلاٰ أَعْبُدُ اَلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لٰكِنْ أَعْبُدُ اَللّٰهَ اَلَّذِي يَتَوَفّٰاكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰۴) وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۱۰۵) وَ لاٰ تَدْعُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُكَ وَ لاٰ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ اَلظّٰالِمِينَ (۱۰۶) وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اَللّٰهُ بِضُرٍّ فَلاٰ كٰاشِفَ لَهُ إِلاّٰ هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاٰ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۱۰۷) قُلْ يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اِهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (۱۰۸) وَ اِتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ اِصْبِرْ حَتّٰى يَحْكُمَ اَللّٰهُ وَ هُوَ خَيْرُ اَلْحٰاكِمِينَ (۱۰۹)

ص:۴۶۴

الرسول

اشاره

عامل برسالته شاهد على الناس

هدى من الآيات:

فى الـدرس الأخير من هـذه السوره،حـدّد اللّه مسـئوليه الرسول لو لم يتبعه الناس شـكا فى رسالته،تلك هى رفض عباده الآلهه،و إخلاـص العبوديه للّه،و الايمـان الصـادق به،و تطـبيق أحكـام اللّه ظـاهرا و باطنـا،و الاـّ يـدعو مع الله الآـلهه و الأصـنام البشـريه و الحجريه،فيكون آنئـذ ظالما لنفسه لأنها لا تضـر و لا تنفع،ذلك لأن ما ينفع و يضـر حقا هو اللّه سـبحانه،الـذى لو أصاب الإنسان ضرما كشـفه سوى رحمته الواسـعه،و ان أصابه خير فبفضـله سـبحانه،و لا أحـد يسـتطيع سـلبه منه،فمسـئوليه الرسول هى إخلاص الطاعه للّه،و لكنه ليس مسـئولا عن الناس،لأن الهدى فى منفعه البشـر نفسه،كما ان الضلال يضرّه شخصيا،أما الرسول فانه يتبع ما يوحى اليه،و يصبر بانتظار حكم الله الذى هو خير الحاكمين.

ص:۴۶۵

بينات من الآيات:

موقف الرسول:

[۱۰۴]من أهم المكاسب الرساليه لبعثه الأنبياء هو إنشاء واقع اجتماعی جدید،یتجاوز دور التبلیغ و الدعوه،فاذا کان خط الکفر و الضلاله شاکا فی دین الله،فان النبی علی یقین من هذا الدین نظریا،و یعمل ببرامج الدین عملیا،فیصنع بذلک واقعا اجتماعیا ثقیلا و متینا،تمهیدا لتأسیس مجتمع مؤمن الی جانب المجتمع الکافر،و خط ایمانی نقی الی جانب خطوط الشرک و الشبهه.

قُلْ یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی و التردد مبعثه الشهوات و الأهواء،و تهیّب الواقع الجدید،فان الرسول لیس فی شک من دینه،بل أنه علی یقین و هو قدوتکم جمیعا فی هذا الخط،و عمله الخالص للّه یفتح لکم الطریق الذی تجبنون من السلوک فیه.

فَلاٰ أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فأنا أول من تحمل الضغوط و مشاکل الکفر بالشرکاء و التمرد علی سلطان الآلهه.

وَ لٰکِنْ أَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِی یَتَوَفّٰاکُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أی أنی شخصیا أنتمی الی جماعه الایمان فی مواجهه الجاهلیه.

مسئولیه الرسول:

[۱۰۵]و قد أکّد القرآن الأمر الأخیر،الذی جاء فی نهایه الآیه السابقه،و هو السبق الی الایمان و الاستقامه علیه،لأهمیته فی زرع بذور الایمان فی تلک النفوس

ص:۴۶۶

الشاكه و المتردده.

وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أى انفصل عن واقع الجاهليه نظريا بالحنفيه،و عمليا بالتوحيد.

[۱۰۶]و جاءت الآيه الثالثه تؤكد نهايه الآيه الثانيه و هى رفض الشرك و تعلّلها بقوله تعالى:

وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ أى لا تطلب حاجه من الآلهه الصماء أو الآلهه البشريه الضعيفه التى تعبد من دون الله،من دون أن تملك شيئا من قوه النفع و الضرر الاّ بأذن الله.

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظّالِمِينَ ان التسليم للآلهه و الشركاء ظلم للنفس،حين يفقد البشر هويته التى هى أغلى جوهره يملكها،و هو ظلم للناس بتشجيع الضلاله الفكريه،و التسلط السياسى، و هو ظلم للشركاء أنفسهم بتشجيعهم على امتهان حرفه الطغيان،و الزعم بأنهم آلهه من دون الله.

[۱۰۷]النافع الضار هو الله حقا،لأنه إذا ابتلى أحدا بضرّاء لا يكشفها أحد غيره،و ان منح خيرا لم يقدر أحد على سلبه.

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الذى تسبق رحمته غضبه،و لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب رحمه بهم

و فضلا،و لا يعجل على المذنبين بذنوبهم.

مسئوليه الجماهير:

[۱۰۸]الرسول أول من أمر بالعمل برسالته،و هو رائد المؤمنين الذى يخترق طريق الايمان بثقه و عزم و توكل على الله،و لكنه ليس وكيلا-عنهم فلا يجبر الناس على الايمان،و لا يسلبهم مسئوليه قرارهم النهائى برفض أو قبول الرساله،بل من ضل فضلالته موجهه ضد نفسه،و من اهتدى فهدايته نافعه لنفسه.

قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [۱۰۹]و لكن استقامه الرسول على طريق الحق تكلفه الكثير،فان عدم اتباع الضلال سوف يؤذونه بمختلف الوسائل،و عليه ان يصبر و ينتظر حكم الله،و هذا الصبر بدوره دليل آخر على صدق رسالته،و يرفع حواجز الشك و التردد الموجوده فى نفوس الناس،حيث يتهمون الرسول بأنه يطلب السلطه أو الثروه،و لكن هل هذا طريق من يطلب الدنيا،أن يخالف دين الناس،و يثور ضد كل قوه أرضيه،و يصبر على الأذى فى هذا الطريق؟! وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحٰاكِمِينَ

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينیة والسياحیة

إنتاج الأفلام الكرتونیة والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينیة والأخلاقیة والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمیة الالكترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونیة لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونیة للكتاب على موقع القائمیة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجليزية والفارسیة

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب في طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

